

الأمة على علي

من المهدي اللعنه

تأليف

العلامة الخطيب

السيد محمد كاظم الفروياني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام على عليه السلام من المهد الى اللحد

كاتب:

محمد كاظم القزويني

نشرت في الطباعة:

دارصادق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	الامام على عليه السلام من المهد الى اللحد
٩	اشارة
٩	المقدمة
١١	على وليد الكعبة
١٤	على أول المسلمين
١٤	اشاره
١٩	ابوطالب حامى الرسول
٢٢	على ليلة المبيت
٢٨	على والهجرة
٣٠	اقتران النورين
٣٥	على والجهاد
٣٥	اشاره
٣٧	على يوم بدر
٣٩	على يوم أحد
٤٠	على يوم بنى النضير
٤١	على يوم الخندق
٤٦	على يوم خيبر
٤٩	على يوم حنين
٥٠	على والقرآن
٥٠	اشاره
٥٢	على يوم المباهلة
٥٢	صورة أخرى للمباهلة

- ٥٥ على يتصدق بالخاتم
- ٥٧ على فى سورة هل أتى
- ٥٩ مفاخرة على والعباس
- ٦٠ آية النجوى
- ٦١ على والعلم
- ٦١ اشاره
- ٦٤ على والخطابة
- ٦٥ من خطبة له يذكر فيها بديع خلقه الخفاش
- ٦٥ من خطبة له يذكر فيها عجيب خلقه الطاووس
- ٦٦ ومنها خطبتان له الأولى خالية من الألف والثانية خالية من النقط
- ٧٠ على والفضائل النفسية
- ٧٠ اشاره
- ٧١ على واليقين
- ٧٢ على والحفظ
- ٧٢ على والتعطف
- ٧٢ على والحق
- ٧٢ على والغنى
- ٧٣ على والعفو
- ٧٣ على والحكمة
- ٧٤ على والزهد
- ٧٥ على والعفة
- ٧٦ على والتواضع
- ٧٧ على والحلم
- ٧٨ على والمواساة

- ٧٨ على والكرم
- ٨٠ على والعدل
- ٨٢ على والعبادة
- ٨٣ على وطلاقة الوجه مع المهابة
- ٨٣ على والخصائص
- ٨٣ اشاره
- ٨٧ خير الطائر المشوى
- ٨٨ حديث الطائر بصورة أخرى
- ٨٩ حديث المنزلة
- ٩١ المواخاة بين النبي وعلى
- ٩٢ مصادر حديث المواخاة بين رسول الله وعلى
- ٩٤ سورة براءة
- ٩٤ على يكسر الأصنام
- ٩٧ حديث سد الأبواب
- ٩٩ على يوم الغدير
- ٩٩ اشاره
- ١٠٣ اكمال الدين
- ١٠٤ نزول العذاب
- ١٠٥ معانى المولى
- ١١٤ عيد الغدير
- ١١٥ على عند وفاة الرسول
- ١١٥ اشاره
- ١١٧ بعض النصوص الواردة حول الوصية
- ١٢٠ على فى مصيبة الزهراء

- ١٢٣ زواج على بعد فاطمة
- ١٢٤ كلام حول أزواج الإمام وأولاده
- ١٢٤ على جليس البيت
- ١٢٧ على يوم الجمل
- ١٤٣ على في صفين
- ١٤٨ على والخوارج
- ١٥٢ الغارات الثلاث على بلاد الإمام
- ١٥٨ على بقلمه ولسانه
- ١٥٨ اشاره
- ١٥٨ الخطبة الشقشقية
- ١٥٩ خطب أخرى له
- ١٦٢ على ينعي نفسه
- ١٦٩ على طريح الفراش
- ١٧١ على يفارق الحياة
- ١٧١ اشاره
- ١٧٤ تابين على
- ١٧٦ ختام واعتذار
- ١٧٦ باورقي
- ١٨١ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الإمام على عليه السلام من المهد الى اللحد

إشارة

سرشناسه: قزوینی، محمد کاظم، ۱۳۷۳ - ۱۳۰۸
 عنوان و نام پدید آور: الامام على عليه السلام من المهد الى اللحد / محمد كاظم القزويني
 مشخصات نشر: تهران: صادق، ۱۳۸۰.
 مشخصات ظاهري: ص ۲۸۹
 فروست: (موسسه الصادق؛ الكتاب الاول)
 شابك: ۹۶۴-۵۶-۴-۱۱-۷۱۵۰۰۰ريال؛ ۹۶۴-۵۶-۴-۱۱-۷۱۵۰۰۰ريال
 وضعت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی
 یادداشت: چاپ قبلی: مطبع الاداب، ۱۳۶۴
 یادداشت: عربی.
 یادداشت: فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.
 موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- سرگذشته
 رده بندی کنگره: BP۳۷/ق ۸۴۴
 رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱
 شماره کتابشناسی ملی: م ۸۰-۱۱۲۱۱

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يرضى، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله سادات الورى.

وبعد: كم أنا معجب بحياة أولياء الله الذين كانوا المظهر الصحيح الكامل للانقياد والخضوع لأوامر الله تعالى وإرادته وإنى لا أعرف فى قاموس اللغة العربى ألفاظاً كافية فى التعريف والتعبير عن شخصية الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، لا أكتب هذا بقلم العاطفة والغلو ولا - طمعاً فى ربح مادى للجائزة الدنيوية بل بقلم الواقع والحقيقة، أنظر إلى الحقائق وأذكر انطباعاتى عنها وسيظهر صدق هذا الكلام من خلال سطور الكتاب، ويتجلى الحق الواضح لكل من يقرأ هذا الكتاب مجرداً عن الاتجاهات. كلمة العظيم لا تكفى لبيان عظمة الرجل، وخاصة بعد أن استعملت هذه الكلمة فى الكثير ممن يستحق ذلك أو لا يستحق، مع العلم أن العظمة تتفاوت من حيث القلة والكثرة والضعف والشدة وكذلك سائر الصفات الحميدة التى يُعبر عنها بالفضائل ويُنت بها الرجال.

فكيف أستطيع أن أصف الإمام حق الوصف، وأودى واجب المقام حق الأداء، وكلما حاولت أن أطير بقلمى إلى أرفع مستوى فى البيان وأعلى درجة فى الأداء مع ذلك كله فالعجز عن التعبير لا يفارقنى، والأفضل أن نذكر حياة الإمام بكل بساطة، ونحيل إدراك الموقف وأهمية الحال إلى فكرة القارئ وذهنه وفهمه الفطرى، وهذا أولى من تنميق الألفاظ وتنزيدها وتكوين كتلة من الألغاز أو الكنايات التى تشبه كتب اللغة ولكن من غير تبويب وتنظيم!! هناك صفات تميل إليها النفوس وتحبها وتحب من يتصف بها ويقال لها: الفضائل كالعلم والشجاعة والكرم وغيرها.

وهناك أيضاً صفات تنفر منها الطباع وتكره من يتصف بها ويقال لها: الرذائل كالجهل والجبن والبخل وغيرها، وهي أضداد الفضائل والصفات الحمية، كلتا الطائفتين من الصفات تقل في النفوس وتكثر، وتضعف وتشتد، فقد يبلغ الكرم القمة، وقد ينتهي البخل إلى الحضيض وهكذا الكلام في باقى الفضائل والرذائل، ونحن حين نراجع ترجمة حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) نجدها حافلة بالفضائل بأقصى درجة ممكنة وأرفع مستوى يُتصور، مترهه عن كل ما يمس ويحط ويشوه (بجميع معنى الكلمة) بقدسيه الإمام وجلالته، وليس هذا ادعاء أجوف، بل محتويات الكتاب كلها شواهد وبراهين على ما نقول، بل التاريخ الصحيح أقوى دليل وكتاب الله أقوى حجة ومن أصدق من الله قيلاً وأختم مقدمتى هذه بكلمتى الوجيزة:

أقول: إن الله تعالى الذى هو على كل شىء قدير ولا يعجزه شىء شاء أن يظهر لعباده الفرد الكامل من خلقه ليريههم قدرته على الإبداع فى الصنع ويبرهن لهم على أن من الممكن أن يقرب الله البشر إلى أعلى درجة من الشرف يمكن للموجود أن يبلغها، فخلق الله محمداً (صلّى الله عليه وآله) وعلى بن أبى طالب (عليه السلام) ليكون كل واحد مثلاً كاملاً للقدره الإلهية، وشاهداً حياً لأرقى موجود فى مراتب الصعود.

وكثيراً ما كنت أحدث نفسى بتأليف كتاب يتضمن الإشارات إلى بعض مواهب هذا الإمام، المقتدى لقوافل الإنسانية عبر القرون والأجيال والدهور، ولكن التفكير حول أهمية هذا العبء الثقيل وخطورة الموقف وضآله وضعف البيان وسعة البحث كلها كانت موانع تحول دون الخوض فى هذه المعركة العلمية الفكرية!

حتى إذا اقترب شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٨٦ هـ وثارت فى النفوس ثورة العبادة ونهضة الدين وانتبهت غرائز الإقبال على فعل الخير واستعد إخواننا الشباب لإعادة مجلسهم السنوى فى ليالى شهر رمضان وكان لى شرف الخدمة والتكلم فى ذلك المجلس الذى كانت الحياة تنفجر من نواحيه، وينبعث النشاط من جوانبه، ففكرت حول اختيار حديث إسلامى متسلسل، لله فيه رضى وللمستمعين فيه أجر وثواب.

وأخيراً: تقرر أن نتحدث حول شخصيه الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ونجعلها محور كلامنا، وندور فى فلکها لما فى ذلك من فوائد دينية، علمية، روحية، تربوية، تنفع العباد والبلاد.

فالتحدث عن أمير المؤمنين يشمل التكلم عن الإسلام الصحيح فى جميع مجالاته وخاصة فى دور التكوين والتأسيس وعن مدى تأثير التربية الإسلامية فى النفوس وتبلورها ببركة تلك التعاليم وتكهرب النفوس بنفسية النبى (صلّى الله عليه وآله) تلك النفسية القوية بالمبدأ الأعلى.

نذكر فى هذه الصحائف شيئاً عن حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى ظل الإسلام وبعض مواقفه فى المواطن الخطرة التى قل أن يثبت لها أحد، باستقبال الأخطار التى ارتعدت منها الفرائض وخفقت عندها القلوب خفقان الطير.

تبدأ تلك الحوادث المتسلسلة من أيام بعثة النبى (صلّى الله عليه وآله) والشروع بالدعوة الصامتة، والناطقة والسريه والعلنية وأدوار تلك الدعوة وتطورها فى مكة، وتنتهى بهجرة النبى (صلّى الله عليه وآله) إلى المدينة.

وهنا يتطور الموقف إلى العمل بصورة أوسع وأصعب، ويبدأ دور الحروب والغزوات والمجازر التى أجاج الكفار نارها، فارتوت الأرض من الدماء وانقلبت البوادرى إلى مقابر.

نذكر مواقف الإمام (عليه السلام) فى تلك المراحل المذهله، واستعداده للتضحية فى سبيل المبدأ بحيث ما كان يقف فى طريقه شىء يغير اتجاهه وانطباعه عن الدين.

وتنتهى فترة الجهاد بوفاه الرسول الأعظم، فيتطور الجهاد بنوع من السكوت والصبر أو الكلام بما يقتضيه الحال وما تفرضه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.

ينقضى ربع قرن والإمام جليس بيته، مسلوب الإمكانيات فاقداً قدرة النهوض بأعباء الخلافة وما هناك من لوازم ومتطلبات ومسؤولية

أمام الله والتاريخ لأن المسؤولية تابعة للقدرة والقوة ونفوذ الكلمة وجوداً وعدمًا. وتنتهي تلك الفترة المؤلمة بمقتل عثمان وانتقال الخلافة إلى الإمام مرة ثانية بعد انتزاعها منه إثر واقعة الغدير. فيبدأ دور المسؤولية وبيان مسؤوليات الحكم في القانون الإسلامي، وتطبيق أحكام الله في جميع المجالات، والاصطدام بالنزعات والاتجاهات المخالفة وما هناك من مشاكل وعراقيل ومواقف حرجة. نسير مع التاريخ حيث سار الإمام حتى ينتهي البحث بشهادة الإمام (عليه السلام)، وما هناك من نماذج من العدالة الإلهية ونفسيات طيبة تتجلى في وصايا الإمام عندما أحس بخطر الوفاء. تتم هذا البحث بما تيسر من كلمات الإمام وتعاليمه القيمة وفضائله ومكارم أخلاقه. وبذلك ينتهي الكتاب إن شاء الله.

ونضطر أن نقتطف من كل حادثه جملة ترتبط بالإمام، ومن كل غزوة جانباً يتعلق بالذات بموقف الإمام فيها، رعاية لأسلوب الكتاب. وأنا على يقين أن الإحاطة بجميع مزايا هذا الإمام خارج عن نطاق البشر وقدرة البيان، لأنه (عليه السلام) كالبحر لا يدرك طرفاه ولا يبلغ جانبا ولا يمكن الغوص إلى عمقه. فالتحدث عن شخصيَّة الإمام يجد أمامه عوالم غير متناهية، يطير في فضائها وأرجائها، ومهما أوتى من حول وقوة فإن التعب يدركه قبل أن يدرك مداها. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فلنذهب إلى المجلس المنعقد في الجامع المعروف بجامع الصافي مقابل صحن سيدنا أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) لنستمع إلى ما يلي:

على وليد الكعبة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الكرام البررة.
وبعد: لقد اتفقنا أن نجعل حديثنا وبحثنا في هذا الشهر عن أكبر شخصيَّة عرفها التاريخ بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله). وهي شخصيَّة سيدنا ومولانا الإمام المرتضى أبي الحسن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه آلاف التحية والثناء، ونبدأ حديثنا بولادة الإمام (عليه السلام) في الكعبة.
ولا بأس قبل الخوض في بيان الواقعة، بذكر مقدمة تمهيدية فنقول: نحن بصفتنا مؤمنين بالله وبالقرآن العظيم لا محيص لنا عن قبول الأمور الخارقة للعادة والتي هي ما وراء الطبيعة، المذكورة في القرآن الكريم، ويقال لها: (الماورائيات) أو (الميتافيزيقيا). فإن القرآن الكريم يتضمن أكبر كميَّة من الحوادث الماورائيات، ولا نستطيع (بصفتنا مسلمين) أن نرفضها أو نتردد في قبولها، وخاصة بعد أن آمننا أن القرآن كتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
مثلاً: طبيعة النار هي الإحراق، وإسناد الإحراق إلى النار من الأمور البديهيَّة الثابتة، والقرآن الحكيم يحدثنا عن إبراهيم وأنه لما كسر الأصنام حكم المشركون عليه بالإعدام فقالوا: (حرقوه) فأضرموا ناراً عظيمة اشترك جميع طبقات الناس في جمع الحطب لها، فوضعوا إبراهيم الخليل في آله تسمى (المنجنيق)، وقذفوه من مكان بعيد في وسط تلك النار العظيمة.
قال تعالى: (وقلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) [1] في الحديث في تفسير هذه الآية: لما خاطب الله النار بقوله: (كوني برداً) كاد إبراهيم أن يموت من البرد فقال تعالى: (وسلاماً) فسلم إبراهيم من الموت بالبرد.
وكذلك عصا موسى (عليه السلام) وانقلابها إلى ثعبان وابتلاعه الحبال والعصى التي كانت يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى، ثم عادت العصا كما كانت.

وهكذا ما قام به عيسى بن مريم (عليه السلام) من إبراء الأكمه (الذى ولد أعمى) والأبرص، وإحياء الموتى حتى الذين انقضت على وفاتهم مئات السنوات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعجزة في ثلاثة مواضع.

وهكذا وهلم جراً، من القضايا والحوادث الخارقة للعادة والطبيعة المستندة إلى إرادة الله وقدرته، ويسهل الإيمان بهذه الأمور كلها إذا حصل الإيمان بأن الله قادر على كل شيء، وأن جميع الموجودات خاضعة ومطبعة لإرادة الله تعالى.

إذا ثبت هذا فلا مانع لدى العقل من قبول انشقاق جدار الكعبة لدخول فاطمة بنت أسد حتى تضع ولدها الإمام فى جوف الكعبة، وإليك الواقعة:

أحست السيدة فاطمة بنت أسد بوجع الولادة وهى فى الشهر التاسع من الحمل، وأقبلت إلى المسجد الحرام وطافت حول الكعبة، ثم وقفت للدعاء والتضرع إلى الله تعالى ليسهل عليها أمر الولادة، قائلة: يا رب إنى مؤمنة بك وبكل كتاب أنزلته، وبكل رسول أرسلته

...

ومصدقه بكلامك وكلام جدى إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وقد بنى بيتك العتيق، وأسألك بحق أنبياءك المرسلين، وملائكتك المقربين وبحق هذا الجنين الذى فى أحشائى.. إلا يسرت على ولادتى.

انتهى دعاء السيدة، وانشق جدار الكعبة من الجانب المسمى (بالمستجار) ودخلت السيدة فاطمة بنت أسد إلى جوف الكعبة، وارتأب الصدع، وعادت الفتحة والترقت وولدت السيدة ابنها علياً هناك. [٢].

من المعلوم: أن للكعبة باباً يمكن منه الدخول والخروج، ولكن الباب لم يفتح، بل انشق الجدار ليكون أبلغ وأوضح وأدل على خرق العادة، وحتى لا يمكن إسناد الأمر إلى الصدفة.

والغريب: أن الأثر لا يزال موجوداً على جدار الكعبة حتى اليوم بالرغم من تجدد بناء الكعبة فى خلال هذه القرون، وقد ملأوا أثر الانشقاق بالفضة والأثر يرى بكل وضوح على الجدار المسمى بالمستجار، والعدد الكثير من الحجاج يلتصقون بهذا الجدار ويتضرعون إلى الله تعالى فى حوائجهم.

روى الشيخ الطوسى عليه الرحمة فى أماليه عن الإمام الصادق (عليه السلام): كان العباس بن عبدالمطلب ويزيد بن قنبر جالسين ما بين فريق بنى هاشم إلى فريق بنى عبدالعزيز إزاء بيت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكانت حامله بأمر المؤمنين (عليه السلام) لتسعة أشهر، وكان يوم التمام، فوقفت إزاء البيت الحرام، وقد أخذها الطلق، ورمت بطرفها نحو السماء وقالت...

إلى آخر كلامها الذى تقدم.

ووصل الخبر إلى أبى طالب، فأقبل هو وجماعه وحاولوا ليفتحوا باب الكعبة حتى تصل النساء إلى فاطمة ليساعدنها على أمر الولادة، ولكنهم لم يستطيعوا فتح الباب، فعلموا أن هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى.

وحدثت السيدة فاطمة بما جرى عليها فى الكعبة، قالت: فجلست على الرخامة الحمراء ساعة، وإذا أنا قد وضعت ولدى على بن أبى طالب ولم أجد وجعاً ولا ألماً.

وبقيت السيدة فى الكعبة ثلاثة أيام، وانتشر الخبر فى مكة، وجعل الناس يتحدثون به حتى النساء، وازدحم الناس فى المسجد الحرام، ليشاهدوا مكان الحادث، حتى كان اليوم الثالث، وإذا بفاطمة قد خرجت من الموضع الذى كان قد انشق لدخولها وعلى يدها صبي كأنه فلقه قمر وأسرع الجماهير المتجمهرة إليها فقالت: معاشر الناس، إن الله عزوجل اختارنى من خلقه وفضلنى على المختارات ممن مضى قبلى، وقد اختار الله آسية بنت مزاحم فإنها عبدت الله سرّاً فى موضع لا يجب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، ومريم بنت عمران، حيث هانت ويسرت ولادة عيسى فهزت الجذع اليابس من النخلة فى فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطباً جنياً وإن الله تعالى اختارنى (فضلنى) عليها وعلى كل من مضى قبلى من نساء العالمين لأنى ولدت فى بيته العتيق، وبقيت فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنة وأرزاقها...

الخ. [٣].

وبعد هذا كله لم يبق مجال للشك في هذه الحادثة والاستبعاد من قدرة الله تعالى وإرادته، وما المانع أن يختار الله لمولد وليه أشرف بقاع الأرض حتى يكون مولده في ذلك المكان من مزاياه التي تفرد بها عن الخلق أجمعين؟؟ وما المانع أن يمنح الله عباده المقربين هذه العطايا والمنح كي تكون لهم دليلاً على كرامتهم عند الله.

فقد ذكر الشيخ المفيد (ره) المتوفى سنة ٤٣١ هـ في الإرشاد مولد الإمام في البيت الحرام، وكذلك من جاء بعده كالشيخ الطوسي والنسابة على بن أبي الغنائم والشهيد في مزاره والسيد ابن طاووس في المصباح والعلامة الحلبي المتوفى سنة ٧٣٦ هـ في كتابه كشف الحق وكشف اليقين.

وتطرق السيد الحميري في نظمه إلى هذه المفخرة وهو من شعراء القرن الثاني وهو قوله:

ولدته في حرم الإله وأمنه

والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة

طابت وطاب وليدها والمولد

ما لف في خرق القوابل مثله

إلا ابن آمنه النبي محمد

وكذلك الشاعر محمد بن منصور السرخسي، وهو من شعراء القرن السادس أشار إلى هذه الفضيلة بقوله:

ولدته منجبة وكان ولادها

في جوف كعبة أفضل الأكنان

ولم ينفر أساطين الشيعة وعلماؤهم بذكر هذه المأثرة، بل شاركهم الكثير من علماء السنة، كالمسعودي في مروج الذهب وإثبات الوصية وعبد الحميد خان الدهلوي، في سيرة الخلفاء وغيرهما من المحدثين.

وأشار عبد الباقي العمري وعبد المسيح الأنطاكي أيضاً إلى هذه الحادثة وأنها من الأمور المتفق عليها، وأنها من خصائص الإمام ولم يشاركه أحد قبله ولا بعده في هذه المكرمة، حتى قال محمود آلوسي في شرح قصيدة عبد الباقي العمري ما هذا نصه: (وفي كون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة...)

ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه، وأحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين، سبحانه من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين).

استقبل سيدنا أبوطالب السيدة فاطمة بنت أسد مهنتاً، وأخذ أبوطالب وليده الحبيب وضمه إلى صدره ثم رده إلى أمه، وأقبل رسول الله وذلك قبل أن يبعث فلما رآه على جعل يهش ويضحك كأنه ابن سنه، من حيث المشاعر والإدراك فأخذه النبي (صلى الله عليه وآله) وقبله وحمد الله على ظهور هذا المولود الذي كان يعلم أنه سيكون له أحسن وزير وخير أخ وأول مؤمن به، وتتحقق به آمال رسول الله وأمانيه بنشر دينه الذي سيبعث به فسلم على على رسول الله ثم قرأ هذه الآيات:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون [٤] إلى آخر الآيات، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أفلحوا بك.

وقرأ تمام الآيات إلى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون). [٥].

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنت والله أميرهم تميزهم من علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون.

وأذن أبوطالب في الناس أذناً جامعاً وقال: هلموا إلى وليمة ابني على.

قال: ونحر ثلاث مائة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم واتخذوا وليمة عظيمة وقال: معاشر الناس، ألا من أراد من طعام على ولدى فهلموا وطوفوا بالبيت سبعاً سبعاً، وادخلوا وسلموا على ولدى على فإن الله شرفه. [٦].

وهنا سؤالان: الأول كيف تكلم على وهو ابن ثلاثة أيام، والسؤال الثاني كيف قرأ آيات القرآن والقرآن بعد لم ينزل على النبي؟ أما الجواب عن السؤال الأول: إن القرآن الكريم يصرح بتكلم عيسى لما حملته أمه مريم وجاءت به إلى قومها، فسألها قومها عن عيسى (فأشارت إليه) أي سلوا الطفل فإنه يخبركم عن الحقيقة.

قال اليهود: كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟ قال (عيسى): (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) فإذا أمكن أن يتكلم عيسى في المهد صبياً فما المانع أن يتكلم على وهو طفل فإن كان عيسى نبياً فعلى خليفه نبي ووصيه وليس ذلك على الله بعزير، وليس هذا بمستحيل أمام قدرة الله تعالى فإن الله على كل شيء قدير.

والجواب عن السؤال الثاني: أن القرآن الحكيم يقول: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) [٧] مع العلم أن القرآن نزل على النبي (صلى الله عليه وآله) في خلال ثلاث وعشرين سنة، من يوم مبعثه إلى أيام قبل وفاته، فما المقصود من هذه الآية المباركة التي تصرح بنزول القرآن في ليلة القدر؟

هناك أحاديث متواترة عن أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير هذه الآية مفادها: أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ومن السماء الدنيا نزل تدريجياً ومن هنا استفاد أن القرآن كان موجوداً في السماء قبل نبوة محمد (صلى الله عليه وآله). فالطفل الذي اختار الله له الكعبة مولداً وأنطق لسانه يوم ولادته لا مانع عند العقل أن يلهمه الله شيئاً من كتابه المخلوق الموجود في السماء.

وكانت ولادته يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب، بعد مضي ثلاثين سنة من عام الفيل. وقيل: أقل من ذلك، والله العالم.

على أول المسلمين

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، والصلاة والسلام على محمد وآله خير البرية.

كلامنا الليلة: حول التربية الإسلامية التي ترباها على (عليه السلام) خلال السنوات الطوال التي قضاها مع النبي (صلى الله عليه وآله) منذ نعومة أظفاره حتى بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة، وهي المدة التي عاش فيها مع الرسول، ولا أملك بياناً كافياً لوصف تلك التربية المدهشة، وتأثيرها في نفس على (عليه السلام)، والأفضل أن نستمع إلى كلام على (عليه السلام) في هذا الموضوع، فإنه يشرح لنا مدى اختصاصه والتصاقه بالنبي (صلى الله عليه وآله) من صغر سنه، يذكر (عليه السلام) ذلك في خطبته الجليلة المعروفة بالقاصعة.

قال (عليه السلام): (أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر.

وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرقه.

وكان يمزغ الشيء ثم يلغمه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري.

ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله) فقلت يا رسول الله: ما هذه الرنة؟ فقال: إنه الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي. ولكنك وزير وإنك لعلى خير. [١٥].

فقد روى العلامة الحلي عليه الرحمة في كشف اليقين وغيره: ... وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة بنت أسد: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلي علياً أكثر تربيته، وكان يطهر علياً في وقت غسله، ويوجره اللبن (يجعله في فمه) عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره، ويقول: هذا أخي ووليي، وصفيي، وذخري وكهفي وظهري، ووصيي، وزوج كريمي، وأميني على وصيتي وخليفتي، وكان يحمله دائماً ويطوف به في جبال مكة وشعابها وأوديتها. [١٦]. وذكر الثعلبي في تفسيره عن مجاهد قال: كان من نعم الله على بنى أبي طالب (عليه السلام) وما صنع الله له وزاده من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة (قحط) شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للعباس عمه وكان أيسر بنى هاشم: يا عباس أخوك أبو طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، آخذ أنا من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت من بنيه رجلاً، فنكفيهما عنه من عياله.

قال العباس: نعم فانطلقا، حتى أتيا أبا طالب فقالا: نريد أن نخفف عنك عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال أبو طالب: إن تركتما لي عقياً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفر فضمه إليه، فلم يزل على مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بعثه الله نبياً، واتبعه على فآمن به وصدقته.. الخ.

وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً، فانتخبه لنفسه واصطفاه لمهم أمره، وعول عليه في سره وجهره، وهو مسارع لمرضاته موفق للسداد في جميع حالاته، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ابتداء طروق الوحي إليه، كلما هتف به هاتف أو سمع من حوله رجفة راجف، أو رأى رؤياً أو سمع كلاماً يخبر بذلك خديجة وعلياً (عليهما السلام) ويستسرهما هذه الحالة فكانت خديجة نثته وتصبره، وكان على (عليه السلام) يهنئه ويبشره ويقول له: والله يا ابن عم ما كذب عبدالمطلب فيك، ولقد صدقت الكهان فيما نسبته إليك، ولم يزل كذلك إلى أن أمر (صلى الله عليه وآله) بالتبليغ.

فكان أول من آمن به من النساء خديجة، ومن الذكور أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) وعمره يومئذ عشر سنين، وكانت السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) تشاهد النبي يعطف ويحنو على علي (عليه السلام) ويتولى رعايته منذ نعومة أظفاره، فكانت السيدة خديجة تستزيده وتزينه وتحليه وتلبسه وترسله مع جواريتها، ويحمله خدمها.

وقد أجمع علماء النفس والتربية واتفقت كلمتهم على: أن جميع نفسيات الإنسان وأخلاقه وصفاته إنما هي انطباعات التربية التي تركزت في نفسه منذ صغره، بحيث يمكن لنا أن نعرف مصير الطفل ومستقبله من منهاج التربية التي قام بها الوالدان والمربي تجاه الطفل في صباه.

فالحقارة والعقد النفسية والدناءة والخمول وما شاكلها من الصفات التي تظهر في الناس إنما هي من ولائد التربية الفاسدة في باكورة حياتهم.

وكذلك شرافة النفس وعلو الهمم، وقوة الروح وما شابهها إنما هي من نتائج التربية الصحيحة في أيام الصبا.

وفي المناقب: عن أبي رافع أن النبي (صلى الله عليه وآله...)

قال لعمة أبي طالب: إنني أحب أن تدفع إلي بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاءك عندي، فقال أبو طالب: خذ أيهم شئت.

فأخذ علياً (عليه السلام) فاستقى عروقه من منبع النبوة، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة، وتهدلت أغصانه عن نبع الإمامة، ونشأ في دار الوحي، وربى في بيت التنزيل، ولم يفارق النبي (صلى الله عليه وآله) في حال حياته إلى حال وفاته، لا يقاس بسائر الناس، إذ كان (عليه السلام) في أكرم أرومة، وأطيب مغرس، والعرق الصالح ينمي والشهاب الثاقب يسرى...

ولم يكن الرسول ليتولى تأديبه، ويتضمن حضائنه وحسن تربيته إلا على ضربين: إما على التفرس فيه، أو بوحي من الله تعالى، فإن كان بالتفرس فلا تخطى فراسته، ولا يخيب ظنه، وإن كان بالوحي فلا منزلة أعلى ولا حال أدل على الفضيلة والإمامة.

بناء على هذا اهتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) غاية الاهتمام وبذل ما في وسعه في تربية علي (عليه السلام) وتأديبه وتقويته نفسه وتوجيهه، وطبع غرائزه على أحسن ما يرام وتعليمه الفضائل والمكارم.

فأنتجت تلك التربية الإسلامية الفريدة في نفس علي (عليه السلام) أحسن الأثر، وتربى تحت ظل الرسول أفضل تربية، واجتمعت فيه جميع المؤهلات للعود إلى أعلى مرقاة، فاستحق أن يجعله الله نفس النبي في آية المباهلة، وكملت فيه الكفاءة والإنسانية بجميع معنى الكلمة حتى صار أهلاً لكل منحة إلهية وعطية ربانية وصار جديراً بالولاية والخلافة، والوصية، والوراثه، وبكل عظمه وكل تقدير من الخالق والمخلوق، وكل إكبار وإعجاب من الرسول، وتجلت فيه الفتوة والشهامة، والاعتماد على النفس، والإحساس بالشخصية وعظمه النفس حينما قدم لتقبل أكبر مسؤوليه في العالم، واستعد للقيام بأكبر مهمة من أقل لوازمها التضحية بكل غال ونفيس، وذلك يوم الدار أو الإنذار، وإليك الواقعة:

في أمالي الشيخ عن ابن عباس عن علي (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله): (وأنذر عشيرتكم الأقرين) [١٧] دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لي: يا علي إن الله تعالى أمرني: أن أنذر عشيرتكم الأقرين.

قال: فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت على ذلك.

فاصنع لي يا علي صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم أجمع وهم يومئذ أربعون رجلاً- يزيدون أو ينقصون رجلاً، فيهم أعمامه: أبوطالب وحزمة والعباس وأبولهب، فلما اجتمعوا له، دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به، ولما وضعته تناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) جذمة من اللحم فتنفها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: خذوا باسم الله.

فأكل القوم حتى صدروا ما لهم بشيء من طعام حاجه، وما أرى إلا مواضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس على بيده أن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجمعهم، ثم جئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعاً، وأيم الله أن كان الرجل الواحد منهم يشرب مثله، فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يكلمهم بدهر أبولهب إلى الكلام فقال: لشد ما سحركم صاحبكم!! فتفرق القوم، ولم يكلمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لي في الغد: يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم لي.

قال: ففعلت، ثم جمعتهم، فدعاني بالطعام، فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، وأكلوا حتى صدروا ما لهم به من حاجه ثم قال: اسقهم.

فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عزوجل أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤمن بي ويؤازرنى على أمرى فيكون أخي، ووصيى ووزيرى وخليفتى فى أهلى من بعدى؟

قال: فأمسك القوم، وأحجموا (سكتوا) عنها جميعاً، قال: فقمتم وإني لأحدثهم سنأ، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً، فقلت: أنا يا نبي الله أكون وزيرك على ما بعثك الله به...

قال: فأخذ بيدي ثم قال: إن هذا أخى ووصيى ووزيرى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه.

وفى رواية فقال: ليقوم قائمكم أو ليكونن من غيركم ثم لتندمن، ثم أعاد الكلام ثلاث مرات فقام على فبايعه ثم قال له (صلى الله عليه وآله): ادن منى، فدنا منه ففتح فاه، ومج من ريقه وتفل بين كتفيه وثديه فقال أبولهب: بئس ما حوت به ابن عمك إن أجابك فملأت وجهه وفاهه بزاقاً! فقال النبى (صلى الله عليه وآله): ملأته حكماً وعلماً وفهماً. [١٨].

وللمأمون العباسى مناظرة لطيفة ظريفة قيمة مع الفقهاء، نفتطف منها محل الحاجة: المأمون: يا إسحاق أى الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله؟ إسحاق: الإخلاص بالشهادة.

المأمون: أليس سبق إلى الإسلام؟

إسحاق: نعم.

المأمون: اقرأ ذلك فى كتاب الله يقول: (والسابقون السابقون أولئك المقربون) [١٩] إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟

إسحاق: يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن، لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

المأمون: أخبرنى أيهما أسلم قبل؟

ثم أناظره من بعده فى الحدائث والكمال.

إسحاق: على أسلم قبل أبى بكر على هذه الشريطة.

المأمون: فأخبرنى عن إسلام على حين أسلم؟ لا يخلو من أن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله؟؟ أطرقت إسحاق!!

المأمون: يا إسحاق لا تقل: إلهاماً.

فتقدمه على رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرائيل عن الله تعالى.

إسحاق: أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام.

المأمون: يا إسحاق فهل يخلو رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟؟ (أطرق إسحاق)!!

المأمون: يا إسحاق لا تنسب رسول الله إلى تكلف، فإن الله قال: (وما أنا من المتكلفين). [١٣].

إسحاق: أجل، يا أمير المؤمنين بل دعاه بأمر الله.

المأمون: فهل من صفة الجبار (جل ذكره) أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟

إسحاق: أعوذ بالله.

المأمون: أفتراه فى قياس قولك يا إسحاق أن علياً أسلم صبيلاً لا يجوز عليه الحكم قد تكلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) من دعاء الصبيان ما لا يطيقون، فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم فى ارتدادهم شىء، ولا يجوز عليهم حكم الرسول (صلى الله عليه وآله)؟؟ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله؟؟

إسحاق: أعوذ بالله... الخ.

وليس هذا بأول خطوة كبيرة خطاها (عليه السلام) إلى مراقى الصعود ولا بأول موقف مشرف وقف فيه للحق، فقد دعاه الرسول قبل ذلك إلى الاعتراف له بالنبوة والتصديق له بالرسالة، وذلك يوم بعثه الله تعالى فى غار حراء وانحدر متحملاً أعباء الرسالة وقصد بيت خديجة وفتحت له الباب وقالت: ما هذا النور؟ فأجابها: إنه نور النبوة، اشهدى يا خديجة بأن لا إله إلا الله وإنى رسول الله.

فشهدت بذلك فكانت أول امرأة آمنت، ثم دعا علياً (عليه السلام) ليشهد له بذلك فاعترف له على فكان أول من أسلم من الرجال. ويمتاز إسلام علي (عليه السلام) عن بقية المسلمين في ذلك العهد فإن الذين أسلموا على يد النبي (صلى الله عليه وآله) كان جلهم غير موحدين، بل يهوداً ونصارى ومشركين، وسبق الكفر أو الشرك إسلامهم، ولكن علياً (عليه السلام) لم تتغير فطرته التي فطره الله عليها، ولم يدنس ساحته شرك ولا كفر، بل كان موحداً وبقى على التوحيد، وازداد إيماناً بالله ويقيناً به على أثر تلك العلوم والمعارف الإلهية التي كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يزقه إياها زقاً، ولما بعث النبي بالنبوة كان علي أول من صدقه وآمن به وقام بما يتطلب ذلك التصديق والإيمان.

ولا بأس أن نذكر الشيء اليسير من الأحاديث التي تصرح بهذه الفضيلة الفريدة لعلي (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب.

ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وابن أبي الحديد في شرحه.

وأخذ النبي بيد علي فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يضافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر.

وقال أيضاً: لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين لأننا كنا نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أنا عبدالله وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى إلا كاذب مفتر، ولقد صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين، وأنا أول من صلى معه.

وقال أيضاً: أنا أول رجل أسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقال أيضاً: أنا أول من صلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقال أيضاً: أسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين.

وقال أيضاً: اللهم إني لا أعرف عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك.

(قاله ثلاث مرات) ثم قال: لقد صليت قبل أن يصلي الناس.

وقال أيضاً: بُعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء وقال في أبيات له:

سبقتكم إلى الإسلام طراً

غلاماً ما بلغت أو ان حلمي

وله أيضاً:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي

به ربيت وسبطاه هما ولدي

صدقته وجميع الناس في بهم

من الضلالة والإشراك والنكد

قال جابر: سمعت علياً ينشد بهذا ورسول الله يسمع، فتبسم رسول الله وقال: صدقت يا علي.

وكان هذا الأمر من الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعين وقد روى ذلك نظماً ونثراً عن جماعة منهم يتجاوز عددهم خمسين رجلاً، تجد ذلك بالتفصيل في الجزء الثالث من الغدير لشيخنا الأميني (رحمه الله).

ولشيخنا الأميني كلام لطيف قيم في هذا الموضوع (وكل كلامه لطيف) قال: وأما نحن فلا نقول: إنه (علياً) أول من أسلم بالمعنى الذي يحاوله ابن كثير وقومه، لأن البداية به (الإسلام) تستدعي سبقاً من الكفر، ومتى كفر أمير المؤمنين حتى يسلم؟ ومتى أشرك حتى يؤمن؟ وقد انعقدت نطفته على الحنيفة البيضاء، واحتضنه حجر الرسالة، وغذته يد النبوة، وهذبه الخلق النبوي العظيم، فلم يزل مقتصاً أثر الرسول قبل أن يصدع بالدين الحنيف وبعده، فلم يكن له هوى غير هواه، ولا نزع غير نزعته (إلى أن قال) بل نحن نقول: إن

المراد من إسلامه وإيمانه وأوليته فيهما وسبقه إلى النبي في الإسلام هو المعنى المراد من قوله تعالى عن إبراهيم الخليل (عليه السلام): (وأنا أول المسلمين). [١٤].

وفيما قال سبحانه عنه: (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) [١٥] وفيما قال سبحانه عن موسى (عليه السلام): (وأنا أول المؤمنين) [١٦] وفيما قال تعالى عن نبيه الأعظم: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) [١٧] وفيما قال: (قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم) [١٨] وفي قوله: (وأمرت أن أسلم لرب العالمين). [١٩].

وقال ابن أبي الحديد:

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله، وعبده، وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير: محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه عليه الصلاة والسلام أول الناس اتباعاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وإيماناً به، ولم يخالف في ذلك إلا الأقلون.

ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق له ذلك، وعلمه واضحاً وإليه ذهب الواقدي وابن جرير الطبري، وهو القول الذي رجحه ونصره صاحب كتاب الاستيعاب.

ابوطالب حامى الرسول

قد ذكرنا في أول كلامنا الليلة أن التربية الصحيحة إنما تتسنى للطفل عن طريق المربي والوالدين والبيت الذي يفتح الطفل فيه عيناه، فقد كان على (عليه السلام) يتلقى دروس التوحيد من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من أيام صباه ويتعلم منه العلوم الإلهية طيلة أيام كونه طفلاً ويافعاً وشاباً وخليفة، وكان يجد كل التشجيع من والده أبي طالب (عليه السلام) الذي كفّل النبي من يوم وفاة عبدالمطلب، ولم يبلغ النبي يومذاك من العمر ثمان سنين وأخذته إلى بيته وضمه إلى أهله وولده، وكان هو وزوجته السيدة فاطمة بنت أسد يبذلان كل ما فى وسعهما فى خدمة النبي والترفيه عنه حتى أنهما كانا يفضلانه على أولادهما فى المطعم والملبس والعناية والخدمة، وقام أبوطالب بما قام من أنواع العطف والحنان والرعاية والاهتمام بشأن النبي والإشادة بمواهبه فى السفر والحضر. ولأبى طالب (عليه السلام) الحظ الأوفر فى القيام بتزويج النبي من السيدة خديجة والقضاء على المشاغبات والمنافسات التى كادت أن تحول دون ذلك الزواج الميمون.

ومواقف أبى طالب فى سبيل التحفظ على النبي والدفاع عنه والحماية له من بدء بعثته إلى آخر حياة أبى طالب، مشكورة مذكورة فى تاريخ المسلمين، وإسلام أبى طالب (عليه السلام) وإيمانه بالنبي مما لا شك فيه عند كل مسلم منصف، وهذا بعض تلك البحوث الشاهدة لما نحن فيه الآن: قال ابن الأثير: إن أباطالب رأى النبي (صلى الله عليه وآله) وعلياً يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر رضى الله عنه: صل جناح ابن عمك وصل عن يساره.

وفى رواية: فقام جعفر إلى جنب على، فأحس النبي، فتقدمهما، فأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا، فانصرف أبوطالب مسروراً، وأنشأ يقول:

إن علياً وجعفرأ ثقتى

عند ملم الزمان والنُّوب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما

أخى لأمى من بينهم وأبى

والله لا أخذل النبي ولا

يخذله من بنى ذو حسب

وكان أبو طالب إذا رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لأبويه، وكان شديد الحب والحنو عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله (صلى الله عليه وآله) البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضع ابنه علياً مكانه، فقال له على ليلة: يا أبت إنى مقتول. فقال له:

اصبرنْ يا بنى فالصبر أحجى
كل حى مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد
لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغر ذى الحسب الثا
قب والباع والكريم النجيب
فأجاب على بقوله:

أتأمرنى بالصبر فى نصر أحمد
والله ما قلت الذى قلت جازعا
ولكننى أحببت أن تر نصرتى
وتعلم أنى لم أزل لك طائعا
سأسعى لوجه الله فى نصر أحمد
نبى الهدى المحمود طفلاً ويافعا

وقال القرطبي فى تفسيره: روى أهل السير قال: كان النبى قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلى، فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل لعنه الله: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبيرى فأخذ فرثاً ودماً فطخ به وجه النبى (صلى الله عليه وآله) فانفتل النبى من صلاته، ثم أتى أباطال عمه فقال: يا عم! ألا ترى إلى ما فعل بى؟ فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبى (صلى الله عليه وآله): عبد الله بن الزبيرى.

فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أباطال قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفى.

فقعدها حتى دنا إليهم، فقال: يا بنى من الفاعل بك هذا؟ فقال: عبد الله بن الزبيرى، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم، وأسأ لهم القول.

وهناك أحاديث كثيرة متواترة حول إسلام أبى طالب وإيمانه، بل وكتب طائفة من العلماء والفضلاء مؤلفات واسعة قيمة حول إيمان أبى طالب أمثال كتاب أسنى المطالب، وأبوطالب مؤمن قريش، وكتاب: الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبى طالب، وفى المجلد السابع من الغدير لشيخنا الأمينى ما يروى الغليل.

ولسيدنا أبى طالب (عليه السلام) قصائد وأبيات فى مدح النبى (صلى الله عليه وآله) والاعتراف برسالته والتصديق بنبوته، وذكر الشيخ الأمينى فى المجلد السابع من الغدير عن بعض المؤرخين: أن الأبيات التى قالها أبو طالب فى مدح النبى (صلى الله عليه وآله) قد بلغت ثلاثة آلاف ونحن نقتطف أبيتاً تصرح بإيمان أبى طالب وتفانيه فى نصره النبى، فقد كتب أبو طالب أبيتاً إلى النجاشى ملك الحبشة وهى:

ليعلم خيار الناس أن محمداً

وزير كموسى والمسيح بن مريم

أتانا بهدى مثل ما أتنا به

فكل بأمر الله يهدى ويعصم

وقال أيضاً:

ألا أبلغا عنى على ذات بينها

لويًا وخُصًا من لوي بني كعب

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً

رسولاً كموسى حُطَّ فى أول الكتب

وقال أيضاً:

يرجون أن نسخى بقتل محمد

ولم تختضب سمر العوالى من الدم

كذبتهم وبيت الله حتى تفلقوا

جماجم تلقى بالحطيم وزمزم

وقال يخاطب النبى:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوسد فى التراب دفيناً

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة

وابشر بذاك وقّر منك عيوننا

ودعوتنى وعلمت أنك ناصحى

ولقد دعوت وكنت ثم أميناً

ولقد علمت بأن دين محمد

من خير أديان البرية دينا

وقال يمدح النبى:

لقد أكرم الله النبى محمداً

فأكرم خلق الله فى الناس أحمد

وشق له من اسمه ليحمله

فذو العرش محمود وهذا محمد [٢٠].

وقال أيضاً:

كذبتهم وبيت الله نبرى محمداً

ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في رحمة وفواضل
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل
فأيده رب العباد بنصره
وأظهر ديناً حقه غير باطل
وقال أيضاً:

أوصى بنصر نبي الخير أربعة
ابنى علياً وشيخ القوم عباسا
وحمزة الأسد الحامى حقيقته
وجعفرأ أن تذودوا دونه الناسا
كونوا فداءً لكم أمى وما ولدت
فى نصر أحمد دون الناس أتراسا
وقال أيضاً:

إن ابن آمنه النبي محمداً
عندى يفوق منازل الأولا
دراعت فيه قرابه موصوله
وحفظت فيه وصيه الأجداد

وغير ذلك من قصائده وأبياته المفصلة المذكورة فى ديوانه وسجلتها كتب التراجم والتاريخ.

أما تكفى هذه الأحاديث وهذه القصائد أن تكون وثيقة لإيمان أبى طالب وإسلامه، وهل الإسلام غير هذا؟ ولو كان جزء من هذه الآثار والمآثر لأبى قحافة والخطاب أو عفان لكانوا أول المسلمين، ولكن أباطالب (عليه السلام) بالرغم من تلك المواقف والمواطن التى وقف بها للدفاع عن النبى والمحافظة على حياته فى الشعب وقبلة وبعده، وهذه الاعترافات منه بنبوته محمد ورسالته، لا تكفى للدلالة على إسلامه فيقولون: مات أبوطالب مشركاً كافراً.

فليكن كل هذا، فإن هذه الغارات التى تشن على كفىل رسول الله وناصره والمحامى عنه إنما هى لأجل ولده على (عليه السلام) فإن القوم لم يرضوا أن تكون ساحة نسب على (عليه السلام) منزهة عن كفر الجاهلية، ولم تطب نفوسهم أن تكون هذه المفاجر لعلى (عليه السلام) وسيعلمون غداً يوم يساقون إلى الحساب عما كتبت أيديهم.

على ليلة المبيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين.

قال الله تعالى: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد). [٢١].

حديثنا الليلة حول ما قام به على (عليه لسلام) من التضحية والتفادى فى سبيل رسول الله والدفاع عنه، ولقد ذكرنا فى الليلة الماضية شيئاً

يسيراً مما قام به أبوه سيدنا أبوطالب (عليه السلام) في الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله) والحماية له.

ومن هذه الليلة نبدأ بشرح ما قام به على (عليه السلام) من توطين النفس لكل بلاء ومكروه في سبيل الإسلام، ولقد صدق من قال:

ولولا أبوطالب وابنه

لما مثل الدين شخصاً وقاما

فذاك بمكة آوى وحامى

وهذا بيثرب جس الحماما

فله ذا فاتحاً للهدى

ولله ذا للمعالى ختما

فقد خلق الله تعالى علياً (عليه السلام) ليكون أحسن وزير وأشرف نصير للرسول وأوفى مدافع وأقوى مجاهد في سبيل الإسلام، ولقد تحقق الهدف الذى خلق على (عليه السلام) من أجله، وقد ذكرنا نهضته المباركة يوم الإنذار وإجابته طلب الرسول وتليته لندائه، وكانت تلك النهضة فاتحة قيامه وجهاده، إذ تجلت فيها شخصية على (عليه السلام) وعبقريته، وظهر مدى اعتماده على الله تعالى وعلى نفسه المتشعبة بالإيمان وقلبه المطمئن بذكر الله.

واستمر الأمر من ذلك اليوم فكأنه فترة التدريب أو الامتحان التمهيدي الذى لا بد منه لكل مصلح منقذ أن يجس نبض المجتمع ليكون على بصيرة أكثر فينضج فكره بالتجارب لاتخاذ التدابير اللازمة لمشروعه الذى ينوى القيام به والسير على المخطط الذى جعله برنامجاً لحياته.

ولولا خشية الافتراء على على (عليه السلام) لقلت: إن قلب على (عليه السلام) هو أقوى قلب خلقه الله فى صدور البشر، وإن أعصاب على كانت تستمد القوى من طاقه غير متناهية.

وإلا فكيف يمكن للبشر أن لا يدخل الخوف قلبه، ولا تتوتر من الأهوال أعصابه، ولا يخشى من المستقبل المبهم الغامض ولا تستولى عليه الغرائز: غريزة حب الذات، حب الحياة، الأنانية وغيرها من الطباع التى كثيراً ما تحول بين الإنسان وبين ما يريد؟

ومن هذا الحديث نذكر الشجاعة التى خامرت نفس على (عليه السلام) من صباه: عن أبي عبدالله (الصادق) (عليه السلام) أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه على (عليه السلام): يا قضم؟

قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، وأغروا به الصبيان وكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب، وشكى ذلك إلى على (عليه السلام)، فقال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله إذا خرجت فأخرجنى معك.

فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه أمير المؤمنين (عليه السلام) فتعرض الصبيان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان يقضمهم فى وجوههم وأنفهم وآذانهم، الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا على (عليه السلام) قضمنا على.

فسمى لذلك: القضم.

ولقد حاول المشركون وكفار مكة خنق الإسلام والقضاء على حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) بشتى الطرق والأساليب، فكانت حركاتهم فاشلة، وجاءوا إلى أبى طالب وسألوه أن يمنع الرسول عن سب الآلهة!! وإفساد الشبان!! وتسفيه الأحلام! فلم يجدوا التجاوب من أبى طالب (عليه السلام).

فجعلوا يحاربون النبي حرب الأعصاب، وجاءوا عن طريق التهديد والوعيد وإسناد السحر والجنون إليه، وقذفه بالحجارة وتلويث ثيابه بالدم والأقذار.

وكتبوا الصحيفة القاطعة وقاطعوا بنى هاشم أقسى مقاطعة، كل ذلك لا يزيد النبي إلا ثباتاً واستقامة، وخاصة لما نزلت عليه الآية:

(فاستقم كما أمرت) [٢٢] واستمر الحال على هذا المنوال حتى توفيت السيدة خديجة الكبرى وبعد مدة يسيرة توفى سيدنا أبو طالب، وكانا بمنزلة جناحين لرسول الله، وخيمت الأحزان على قلب الرسول حتى سمي تلك السنة (عام الحزن).

وعند ذلك خلا الجو للمشركين، واستضعفوا النبي لفقدان الناصر، وعزموا على اغتيال النبي وقتله، وإيكم التفصيل: اجتمع المشركون في دار الندوة وتذاكروا حول قتل النبي (صلى الله عليه وآله) وتقرر أخيراً أن يجتمع من كل قبيلة رجل واحد ويهجموا على النبي (صلى الله عليه وآله)، ويقتلوه في بيته، واجتمع أربعون رجلاً من أربعين قبيلة واجتمعوا على باب دار النبي (صلى الله عليه وآله) ونزل جبرائيل على النبي وأخبره بمكيده القوم وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة، فأرسل النبي إلى علي وقال له: يا علي إن الروح هبط على يخبرني أن قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي وأنه أوحى إلى عن ربي أن أهجّر دار قومي وأن أنطلق إلى غار ثور، تحت ليلتي، وأنه أمرني أن أمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري فما أنت قائل وصانع؟

فقال علي (عليه السلام): أو تسلمن بميتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم، فتبسم علي (عليه السلام) ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً لما أنبأه به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من سلامته، فكان علي (عليه السلام) أول من سجد لله شكراً، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما رفع رأسه قال له: امضى لما أمرت، فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكون فيه كمسرتك وأقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقى إلا بالله، وقال النبي (صلى الله عليه وآله) وأو أن ألقى عليك شبهة مني، أو قال: شبهي، قال: أن يمنعوني نعم، قال: فارقد على فراشي واشتمل ببردى الحضرمي، ثم إنني أخبرك يا علي أن الله تعالى يمتحن أوليائه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا ابن أم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم (عليه السلام) والذبيح إسماعيل (عليه السلام)، فصبراً صبراً، فإن رحمة الله قريب من المحسنين، ثم ضمه النبي (صلى الله عليه وآله) إلى صدره وبكى إليه وجداً به، وبكى علي (عليه السلام) جزعاً على فراق رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وفي رواية: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): أَرْضِيَتْ أَنْ أُطْلَبَ فَلَا أُوجَدُ وَتُوجَدُ؟ فَلَعَلَهُ أَنْ يَبَادِرَ إِلَيْكَ الْجَهَالُ فَيَقْتُلُوكَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَتْ أَنْ يَكُونَ رُوحِي لِرُوحِكَ وَقَاءً وَنَفْسِي لِنَفْسِكَ فِدَاءً، بَل رَضِيَتْ أَنْ يَكُونَ رُوحِي وَنَفْسِي فِدَاءً أَخ لَكَ أَوْ قَرِيبٌ...

وهل أحب الحياة إلا لخدمتك، والتصرف بين أمرك ونهيك، ولمحبة أوليائك ونصرة أصفياك ومجاهدة أعدائك. لولا ذلك لما أحببت أن أعيش في هذه الدنيا ساعة واحدة.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لعلي (عليه السلام) فإذا قضيت ما أمرتك من أمر فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وسر إلى لقدوم كتابي عليك، ولا تلبث بعده.

فانطلق النبي إلى الغار، ونام على في مكانه ولبس برده، فجاء قريش يريدون أن يقتلوا النبي (صلى الله عليه وآله)، فجعلوا يرمون علياً وهم يرون أنه النبي وكان علي (عليه السلام) يتصور (يتلوى) من الألم ولا يتكلم لئلا يعرفوه، وكان القوم يريدون الهجوم على البيت ليلاً فيمنعهم أبولهب ويقول لهم: يا قوم إن في هذه الدار نساء بنى هاشم وبناتهم، ولا تأمن أن تقع يد خاطئه إذا وقعت الصيحة عليهن، فيبقى ذلك علينا مسبةً وعاراً إلى آخر الدهر في العرب.

فجلسوا على الباب حتى طلع الفجر، فتواثبوا إلى الدار شاهرين سيوفهم، وقصدوا نحو مضجع النبي ومعهم خالد بن الوليد، فقال لهم أبو جهل: لا تقعوا به وهو نائم لا يشعر، ولكن ارموه بالأحجار لينتبه بها ثم اقتلوه، أيقظوه ليجد ألم القتل، ويرى السيوف تأخذه!! فرموه بأحجار ثقالة صائبة، فكشف عن رأسه، وقال: ما شأنكم؟ فعرفوه، فإذا هو علي (عليه السلام) فقال أبو جهل: أما ترون محمداً كيف أبات هذا ونجا بنفسه لتشتغلوا به؟ وينجو محمد، لا تشتغلوا بعلي المخدوع لينجو بهلاكه محمد، وإلا فما منعه أن يبيت في موضعه إن كان ربه يمنع عنه كما يزعم.

ثم قالوا: أين محمد؟ قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟ أستم قلم: نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم. فأرادوا أن يضربوه فمنعهم أبولهب، وقالوا لعلي: أنت كنت تخدعنا منذ الليلة (أي بنومك على فراش النبي خدعتنا وظننا أنك محمد) وبقي النبي (صلى الله عليه وآله) في الغار ثلاثة أيام وكان على يأتيه بالطعام والشراب وفي رواية: استأجر ثلاث راحل للنبي ولأبي بكر ولدليلهم.

وخرج النبي بعد ذلك من الغار وتوجه نحو المدينة.

روى الثعلبي في تفسيره قال: لما أراد النبي (صلى الله عليه وآله) الهجرة خلف علياً (عليه السلام) لقضاء ديونه، ورد الودائع التي كانت عنده وأمر ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، وقال له يا علي: اتشح ببردى الحضرمي، ثم نم على فراشي فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله، ففعل ما أمره، فأوحى الله عزوجل إلى جبرائيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختر كل منهما الحياة، فأوحى الله عزوجل إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد (صلى الله عليه وآله) فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فترلا، فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبرائيل يقول: بخ بخ! من مثلك يا بن أبي طالب، يباهي الله بك ملائكته؟؟ فأنزل الله عزوجل على رسوله (صلى الله عليه وآله) وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد). [٢٣].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): نزل على جبرائيل صبيحة يوم الغار، فقلت: حبيبي جبرائيل أراك فرحاً، فقال: يا محمد وكيف لا أكون كذلك وقد قرت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيك وإمام أمتك علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقلت: بماذا أكرمه الله؟ قال: باهى بعبادته البارحة ملائكته، وقال: ملائكتي! انظروا إلى حجتي في أرضي بعد نبوي وقد بذل نفسه، وعفر خده في التراب تواضعاً لعظمتي، أشهدكم أنه إمام خلقي ومولى بريتي.

وكان علي (عليه السلام) يعترز ويفتخر بهذه الموقية التي نالها من عند الله تعالى فقال شعراً:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى

ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحر

محمد لما خاف أن يمكروا به

فوقاه ربي ذو الجلال من المكرو

بئ أراعيهم متى ينشرونني

وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وبات رسول الله في الغار آمناً

هناك وفي حفظ الإله وفي ستر

أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص

قلائص يفرين الحصى أينما تفرى

إن هذا العمل العظيم الذي قام به الإمام العظيم علي (عليه السلام) وقع من أهل السماوات موقع الإعجاب والإكبار والتقدير، وهذه الموساة هي الفريدة من نوعها في تاريخ الإسلام بل وفي تاريخ الأنبياء، فلا غرو ولا عجب إذا طأطأ العظماء رؤوسهم إجلالاً لعلي (عليه السلام) ونثروا الثناء الجميل نظماً ونثراً، ولم ينحصر التنويه والإشادة بهذه المكرمة بالمسلمين، بل شاركهم من غير المسلمين كل من تطبع بروح الفضيلة وحمل بين جوانح صدره قلباً وعي جزءاً من الفتوة والشهامة والنجدة وكل يعمل على شاكلته، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

أما من المسلمين فالسيد ابن طاووس له كلام لطيف وتحقيق ظريف سنذكره.

وأما من غير المسلمين فأحدهم جورج جرداق الكاتب المعاصر وبولس سلامة في ملحمة الغدير، ونكتفي هنا بكلام ابن طاووس وجورج جرداق وبولس سلامة.

قال السيد ابن طاووس في كتاب الإقبال...

ومن أسرار هذه المهاجرة: أن مولانا علياً (عليه السلام) بات على فراش المخاطرة وجاد بمهجته لمالك الدنيا والآخرة ولرسوله (صلى الله عليه وآله) فاتح أبواب النعم الباطنة والظاهرة، ولولا ذلك المبيت واعتقاد الأعداء أن النائم على الفراش هو سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) لما كانوا صبروا عن طلبه إلى النهار حتى وصل إلى الغار، فكانت سلامة صاحب الرسالة من قبل أهل الضلالة صادرة عن تدبير الله جل جلاله بمبيت مولانا علي (عليه السلام) في مكانه وآية باهرة لمولانا علي (عليه السلام) شاهدة بتعظيم شأنه، وأنزل الله جل جلاله في مقدس قرآنه: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) [٢٤] فأخبر أن لمولانا علي (عليه السلام) كانت بيعاً لنفسه الشريفة، وطلباً لرضاء الله جل جلاله دون كل مراد، وقد ذكرنا في الطرائف من روى هذا الحديث من المخالف، ومباهاة الله جل جلاله تلك الليلة بجبرائيل وميكائيل في بيع مولانا علي (عليه السلام) بمهجته، وأنه سمح بما لم يسمح به خواص ملائكته.

ومنها: أن الله جل جلاله زاد مولانا علياً (عليه السلام) من القوة الإلهية والقدرة الربانية إلى أنه ما قنع له أن يفدى النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه الشريفة، حتى أمره أن يكون مقيماً بعده في مكة مهاجراً للأعداء قد هربه منهم وستره بالمبيت على الفراش وغطاه عنهم، وهذا ما لا يحتمله قوة البشر إلا بآيات باهرة من واهب النفع ودافع الضرر.

ومنها: أن الله عز وجل لم يقنع لمولانا علي (عليه السلام) بهذه الغاية الجليلة حتى زاده من المناقب الجميلة، وجعله أهلاً أن يقيم ثلاثة أيام بمكة لحفظ عيال سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأن يسير بهم ظاهراً على رغم الأعداء وهو وحيد من رجاله، ومن يساعده على ما بلغ من المخاطرة إليه.

ومنها: أن فدية مولانا علي (عليه السلام) لسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت من أسباب التمكين من مهاجرته ومن كل ما جرى من السعادات والعنايات بنبوته، فيكون مولانا علي (عليه السلام) قد صار من أسباب التمكين من ما جرت حال الرسالة عليه ومشاركاً في كل خير فعله النبي (صلوات الله عليه)، وبلغ حاله إليه، وقد اقتضت في ذكر أسرار المهاجرة الشريفة النبوية على هذه المقامات الدينية، ولو أردت بالله جل جلاله أوردت مجلداً منفرداً في هذه الحال، ولكن هذا كاف شاف للمنصفين وأهل الإقبال.

وقال الكاتب المسيحي جورج جرداق في كتابه: (صوت العدالة الإنسانية): أما علي بن أبي طالب، فما كان أعجب أمره يوم غامر في سبيل عقيدته التي هي عقيدة محمد بن عبدالله، وفي سبيل الحق ورعاية الشرف والإخاء هذه المغامرة التي لم يعرف التاريخ أجل منها، وأقوى وأدل على وحدة الذات بين عظيم وعظيم.

وإنها لإرادة على التضحية قل أن تجد لها مثيلاً إلا في الظروف النادرة التي تقف بها النفس الإنسانية الواعية بين حالين من وجود وفناء في حيز من إدراك معنى الوجود على مثال خاص.

فإما أن تؤثر لهذا الجسد عيشاً يقربه دون ما يحييه من قيم الحياة الصاعدة، فتنكر هذه القيم وتفضل عليها وجوداً هو أشبه بالفناء من حيث أن الوجود حياة تحيا! وإما أن تؤثر لهذا الكيان الإنساني انصهاراً بكليات القيم دونما نظر إلى وجود عضوى لا يتصل بروح الوجود الفذ، فتأتى هذه القيم سالكاً إليها طريق التهلكة.

وما فناؤك آنذاك إلا دليل على أن الوجود إنما هو لديك حياة تحيا لا عيش يعاش!

أجل، إنها لتضحية قل أن تجد لها مثيلاً إلا في اختيار سقراط للموت وفي مسلك غيره من السقراطية، تضحية علي بن أبي طالب يفدى النبي بنفسه راضياً مختاراً على صورة أهون منها على لقاء الموت في ساحة القتال، أو على شفاه قمقم السم! فما أصعب على المرء أن

يأخذ مكان رجل حكم عليه المجرمون بالقتل.

وأن يرقد في فراشه فلا يخطئه هؤلاء إذا دخلت إرادتهم طور التنفيذ وهم منه على خطوات ينظرون إليه ويسمع إليهم.

ثم إنه يتربص بين حين وحين رؤية أنظارهم تتواضع بالغدر تحت عينيه، وسيوفهم تتلامع بالموت فوق رأسه، طوال ليلة كاملة!

لقد كان على بمغامرته هذه استمراراً لمحمد.

وكانت تضحيته من روح المقاومة التي عرف بها ابن عمه العظيم، وكان مبيتته في فراش النبي تزيئة للدعوة وحافزاً على الجهاد

الطويل! ثم إن في هذه المغامرة ما يوجز الحقيقة عن الإمام وطباعه ومزاجه، فإذا هي صادرة عنه كما تصدر الأشياء عن معادنها دون

تكلف ودون إجهاد.

ففيها نموه الذهني المبكر الذي جعله يدرك من الدعوة التي يدق فهمها فهماً صحيحاً على من كان في مثل سنه.

وفيهما زهده بالحياة إذا لم تكن عمراً لمكارم الأخلاق.

وفيهما صدقه المر وإخلاصه العجيب.

وفيهما عدله بين نفسه وبين سواه من أهل الجهاد وما يتوخاه بذلك من نصره للمظلومين والمستضعفين إذا قتل هو ونجحت الرسالة

على يدي صاحب الهجرة.

وفيهما مواجهته للأمور بسماحة وبساطة لا يعرف معهما إلى الكلفة سيلاً.

وفيهما المروءة والوفاء والطيبة والشجاعة وسائر صفات الفروسية التي يمثلها على بن أبي طالب.

بل قل هي شيء من استشهاده المقبل وقال الأستاذ بولس سلامة في ملحمة الغدير:

هزه الشوق للنبي فشد

العزم يهفو إلى جماع المآثر

في رمال الصحراء يسرى وحيداً

مقفر الكف أعوزته الأباغر

صابر في العذاب والجوع حتى

عجب القفر من تقشف صابر

إلى أن يقول:

لا فراش سوى الثرى، لا غطاء

لا ضياء سوى النجوم الزواهر

فيناغى السهى يصعد فى الأج

واء طرفاً يشق ستر الدياجر

إن هذا الصمت الرهيب لقدس

يغسل المرء بالعذاب الصاهرفا

لخطوب الجسام والألم المم

دود وحي مطهر للضمائر

فإذا كان طاهراً كعلى

شد لله قلبه بأواصر

يذكر الله بكره وعشيا

ويصلى فى كل ومضة خاطر
فالمناجاة والصلاة عطور
تتعالى إلى السماء مباخر
يا رمال الصحراء هذا على
فاملئى الدرب والصفاف أزاهر
هو بعد النبى أشرف ظل
لاح فى السبب الخلى مهاجر
حملى أجنح الأثير نسيماً
من جفون الأسحار ريان عاطروا
بسطى حوله الزنابق فرشاً
وانشرى فوقه الغمام مقاصر

على والهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيد أنبياء الله محمد وآله سادات أولياء الله.

ومن كلام لإمامنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام): (أما إنه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبى والبراءة منى).

فأما السب فسبوني فإنه لى زكاة ولكم نجاه، وأما البراءة فلا تتبرأوا منى فإنى ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة).

هذه الجملات تجدونها فى أكثر كتب الحديث وخصوصاً فى كتاب نهج البلاغة فى ضمن خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام). أخبر الإمام الناس باستيلاء معاوية على رقاب المسلمين، وذكر صفه من رذائله وهى كثرة الأكل وعدم الشبع لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا عليه بقوله: (لا أشبع الله بطنه).

ولسنا الآن فى مقام التحدث عن معاوية ونفسياته وإنما نقتطف من هذه الجملات جملة واحدة، ونجعلها محور حديثنا الليلة، وهى قوله (عليه السلام): (سبقت إلى الإيمان والهجرة) أما السبق إلى الإسلام والإيمان فقد مضى الكلام عنه، وأما السبق إلى الهجرة، فليس المقصود من الهجرة الانتقال من بلد إلى آخر، ولا يعد هذا فضيلة، فما أكثر المهاجرين! ولعل المقصود من الهجرة هو ترك الوطن وكل ما فيه الله وفى الله، وقد قال تعالى: (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) [٢٥] وهذه الآية فى شأن المجاهدين الذين يقتلون فى سبيل الله والحجاج الذين يموتون فى طريق الحج.

والله تعالى يفضل المهاجرين على غيرهم لأنهم تركوا كل ما كانوا يملكون من المال والأهل والولد لأجل المحافظة على دينهم والتخلص من المشركين الذين كانوا يحاربون المسلمين أشد محاربة.

وعلى (عليه السلام) سبق المسلمين إلى الهجرة، وقد اتفق المؤرخون وأجمعوا على أن علياً هو أول من التحق بالرسول وهو فى المدينة وذلك بعد أن رد الودائع والأمانات إلى أهلها وعزم على الخروج من مكة إلى المدينة، وقد ذكر المؤرخون: أن أبابكر هاجر مع النبى من الغار إلى المدينة فيمكن لنا أن نقول: أن خطاب على (عليه السلام) كان موجهاً إلى الناس المخاطبين فى ذلك اليوم وليس فيهم أبوبكر، وعلى سبق المسلمين إلى الهجرة، ويمكن أن نناقش فى خروج أبى بكر مع النبى بأنه لم يقصد الهجرة أى ترك مكة وما فيها وإنما خرج مداراةً ومجاراةً وصحبةً مع النبى وسايه حتى وصل إلى قباء خارج المدينة.

وعلى خرج من مكة بهذا القصد، وترك وراءه كل شيء، فيصح أن يقال عنه: إنه أول المهاجرين على الإطلاق، ويمكن أن يكون المقصود الهجرة إلى الدين كما قال تعالى عن لسان لوط: (إني مهاجر إلى ربي) [٢٦] وأما كيفية هجرته على (عليه السلام) من مكة إلى المدينة فقد رواها المحدثون بهذه الكيفية: كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه، وقله التلوم، وكان الرسول بعث إليه أبواقده الليثي، فلما أتاه كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) تهيأ للخروج والهجرة.

قال ابن شهر آشوب: واستخلفه الرسول (صلى الله عليه وآله) لرد الودائع، لأنه كان أميناً، فلما أداها قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانته؟ هل من صاحب وصية؟ هل من عدة له قبل رسول الله؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبى. وقال ابن شهر آشوب أيضاً: أمره النبى أن يؤدي عنه كل دين وكل وديعة وأوصى إليه بقضاء ديونه، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسللوا ويتخفوا إذا ملأ الليل بطن كل واد إلى ذوى طوى، وخرج على (عليه السلام) بفاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وقد قيل: هي ضباعه، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأبوواقده رسول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال على (عليه السلام): ارفق بالنسوة أبواقده! إنهن من الضعائف، قال: إني أخاف أن يدركنا الطالب أو قال: الطلب فقال على (عليه السلام): أرفع عليك، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لى: يا على إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه، ثم جعل يعنى علياً (عليه السلام) يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:

ليس إلى الله فارفع ظنكا

يكفيك رب الناس ما أهمكا

وسار، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب سبع فوارس من قريش مستلثمين وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى جناحاً، فأقبل على (عليه السلام) على أيمن وأبى واقده وقد ترى القوم فقال لهما: أنيخا الإبل وأعقلاها. وتقدم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم على (عليه السلام) منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة، ارجع لا أبالك، قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أو لترجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك. ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها، فحال على (عليه السلام) بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ على (عليه السلام) عن ضربته، وتختله على (عليه السلام) فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كائبة فرسه، فكان على (عليه السلام) يشد على قدمه شد الفرس، أو الفارس على فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد

آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه، فقالوا له: اغن عنا نفسك يا ابن أبى طالب، قال: فإني منطلق إلى ابن عمى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيثرب، فمن سره أن أفرى لحمه وأهريق دمه فليتبغنى، أو فليدن منى، ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبى واقده فقال لهما: أطلقا مطاياكما، ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلبثوا هناك هو والفواطم: أمه فاطمة بنت أسد رضى الله عنها، وفاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) وفاطمة بنت الزبير يصلون لله ليلتهم ويذكرونه قياماً وعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلى على (عليه السلام) بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه، فجعل وهم يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عزوجل ويرغبون إليه كذلك حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: (الذين يذكرون الله قياماً وعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً) [٢٧] إلى قوله: (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو

أنثى). [٢٨].

ولما نزل الرسول (صلى الله عليه وآله) بقاء خارج المدينة بقي ينتظر قدوم على (عليه السلام)، فقال له أبوبكر: انهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر علينا، فما أظنه يقدم إليك إلى شهر، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): كلا، ما أسرع.

ولست أريم حتى يقدم ابن عمى وأخى فى الله عزوجل وأحب أهل بيتى إلى فقد وقانى بنفسه من المشركين فبقى النبى (صلى الله عليه وآله) خمسة عشر يوماً فوافى على بعياله وقد تفتت قدماه فاعتنقه النبى وبكى رحمة لما بقدميه من الورم. وتفل فى يديه وأمرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك أبداً.

اقتران النورين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على رسول الله وعلى آله آل الله.

قال الله تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم). [٢٩].
النكاح من سنن الله تعالى فى عباده، والمقصود منه التناسل والتكاثر تحت ظل القانون الإلهى، وليس الهدف منه إشباع الغريزة الجنسية فقط بل هو فى ضمنه وإنما هو كالحصن يحفظ الإنسان من فساد الخلعة وويلات الفجور.

والهدف الأسمى من النكاح هو: تأسيس بيت عائلى لتكوين جيل يربط الوالدين بتقبل المسؤوليات التى يتطلبها الجيل من بدو إيجاده إلى أن يقطع أدوار الحياة، وأطوارها من جنين ووليد ورضيع وفتيم وصبى وغلالم ومراهق وشاب ويافع، أو بنت وشابة وفتاة وامرأة. فالنسل بحاجة ماسة فى أدواره إلى الكفيل والمربى والمنق والمؤدب والولى، إلى جانب حاجته إلى الرضاعة والحضانة والتربية والعناية والخدمة وتأمين لوازم الحياة من المأكل والملبس والمسكن والتعليم وما شابه ذلك.

ولا يندفع أحد إلى تحمل هذه المسؤوليات كما يندفع الوالدان، ولا أظن أنى أحتاج فى هذا البحث إلى إقامة الدليل والبرهان. فهل تكون المرضعة كالأُم؟، وهل الموظفات فى دور الحضانة والروضات يسهرن الليالى للطفل المريض كما تسهر الأم الحنون؟؟ وقد قيل: ليست الثكلى كالمستأجرة، فهناك فرق كبير وبون شاسع بين من يندفع للعناية والرعاية بالأطفال بدافع الأبوة والعاطفة والمحبة التى لا يكدرها شىء، وبين من يتحمل مسؤولية بدافع الراتب والوظيفة.

وإدراك أهمية هذا الموقف كثيراً ما يحول بين الوالدين وبين إجابة رغبات الأولاد وتحقيق هواياتهم التى لا تسمن ولا تغنى من جوع، فالارتباط بالعائلة يدفع الإنسان إلى التفكير حول تأمين حياته والخوض فى معركة العمل المثمر والإنتاج المفيد، وفى الوقت نفسه يردعه عن كل مجازفة تهدد كيانه وحرية وتعرقل عليه المساعى كالإقدام على جريمة القتل أو ارتكاب الجنايات التى تؤدى إلى شقاء الوالدين.

وإن هذه الأحزاب والمبادئ التى استولت على الشباب واستنزفت منهم كل نشاط وطاقه لم تنجح إلا بعد أن تقهقرت سنة الزواج بين المسلمين، وكثر عدد العزاب والبطالين الذين لا تربطهم بالحياة البيئية والعائلية أية رابطة أو مسؤولية، ولعل الحديث المروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) يشير إلى هذا الموضوع حيث قال (عليه السلام): من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليقت الله فى النصف الآخر.

هذا والبحث طويل والكلام يحتاج إلى تفصيل، وقد ذكرنا هذه المقدمة لحديثنا العذب فى هذه الليلة.

العراقيل والمشاكل التى سدت على شبابنا طرق الزواج وجعلتهم يهابون النكاح ولا يهابون السفاح، ويفضلون الكبت والضغط (على غرائزهم) أو يرجحون الفساد والمجون على انتخاب زوجة تشاركهم حلو الحياة ومرها وأفراحها وأتراحها.

هذه العراقيل كانت موجودة فى الجاهلية ولكن بصورة أخرى.

كغلاء المهر والعصبيات القبليّة وما شاكلها، فتكونت عندهم الأزمات بجميع أقسامها، واشتدت الحالة حتى أدت إلى دفن البنات وهن في قيد الحياة، قال تعالى: (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) [٣٠] وقال عزوجل: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون). [٣١].

فكان من جملة الخطوات الإصلاحية التي قام بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو القضاء على هذه العادات الجهنمية والتقاليد الجاهلية، وإلى هذه الناحية أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم). [٣٢].

ولم يكتف الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله) بمكافحة هذه السيئات ن طريق اللسان، فالكلام وحده لا يجدي، وإنما قام الرسول بفك هذه الأغلال عن طريق العمل.

فمن جملة ذلك: أنه زوج ابنته الطاهرة سيده نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأبسط ما يمكن، وتجسم التساهل في ذلك الزواج المبارك بخفة المؤونة وانتهاء الأمر بكل بساطة بعيداً عن التكاليف المجهدة المتعبة التي يفر من شبها الشباب المغلول بسلاسل التقاليد ويفضل العزوبة على الزواج المقرون بالمشاكل، وإليكم الواقعة:

لما أدركت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) مدرك النساء أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام، والشرف والمال، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أعرض عنه رسول الله بوجهه، حتى كان الرجل منهم يظن في نفسه أن رسول الله فيه وحى من السماء.

ولقد خطبها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبوبكر، فقال له رسول الله: أمرها إلى ربها، وخطبها بعد أبي بكر عمر بن الخطاب، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) كمقاتله لأبي بكر.

فجاء أبوبكر وسعد بن معاذ إلى علي (عليه السلام) وهو خارج المدينة يسقى نخلاً له، وسألاه عما يمنعه عن خطبة فاطمة (عليها السلام) فقال لهما علي: ما يمنعني إلا الحياء وقله ذات اليد (المال) فقال له سعد: اذهب إلى رسول الله واخطب منه فاطمة، فإنه يزوجك، والله ما أرى رسول الله يحبسها إلا عليك.

فقال علي: فأقول ماذا؟ فقال سعد: تقول: جئت خاطباً إلى الله ورسوله فاطمة بنت محمد.

فأقبل علي (عليه السلام) يقصد دار النبي، وهبط جبرائيل على الرسول وأخبره بمجيء علي، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في دار أم سلمة، فمد علي الباب، فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها الرسول من قبل أن يقول علي: أنا: قومي يا أم سلمة فافتح له الباب، ومريه بالدخول، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما.

فقال أم سلمة: فداك أبي وأمي، ومن هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره؟ فقال: مه يا أم سلمة، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق [٣٣] هذا أخي وابن عمي وأحب الخلق إلى.

فقامت أم سلمة وفتحت الباب وإذا هو علي بن أبي طالب قالت أم سلمة: والله ما دخل حين فتحت الباب حتى علم أني رجعت إلى خدرى، ثم دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال النبي: وعليك السلام اجلس.

فجلس علي، وجعل ينظر إلى الأرض، كأنه قصد لحاجته وهو يستحي أن يبيدها، فهو مطرق إلى الأرض حياء من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال النبي: إنني أرى أنك أتيت لحاجة، فقل ما حاجتك؟ وأبد ما في نفسك فكل حاجة لك مقضية.

فقال علي (عليه السلام): فداك أبي وأمي، إنك لتعلم أنك أخذتني من عمك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي، فغذيتني بغذائك وأدبتني بأدبك، فكنت إلى أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة، وأن الله تعالى هداني بك وعلي

يديك وأنت (والله) يا رسول الله ذخرى وذخيرتى فى الدنيا والآخرة.

يا رسول الله: فقد أحببت مع ما شد الله من عضدى بك أن يكون لى بيت وأن يكون لى زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً، أخطب إليك ابنتك فاطمة! فهل أنت مزوجى يا رسول الله؟ فتهلل وجه رسول الله فرحاً وسروراً، ثم تبسم فى وجه على وقال: فهل معك شىء أزوجك به؟ فقال على: فداك أبى وأمى، والله ما يخفى عليك من أمرى شىء، أملكك سيفى ودرعى وناضحى (البعير الذى يحمل عليه الماء) وما لى شىء غير هذا.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا على أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به فى سبيل الله وتقاتل به أعداء الله. وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك فى سفرك ولكنى قد زوجتك بالدرع، ورضيت بها منك. يا على أبشرك؟.

فقال: نعم فداك أبى وأمى، بشرنى فإنك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر، رشيد الأمر، صلى الله عليك.

فقال (صلى الله عليه وآله): ابشر فإن الله قد زوجكها فى السماء من قبل أن أزوجك فى الأرض.. إلى آخر كلامه.

ثم قال: يا على إنه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة فى وجهها ولكن على رسلك حتى أخرج إليك فدخل عليها فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعليه وأتته بالوضوء فوضئته بيدها وغسلت رجله ثم قعدت فقال لها: يا فاطمة فقالت: لىك ما حاجتك يا رسول الله؟ قال: إن على بن أبى طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه وإنى قد سألت ربه أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه وقد ذكر عن أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت ولم تول وجهها ولم ير فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتها إقرارها، فمضى على إلى المسجد، وجاء رسول الله فى أثره، وفى المسجد المهاجرون والأنصار، فصعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على درجة من المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر المسلمين إن جبرائيل أتانى آنفاً فأخبرنى عن ربه عزوجل أنه جمع الملائكة عند البيت المعمور وأنه أشهدهم جميعاً أنه زوج أمته فاطمة بنت رسول الله من عبده على بن أبى طالب، وأمرنى أن أزوجه فى الأرض وأشهدكم على ذلك، ثم جلس وقال لعلى: قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك: فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى (صلى الله عليه وآله) وقال: الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه، ولا إله إلا الله شهادةً تبلغه وترضيه، وصلى الله على محمد صلاةً تزلفه وتحظيه، والنكاح مما أمر الله عزوجل به ورضيه، ومجلسنا هذا مما قضاه الله وأذن فيه، وقد زوجنى رسول الله ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعى هذا وقد رضيت بذلك فاسألوه واشهدوا.

فقال المسلمون لرسول الله (صلى الله عليه وآله): زوجته يا رسول الله؟ فقال: نعم. فقالوا بارك الله لهما شملهما.

وانصرف رسول الله إلى أزواجه وأقبل فقال: يا على انطلق الآن فبع درعك وائتنى بثمانى حتى أهبى لك ولابنتى فاطمة ما يصلحكما قال على: فانطلقت فبعته بأربعمائة درهم سود هجريه وقيل بأربعمائة وثمانين أو خمسمائة من عثمان بن عفان فلما قبضت الدراهم أقبلت إلى رسول الله وطرح الدراهم بين يديه، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأبى بكر فدفعها إليه وقال: اشتر بهذه الدراهم لابنتى ما يصلح لها فى بيتها، وبعث معه سلمان وبلالاً ليعيناه على حمل ما يشتره، قال أبوبكر: أحصيت الدراهم التى أعطانيها ثلاثة وستين درهماً فانطلقت واشترت فراشاً من خيش مصر محشواً بالصوف، ونطعاً من آدم، ووسادة من آدم حشوها من ليف النخل، وعباءة خيبرية، وقربة للماء، وكيزاناً، وجراراً، ومطهرة للماء، وستر صوف، رقيقاً وحملناه جميعاً حتى وضعناه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما نظر إليه بكى، وجرت دموعه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بارك لقوم جل آيتهم الخزف! قال على: ودفع رسول الله باقى ثمن الدرع إلى أم سلمة فقال: اتركى هذه الدراهم عندك.

ومكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى أمر فاطمة بشىء استحياء من رسول الله غير أنى كنت إذا خلوت برسول الله يقول لى: يا أبا الحسن ما زوجتك سيدة نساء العالمين.

قال على: فلما كان بعد شهر دخل على أخى عقيل بن أبى طالب فقال: يا أخى ما فرحت بشىء كفرحى بتزويجك فاطمة بنت محمد

(صلى الله عليه وآله)، يا أخى فما بالك لا تسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدخلها عليك فتقر عيناً باجتماع شملكما؟ قال على: والله يا أخى إنى لأحب ذلك وما يمنعنى من مسأله إلا الحياء منه، فقال: أقسمت عليك إلا قمت معى.

فقمنا نريد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلقيتنا فى طريقنا أم أيمن مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فذكرنا ذلك لها فقالت لا تفعل ودعنا نحن نكلمه، فإن كلام النساء فى هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال.

ثم اثنت راجعة فدخلت على أم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبى فاجتمعن عند رسول الله وكان فى بيته عائشة فأحذقن به وقلن: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة فى الأحياء لقرت بذلك عينها.

قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: خديجة! وأين مثل خديجة؟ صدقتنى حين كذبنى الناس وآزرتنى على دين الله وأعانتنى عليه بمالها!! إن الله عزوجل أمرنى أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب الزمرد، لا صحب فيه ولا نصب.

قالت أم سلمة فقلنا: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك، غير أنها قد مضت إلى ربها فهأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها فى درجات جنته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله وهذا أخوك فى الدنيا وابن عمك فى النسب على بن أبى طالب (عليه السلام) يحب أن تدخل عليه زوجته فاطمة تجمع بها شمله.

فقال: يا أم سلمة فما بال على لا يسألنى ذلك؟ فقلت: الحياء منك يا رسول الله.

قالت أم أيمن: فقال لى رسول الله (صلى الله عليه وآله): انطلقى إلى على فأتىنى به، فخرجت من عند رسول الله، فإذا على ينتظرنى، ليسألنى عن جواب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وحضر على (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): هبى منزلاً حتى تحول فاطمة إليه، فقال على (عليه السلام): يا رسول الله ما هاهنا منزل إلا منزل حارثة بن النعمان وكان لفاطمة (عليها السلام) يوم بنى بها أمير المؤمنين (عليه السلام) تسع سنين، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): والله لقد استحيينا من حارثة بن النعمان قد أخذنا عامة منزله.

فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أنا ومالى لله ولرسوله، والله ما شىء أحب إلى مما تأخذه والذى تأخذه أحب إلى مما تتركه، فجزاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) خيراً، فحولت فاطمة إلى على (عليه السلام) فى منزل حارثة، وبسطوا فى بيت على كثيراً (الرملة)، ونصبوا عوداً يوضع عليه السقاء (القربة) وستره بكساء ونصبوا خشبة من حائط إلى حائط للثياب وبسط جلد كبش ومخدة ليف.

فقال النبى (صلى الله عليه وآله): يا على اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، فجاء أصحابه بالهدايا، فأمر النبى فطحن البر (الحنطة) وخبز، وذبح الكبش واشترى على تمرأ وسمناً، وأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحسر عن ذراعيه، وجعل يشدخ التمر فى السمن فقال النبى: يا على ادع من أحببت.

قال على: فأتيت المسجد وهو غاص بالناس، فناديت: أجيوا إلى وليمة فاطمة بنت محمد، فأجابوا من النخلات والزروع، وأقبل الناس إرسالاً وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، وسائر نساء المدينة، ورفعوا منها ما أرادوا، ولم ينقص من الطعام شىء، ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصحاف (الأوانى) فملئت، ووجه بها إلى منازل أزواجه ثم أخذ صحفة، وقال: هذه لفاطمة وبعلمها.

(عن ابن بابويه): أمر النبى (صلى الله عليه وآله) بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين فى صحبة فاطمة سلام الله عليها وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضى الله.

قال جابر: فأركبها على ناقته وفى رواية على بغلته الشهباء وأخذ سلمان زمامها والنبى وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ونساء النبى (صلى الله عليه وآله) قدامها يرجزن، فأنشأت أم سلمة تقول:

سرن بعون الله جارأتى

واشكرنه في كل حالات
 واذكرن ما أنعم رب العلا
 من كشف مكروه وآفات
 فقد هدانا بعد كفر وقد
 أنعشنا رب السماوات
 وسرن مع خير نساء الوري
 تفدى بعمات وخالات
 يا بنت من فضله ذو العلا
 بالوحي منه والرسالات
 وقالت عائشة:
 يا نسوة استترن بالمعاجر
 واذكرن ما يحسن في المحاضر
 واذكرن رب الناس إذ يخصنا
 بدينه مع كل عبد شاكر
 والحمد لله على أفضاله
 والشكر لله العزيز القادر
 سرن بها فالله أعطى ذكرها
 وخصها منه بطهر طاهر
 وقالت حفصة:
 فاطمة خير نساء البشر
 ومن لها وجه كوجه القمر
 فضلك الله على كل الوري
 بفضل من خص بآي الزمر
 زوجك الله فتى فاضلاً
 أعنى علياً خير من في الحضر
 فسرن جاراتي بها فإنها
 كريمة بنت عظيم الخطر
 وقالت معاذة أم سعد بن معاذ:
 أقول قولاً فيه ما فيه
 وأذكر الخير وأبديه
 محمد خير بني آدم
 ما فيه من كبر ولا تيه
 بفضل عرفنا رشدنا

فالله بالخير يجازيه

ونحن مع بنت نبي الهدى

ذى شرف قد مكنت فيه

فى ذروة شامخة أصلها

فما أرى شيئاً يدانيه

وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز ثم يكبرن ودخلن الدار ثم أنفذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى على (عليه السلام) ثم دعا فاطمة سلام الله عليها فأخذ يدها ووضعها فى يده وقال: بارك الله فى ابنة رسول الله.

يا على: نعم الزوجة فاطمة ويا فاطمة نعم الزوج على، ثم قال: يا على هذه فاطمة وديعتى عندك، ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله): اللهم اجمع شملهما، وألف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنه النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل فى ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك، اللهم إنهما أحب خلقك إلى، فأحبهما واجعل عليهما منك حافظاً وإنى أعيدهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم.

ثم خرج إلى الباب وهو يقول: طهر كما وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله، وأستخلفه عليكما.

وباتت أسماء عندهما فى البيت، وأصبح الصباح، وجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى زيارة العروسين، وقال: السلام عليكما، أَدْخَلَ؟ ففتحت أسماء الباب فدخل النبي، فسأل علياً (عليه السلام): كيف وجدت أهلِكَ؟ قال: نعم العون على طاعة الله، وسأل فاطمة فقالت: خير بعل، وجاء النبي بعس (قدح) فيه لبن فقال لفاطمة: اشربى فداك أبوك، وقال لعلى: اشرب فداك ابن عمك.

ثم قال (صلى الله عليه وآله): يا على آتىنى بكوز من ماء، فجاء على بكوز من ماء فتفل فيه ثلاثاً، وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى ثم قال: يا على اشربه، واترك فيه قليلاً ففعل على ذلك.

فرش النبي (صلى الله عليه وآله) باقى الماء على رأسه وصدرة، ثم قال: أذهب الله عنك الرجس يا على وطهرك تطهيراً. وأمره بالخروج من البيت وخلقى بابنته فاطمة وقال: كيف أنت يا بنية؟ وكيف رأيت زوجك؟ قالت: يا أبة خير زوج إلا أنه دخل على نساء من قريش وقلن لى: زوجك رسول الله من فقير لا مال له. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا بنية ما أبوك بفقير، ولا بعلك بفقير.

ولقد عرضت على خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي عزوجل، يا بنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمحت الدنيا فى عينيك، والله يا بنية ما ألوتك نصحاً، إنى زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً، يا بنية إن الله عزوجل اطلع إلى الأرض اطلاعةً فاختر من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك. يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصى له أمراً. [٣٤].

على والجهاد

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وصلى الله على سيد العرب والعجم محمد وآله أهل الجود والكرم.

قال الله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) [٣٥] الآية.

الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحافظ على الأمن والسلام، وهو الذي يحافظ على النفوس والأموال والحقوق أكثر من أي دين آخر، وأبغض شيء عند الإسلام هو إراقة دماء البشر وسلبهم نعمه الحياة بغير حق، ولكن الشرع والعقل والقانون يسمح بإراقة دم كل من يقف حجر عثرة في سبيل إسعاد أبناء البشر.

مثلاً: بلدة ليس فيها طبيب ولا دواء، وقد انتشرت فيهم الأمراض وأخذت منهم كل مأخذ، فجاء طبيب يداوى المرضى ويهب لهم الدواء مجاناً وبلا عوض، ويصلح كل ما فسد منهم ويعيد إليهم ما فقدوه من الصحة والعافية والسلامة ليعيشوا سعداء أصحاء.

وإذا بجماعة يحولون بين الطبيب وبين تداوى الناس ويحاربونه بكل ما لديهم من قوة ليحطوا من نشاط الطبيب، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وكلمما صاح فيهم الطبيب وصرخ وذكر لهم الهدف الذي يبتغيه لأجلهم وهو الخير ازدادوا عناداً، وجعلوا يهددون المرضى الذين قد تحسنت صحتهم ولمسوا العافية من نصائح الطبيب بالوعيد، وكأن هؤلاء لا يعجبهم أن يروا السلامة والصحة تخيمان على رؤوس المرضى.

أليس العقل يحكم على هؤلاء المهرجين بالإعدام؟ أليس هؤلاء أضمر على البشر من الحيوانات المفترسة؟ أليس هؤلاء أشد خطراً من الأمراض الفتاكة التي تهدد البشر بالفناء؟ فالمريض هو المجتمع الجاهلي الفاسد، والطبيب هو الرسول، والمهرجون هم المناوئون للرسول، على هذا أمر الإسلام بجهاد المشركين والكفار الذين حاربوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم كان في مكة وهجموا عليه ليقتلوه وكفاه الله شرهم، واضطر النبي أن يترك مسقط رأسه ويهاجر من وطنه كي يستطيع الاستمرار في الدعوة إلى مبدئه وإذا بالأعداء يطاردونه، وتتخرب الأحزاب ضده، ويستعين بعضهم ببعض للقضاء على الرسول ومبدئه وعلى كل من اعتنق ذلك الدين الذي اعتبروه ديناً جديداً.

ولابد للرسول الأعظم أن يقف أمام هؤلاء للدفاع عن نفسه ومبدئه فهو بحاجة ماسة إلى الأنصار والأعوان ليقاوم بهم الأعداء الألداء، وهم الأنصار أصحابه الذين أسلموا على يديه وهاجروا من مكة، وفيهم الشيوخ والكهول والشبان والمراهقون، وقد امتلأوا حباً للإسلام وتسلحوا بسلاح الإيمان الذي هو أقوى سلاح.

ولكن غريزة حب الحياة ما فارقتهم في بدء الأمر، فمن الصعب المستصعب عليهم أن يخوضوا غمار الموت، ويستقبلوا السيوف والرماح وخاصة وهم الأقلون عدداً وعدة، وعدوهم هو الأكثر عدداً وعدة.

وقعت الحرب الأولى للمسلمين في منطقة بين المدينة ومكة يقال لها: (بدر) فقد خرج الرسول بجيشه إلى ذلك الموضع واستقبل المشركين الذين قصدوه من مكة، وفي بدر التقى العسكران وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وعدد المشركين بين التسعمائة والألف وقد اجتمع مشركو مكة وكفارها، وفيهم أقطاب الشرك كأبي جهل وأبي سفيان، وهم يزعمون أن الغلبة لهم والنصر والظفر من نصيبهم، ولكن الله أراد شيئاً آخر، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله.

وكان على (عليه السلام) له الحظ الأوفر والنصيب الأكثر من الشجاعة ومقاتلة الأبطال ومنازلة الشجعان، ولا أقصد من كلمتي هذه أن علياً كان سفاكاً للدماء، بل المقصود: أن إيمان على (عليه السلام) بالله كان فوق كل غريزة وكل اتجاه، مع العلم أنه كان يومذاك في ريعان الشباب، والشباب أكثر تعلقاً بالحياة من الشيخ الذي قضى وطره في حياة الدنيا، مع ذلك لم يكن على (عليه السلام) يعرف للخوف معنى، ولا للجبين مفهوماً في نفسه، بل كان يستقبل الموت برحابة صدر ويهرول في الحرب جانب العدو كأنه يقصد شيئاً يحبه حتى أجمع المسلمون وغير المسلمين أن علياً أشجع العرب والعجم، ولم يشهد التاريخ له مثيلاً ونظيراً فضلاً من أن يرى أشجع منه.

وهذه نبذة من غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله) التي حضرها الإمام.

وكان نصيبه من الجهد والعناء أكثر من غيره، ولم يسلم على من سهام العدو وسيوفهم، بل كانت الجراحات تأخذ من مقادير بدنه كل مأخذ، ولولا حفظ الله وعنايته لكان على من المقتولين في تلك الحروب.

قال ابن أبي الحديد: وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له؟ وقد

عرفت أن أعظم غزوة غزاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأشدّها نكايّة في المشركين: بدر الكبرى التي قتل فيها سبعون من المشركين، قتل على نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر، وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحّة ذلك دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما... فلنبداً بذكر الغزوات حسب التاريخ مع رعاية الإجمال والاختصار ونذكر مواقف على (عليه السلام) فيها:

على يوم بدر

في البحار: ج ٦ قال الإمام الباقر (عليه السلام): انتدب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة بدر إلى الماء، فانتدب على (عليه السلام)، فخرج، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة فخرج بقربته، فلما كان إلى القليب (البئر) لم يجد دلوّاً، فنزل في الجب تلك الساعة، فملاً قربته، ثم أقبل فاستقبلته ريح شديدة فجلس حتى مضت، ثم قام، ثم مرت به ريح أخرى فجلس حتى مضت، ثم قام، ثم مرت به ريح أخرى فجلس حتى مضت، فلما جاء إلى النبي قال له النبي (صلى الله عليه وآله): ما حبسك يا على؟ قال: لقيت ريحاً ثم ريحاً ثم ريحاً شديدة فأصابتنى قشعريرة.

فقال: أتدرى ما كان ذلك يا على؟ فقال: لا.

فقال: ذاك جبريل مر في ألف من الملائكة وقد سلم عليك وسلموا، ثم مر ميكائيل في ألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا، ثم مر إسرائيا وألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا.

وفي هذه الليلة اختص أمير المؤمنين (عليه السلام) بثلاثة آلاف فضيلة وثلاث فضائل، لتسليم ثلاثة آلاف وثلاثة من الملائكة عليه، وفيها يقول الحميري:

أقسم بالله وآلائه

والمرء عما قال مسؤول

إن على بن أبي طالب

على التقى والبر محبوب

كان إذا الحرب مرتها القنا

وأحجمت عنها البهاليل

يمشى إلى القرن وفي كفه

أبيض ماضى الحد مصقول

مشى العفرنا بين أشباله

أبرزه للقنص الغيل

ذاك الذي سلم في ليلة

عليه ميكال وجبريل

ميكال في ألف وجبريل في

ألف ويتلوهم اسرافيل

ليلة بدر مدداً أنزلوا

كأنهم طير أبابيل

ولما أصبح الصباح استعد الفريقان للحرب، وتقدم عتبة وأخوه شيبه وابنه الوليد، وقالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قريش، فبرز

إليه ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا: ارجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش، فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال: قم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف ونظر إلى حمزة فقال: قم يا عم، ثم نظر إلى علي فقال: قم يا علي (وكان أصغر القوم) فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفئ نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره فقاموا بين يدي رسول الله رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة: عليك بشيبة.

وقال لعلي (عليه السلام): عليك بالوليد، فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا: أكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبه فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبه عبيدة على ساقه فأطنها (قطعها) فسقطا جميعاً وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما، وحمل أمير المؤمنين (عليه السلام) على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، قال علي (عليه السلام) لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي أما ترى الكلب (بهر) نهز عمك؟ فحمل عليه علي (عليه السلام) فقال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضرب علي (عليه السلام) شيبة فطرح نصفه، ثم جاء إلى عتبه وبه رمق فأجهز عليه.

وفى رواية أخرى: أنه برز حمزة لعتبه، وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي للوليد فقتل حمزة عتبه، وقتل عبيدة شيبة، وقتل علي الوليد، وضرب شيبة رجل عبيدة فاستنقذه حمزة وعلي، وحمل حمزة وعلي عبيدة حتى أتيا به رسول الله رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستعبر فقال: يا رسول الله أأنت شهيداً؟ قال: بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي.

فقال: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه، قال: وأي أعمامى تعنى؟ فقال: أبوطالب حيث يقول:

كذبتهم وبيت الله يبزي محمد

ولما نطاعن دونه وناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة، فقال: يا رسول الله أسخطت علي في هذه الحالة؟ فقال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك.

كان القتلى من المشركين في يوم بدر سبعين، قتل منهم علي بن أبي طالب سبعة وعشرين، وكان الأسرى سبعين!! صورة أخرى للواقعة: فصاح بهم عتبه: اتسبوا نعرفكم، فإن تكونوا أكفاء نقاتلكم.

فقال عبيدة: أنا عبيدة وهو يومئذ أكبر المسلمين، فقال: هو كفو كريم، ثم قال لحمزة: من أنت؟ قال: حمزة بن عبدالمطلب، أنا أسد الله وأسد رسوله، أنا صاحب الحلفاء، فقال له عتبه: ستري صولتك اليوم يا أسد الله وأسد رسوله قد لقيت أسد المطيبين!! فقال لعلي: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله وأخو رسوله، أنا علي بن أبي طالب.

فقال: يا وليد دونك الغلام، فأقبل الوليد يشتم إلى علي، قد تنور وتخلق.

وعليه خاتم من ذهب، بيده السيف قال علي: قد طال علي في طول نحو من ذراع، فختلته حتى ضربت يده التي فيها السيف، فبدرت يده وبدر السيف حتى نظرت إلى بصيص (بريق) الذهب في البطحاء، وصاح صيحة أسمع أهل العسكرين فذهب مولياً نحو أبيه وشد عليه علي (عليه السلام)، فضرب فخذه فسقط، وقام علي (عليه السلام) وقال:

أنا ابن ذي الحوضين عبدالمطلب

وهاشم المطعم في العام السغب

أوفى بميثاقى وأحمى عن حسب ثم ضربه فقطع فخذه.

ففى ذلك تقول هند بنت عتبة:

أبى وعمى وشقيق بكرى

أخى الذى كانوا كضوء البدر

بهم كسرت يا على ظهري

على يوم أحد

أحد: اسم منطقة بالقرب من المدينة فى سفح الجبل، وفيها وقعت واقعة أحد، والتقى المسلمون بالمشركين، واشتعلت نار الحرب وقامت على ساق، نقتطف من الواقعة موقف على (عليه السلام) فيها، وما أصابه من العناء.

وقد كانت راية قريش مع طلحة بن أبى العبدري من بنى عبدالدار، فبرز ونادى: يا محمد أو يا معاشر أصحاب محمد تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلى، فبرز إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يقول:

يا طلح إن كنتم كما تقول

لكم خيول ولنا نصول

فأثبت لننظر أين المقتول

وأنا أولى بما تقول

فقد أتاك الأسد الصؤل

بصارم ليس به فلول

ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا على بن أبى طالب، قال: قد علمت يا قضم، إنه لا يجسر على أحد غيرك، فشد عليه طلحة فضربه، فاتقاه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالحجفة، ثم ضربه أمير المؤمنين على فخذه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره، وسقطت الراية، فذهب على (عليه السلام) ليجهز عليه فحلفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً، ثم أخذ الراية سعيد بن أبى طلحة، فقتله على (عليه السلام)، وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عثمان بن طلحة، فقتله على (عليه السلام) وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها الحارث بن أبى طلحة، فقتله على (عليه السلام) وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عزيز بن عثمان فقتله على (عليه السلام) وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عبدالله بن جميل بن زهير فقتله على (عليه السلام) وسقطت رايته إلى الأرض، فقتل أمير المؤمنين التاسع من بنى الدار وهو أرطأة بن شرحبيل مبارزة، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) على يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها بشماله، فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) على شماله فقطعها فسقطت الراية إلى الأرض فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثم قال: يا بنى عبدالدار هل أعذرت فيما بينى وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) على رأسه فقتله وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فنصبتها.

وانهزم المشركون وتبعهم المسلمون وشرعوا بجمع الغنائم، ولما رأى المشركون ذلك ووجدوا المسلمين مشغولين بالنهب رجعوا من طريق آخر، وجعلوا المسلمين فى الوسط، وحملوا عليهم حملة رجل واحد، بقيادة خالد بن الوليد، وقتلوا من المسلمين مقتله عظيمة، وانقسم الناس آنذاك إلى قسمين: المنهزمين وهم الأكثر عدداً، والثابتين وهم ما بين قتيل وجريح، وكان على (عليه السلام) أكثرهم جراحاً، فقد أصيب فى ذلك اليوم بتسعين جراحة يصعب علاجها وتداويها. [٣٦].

فى البحار: وقال شقيق بن سلمة: كنت أماشى عمر بن الخطاب إذ سمعت منه همهمة، فقلت له: مه يا عمر؟ فقال: ويحك!! أما ترى

الهبزبر القثم بن القثم، والضارب بالبهيم، الشديد على من طغى وبغى، بالسيفين والراية!!! فالتفت فإذا هو على بن أبي طالب. فقال: ادن منى أحدثك عن شجاعته وبطولته، بايعنا النبي (صلى الله عليه وآله) يوم أحد على أن لا نفر، ومن فر منا فهو ضال، ومن قتل منا فهو شهيد، والنبي (صلى الله عليه وآله) زعيمه، إذ حمل علينا مائة صنديد، تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون، فأزعجوننا عن طاحوتنا، فرأيت علياً (عليه السلام) كالليث يتقى الذر إذ قد حمل كفاً من حصى فرمى به وجوهنا، ثم قال: (شاهت الوجوه، وقطت وبطت ولطت، إلى أين تفرون؟ إلى النار؟) فلم نرجع، ثم كر علينا الثانيةً ويده صفيحةً يقطر منها الموت!!! فقال: بايعتم ثم نكثتم؟ فو الله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل، فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً، أو كالقدين المملوءين دمًا، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن، الله الله!! فإن العرب تفر وتكر، وإن الكرة تنفى الفرء.

فكأنه استحمياً، فوليا بوجهه عنى، فما زلت أسكن روعه فؤادى فو الله ما خرج ذلك الرعب من قلبى حتى الساعة... ولم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا- أبو دجانه سماك بن خرشة وأمير المؤمنين (عليه السلام) وكلما حملت طائفة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) استقبلهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فيدفعهم عن رسول الله، ويقتلهم حتى انقطع سيفه. عن عكرمة قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحقنى من الجزع عليه ما لم يلحقنى قط، ولم أملك نفسى وكنت أمامه أضرب بسيفى بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره فقلت: ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليقر، وما رأيت فى القتلى، وأظنه رفع من بيننا إلى السماء، فكسرت جفن سيفى، وقلت فى نفسى: لأقاتلن به عنه حتى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا عنى وإذا أنا برسول الله (صلى الله عليه وآله) قد وقع على الأرض مغشياً عليه فقمته على رأسه، فنظر إلى فقال: ما صنع الناس يا على: فقلت: كفروا يا رسول الله، وولوا الدبر من العدو، وأسلموك، فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لى: رد عنى يا على هذه الكتيبة، فحملت عليها أضربها بسيفى يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أما تسمع يا على مديحك فى السماء؟ إن ملكاً يقال له رضوان ينادى: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على. فبكيته سروراً وحمدت الله سبحانه على نعمته.

وفى رواية قال الصادق (عليه السلام): انهزم الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فغضب غضباً شديداً وكان إذا غضب انحدر من وجهه وجبهته مثل اللؤلؤ من العرق، فنظر فإذا على (عليه السلام) إلى جنبه، فقال: ما لك لم تلحق بنى أبيك؟ فقال على (عليه السلام): يا رسول الله أكفر بعد إيمانى؟ إن لى بك أسوء، فقال: أما الآن فاكفنى هؤلاء، فحمل على (عليه السلام) فضرب أول من لقى منهم، فقال جبرائيل (عليه السلام): إن هذه لهى المواساة يا محمد، قال: (إنه منى وأنا منه) قال جبرائيل: وأنا منكما. وأقبل على (عليه السلام) إلى المدينة وهو ثقيل بالجراحات، وبات على الفراش، ولما أصبح النبي (صلى الله عليه وآله) جاء إلى دار على يعوده، فبكى على (عليه السلام) وقال: يا رسول الله رأيت كيف فاتتنى الشهادة؟ فقال الرسول: إنها من ورائك يا على. [٣٧].

على يوم بنى النضير

يوم توجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى بنى النضير عمد يحمل على حصارهم، فضرب قبته فى أقصى بنى حطمة من البطحاء، فلما جن الليل رماه رجل من بنى النضير بسهم، فأصاب القبء، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) أن تحول قبته إلى السفح، وأحاط بها المهاجرون والأنصار فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال الناس: يا رسول الله ما نرى علياً؟!، فقال (صلى الله عليه وآله) عليه وآله: أراه فى بعض ما يصلح شأنكم.

فلم يلبث أن جاء برأس اليهودى الذى رمى النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان يقال له: عزوراً، فطرحة بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) فقال النبي: كيف صنعت؟ فقال: إنى رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له، وقلت: ما أجراً أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منا غرة، فأقبل مصلاً بسيفه فى تسعة نفر من اليهود، فشدت عليه وقتلته، فأقلت أصحابه، ولم يبرحوا قريباً، فابعث معى نفرأ فإنى

أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) معه عشرة، فأدركوهم قبل أن يدركوا الحصن، فقتلوهم وجاءوا برؤوسهم إلى النبي وأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة. وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

على يوم الخندق

تحزبت الأحزاب ضد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مكة وضواحيها وقصدت المدينة لمحاربة رسول الله، ونزل جبرائيل على النبي وأخبره فاستشار النبي أصحابه، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق حول المدينة، فأقبل رسول الله ومعه المهاجرون والأنصار، وحفروا الخندق، في جانب من المدينة يشبه نصف الدائرة، فلما فرغوا من حفر الخندق، وصل المشركون، ونزلوا بالقرب من الخندق. وخرج فوارس من قريش منهم: عمرو بن عبدود أخو بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب وهبي بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال، وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيئوا للحرب يا بني كنانة، فستعلمون اليوم من الفرسان؟ ثم أقبلوا تعنى بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، وتعرفها قبل ذلك فليل لهم: هذا من تدبير الفارسي الذي معه (سلمان) ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم، فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق ووسع، وخرج على بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذ منهم الثغرة التي منها اقتحموا، وأقبلت الفرسان نحوهم، وكان بينهم عمرو بن عبدود فارس قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث (حمل من المعركة) وأثقلته الجراح فلم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليري مشهده، وكان يعد بألف فارس وكان يسمى: فارس ليليل لأنه: أقبل في ركب من قريش حتى إذا هو بليليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه: امضوا، فمضوا، فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه، فعرف بذلك، وكان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق: المداد، وكان أول من طفره عمرو وأصابه، فليل في ذلك:

عمرو بن ود كان أول فارس

جزع المداد وكان فارس ليليل

وركز عمرو بن عبدود رمحه في الأرض وأقبل يجول حوله، ويرتجز.

وذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبدود كان ينادي من يبارز؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد فقام على (عليه السلام) وهو مقنع في الحديد، فقال: أنا له يا نبي الله، فقال إنه عمرو، اجلس، ونادى عمرو: ألا رجل؟ وجعل يؤنبهم ويسبهم، ويقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ فقام على (عليه السلام) فقال: أنا له يا رسول الله، فأمره النبي بالجلوس رعاية لابنته فاطمة التي كانت تبكي على جراحات على (عليه السلام) يوم أحد، ثم نادى الثالث فقال:

ولقد بحت من النداء

بجمعكم هل من مبارز؟

ووقفت إذ جبن المشجع

موقف البطل المناجز

إني كذلك لم أزل

متسرعاً نحو الهزائر

إن السماحة والشجا

عه في الفتى خير الغرائز

فقام على (عليه السلام) فقال: يا رسول الله أنا.

فقال: إنه عمرو، فقال: وإن كان عمراً وأنا على بن أبي طالب!! فاستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأذن له، وألبسه درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعممه عمامة السحاب على رأسه تسعة أكوار (أدوار) ثم قال له: تقدم.

فقال لما ولي: (اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه).

ثم قال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.

فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتا

كك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة

والصدق منجى كل فائر

إني لأرجو أن أقيم

عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى

ذكرها عند الهزاهز

وما زال رسول الله (صلى الله عليه وآله) آنذاك رافعاً يديه مقحماً رأسه إلى السماء داعياً به قائلاً: اللهم إنك أخذت مني عبيد يوم بدر وحمزة يوم أحد، فاحفظ على اليوم علياً، رب لا تدرني فرداً وأنت خير الوارثين.

فقال عمرو: من أنت؟ وكان عمرو شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين، وكان نديم أبي طالب بن عبدالمطلب في الجاهلية، فانتسب على له.

فقال عمرو: أجل، لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً، فارجع فإني لا أحب قتلك! فقال على (عليه السلام): لكنني أحب أن أقتلك!

فقال عمرو: يا ابن أخي إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، فارجع وراءك خير لك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إلى أن

أختطفك برمحي هذا فأتر كك شايلاً بين السماء والأرض لا حي ولا ميت!! فقال له على (عليه السلام): قد علم ابن عمي أنك إن

قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة.

فقال عمرو: كلتاها لك يا على؟ تلك إذا قسمه ضيزى!! فقال على (عليه السلام): إن قريشاً تتحدث عنك أنك قلت: لا يدعوني أحد

إلى ثلاث إلا أجيب، ولو إلى واحدة منها؟ قال: أجل.

قال: فإني أدعوك إلى الإسلام، وفي رواية: أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قال: دع هذه!! أو نح هذا.

قال: فإني أدعوك إلى أن ترجع بمن يتبعك من قريش إلى مكة، فإن يك محمد صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم

ذؤبان العرب أمره.

قال: إذن تتحدث نساء قريش عنى: أن غلاماً خدعنى وينشد الشعراء فى أشعارها أنى جبت، ورجعت على عقبى من الحرب، وخذلت

قوماً رأسونى عليهم.

قال: فإني أدعوك إلى البراز راجلاً، فجمي عمرو وقال: ما كنت أظن أحداً من العرب يرومها منى.

ثم نزل فعقر فرسه وقيل ضرب وجه فرسه ففر ثم قصد نحو على (عليه السلام) وضربه بالسيف على رأسه، فأصاب السيف الدرقة

فقطعها، ووصل السيف إلى رأس على (عليه السلام).

فضربه على (عليه السلام) على عاتقه فسقط، وفي رواية: فضربه على رجليه بالسيف فوقع على قفاه، وثار العجاج والغبار، وأقبل على ليقطع رأسه فجلس على صدره، فتفل اللعين في وجه الإمام (عليه السلام) فغضب (عليه السلام)، وقام عن صدره يتمشى حتى سكن غضبه، ثم عاد إليه فقتله.

وقال ربيعة بن مالك السعدي: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت: يا أبا عبد الله: إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصرة: إنكم لتفرتون في تفریط (تقريظ) هذا الرجل.

فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال: يا ربيعة وما الذي تسألني عن علي؟ وما الذي أحدثك به عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده: لو وضع جميع أعمال أمه محمد في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في كفة أخرى لرجح على أعمالهم كلها، فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إنني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله!!! فقال حذيفة: يا لكع! وكيف لا يحمل؟ وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه؟ فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه على فقتله؟

والذي نفس حذيفة بيده: لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمه محمد إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة. وجاء علي برأس عمرو إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتهلل وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقام أبو بكر وعمر بن الخطاب وقبلا رأسه، وكان علي (عليه السلام) يقول:

أنا علي وابن عبدالمطلب

الموت خير للفتى من الهرب

فقال عمر: هلا سلبته درعه، فإنه ليس في العرب درع مثلها؟ فقال علي (عليه السلام): إنني استحييت أن أكشف سوءاً ابن عمي. وفي رواية: لما جلس علي (عليه السلام) على صدر عمرو ليذبحه قال له عمرو: يا علي قد جلست مني مجلساً عظيماً، فإذا قتلتني فلا تسلبني حلتى، فقال (عليه السلام): هي أهون علي من ذلك.

ولما قتل علي (عليه السلام) عمراً انهزم المشركون وانكسرت شوكتهم، وكفى الله المؤمنين القتال بعلي (عليه السلام).

قال حسان بن ثابت في قتل عمرو بن عبدود:

أمسى الفتى عمرو بن عبدود يبتغي

بجنوب يثرب غارة لم تنظر

فلقد وجدت سيوفنا مشهورة

ولقد وجدت جيادنا لم تقصر

ولقد رأيت غداة بدر عصبه

ضربوك ضرباً غير ضرب المحضر

أصبحت لا تدعى ليوم كريهه

يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

فأجابه بعض بني عامر:

كذبتم وبيت الله لم تقتلونا

ولكن بسيف الهاشميين فافخروا

بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا

بكف علي نلتم ذاك فاقصروا

ولم تقتلوا عمرو بن عبدود ولا ابنه
ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر
على الذي في الفخر طال ثناؤه
فلا تكثروا الدعوى عليه فتفجروا
ببدر خرجتم للبراز فردكم
شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة
وجاء على بالمهند يخطر
فقالوا: نعم أكفاء صدق فاقبلوا
إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال على جولة هاشمية
فدمرهم لما عتوا وتكبروا
فليس لكم فخر علينا بغيرنا
وليس لكم فخر يعد ويذكر
وكان (عليه السلام) يقول مشيراً إلى هذه الفضيلة:
أعلت تفتخر الفوارس هكذا؟
عنى وعنهم خبروا أصحابي
اليوم يمنعني الفراز حفيظتي
ومصمم بالرأس ليس بنابي
أرديت عمراً إذ طغى بمهند
صافى الحديد مجرب قضاب
نصر الحجارة عن سفاهه رأيه
ونصرت رب محمد بصواب
فصدرت حين تركته متجدلاً
كالجدع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أننى
كنت المقطر بزنى أثوابى
لا تحسبن الله خاذل دينه
ونبيه يا معشر الأحزاب

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ضربه على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين.

وفى رواية الحاكم فى المستدرک: لمبارزة على بن أبى طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتى إلى يوم القيامة.
وسبب ذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهنّ بقتل عمرو، ولم يبق فى المسلمين بيت من بيوت المسلمين إلا
ودخله عزّ بقتل عمرو.

ولما وصل الخبر إلى أخت عمرو قالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟ فقالوا: على بن أبي طالب.
فقلت: لم يعد موته إلا على يد كفو كريم لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قاتل الأبطال وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفو كريم
من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر، ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله
لكنت أبكى عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به
وكان يدعى قديماً بيضة البلد
وفي نسخة: وكان يدعى أبوه بيضة البلد.
ولقد أجاد المرحوم الشيخ كاظم الأزرى (عليه الرحمة) في قصيدته الألفية التي يقول فيها:
ظهرت منه في الوغى سطوات
ما أتى القوم كلهم ما أتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن عبدود
لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى إلى المدينة فرداً
بسرايا عزائم ساراها
فدعاهم وهم ألوف ولكن
ينظرون الذي يشب لظاها
أين أنت عن قسور عامري
تتقى الأسد بأسه في سراها
فابتدى المصطفى يحدث عما
يؤجر الصابرون في أخراها
قائلاً: إن للجليل جنائلاً
ليس غير المجاهدين يراها
أين من نفسه تتوق إلى
الجنات أو يورد الجحيم عداها
من لعمرو؟ وقد ضمنت على
الله له من جناته أعلاها
فالتوا عن جوابه كسوام
لا تراها مجيبة من دعاها
وإذا هم بفارس قرشى
ترجف الأرض خيفة إذ يطاها
قائلاً: ما لها سواى كفيل
هذه ذمة على وفاها

ومشى يطلب الصفوف كما

تمشى خماص الحشا إلى مرعاها

فانتضى مشرفية فتلقى

ساق عمرو بضربة فبراها

وإلى الحشر رنة السيف منه

يملاً الخافقين رجع صداها

يا لها ضربة حوت مكرمات

لم يزن ثقل أجرها ثقلاها

هذه من علاه إحدى المعالي

وعلى هذه فقس ما سواها

على يوم خيبر

قال الطبرسي (رحمه الله): لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة، ثم خرج منها غازياً إلى خيبر.

خيبر اسم منطقة تبعد عن المدينة المنورة ساعات، وهي عبارة عن حصون وقلاع محصنة، كانت اليهود تسكنها يومذاك، فلما وصل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى خيبر، واستعد للقتال واصطف العسكران، خرج رجل من المسلمين اسمه: عامر بن الأكوع يبارز رجلاً من اليهود اسمه مرحب، وكان مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب

شاكى السلاح بطل مجرب

فأجابه عامر:

قد علمت خيبر أنى عامر

شاكى السلاح بطل مغامر

فتضاربا بالسيف، فوقع سيف عامر على ركبته فمات منه.

وحاصر النبي تلك الحصون خمساً وعشرين يوماً، ثم أعطى رايته أبا بكر وقيل: أعطى الراية إلى عمر بن الخطاب أولاً فنهض ونهض معه المسلمون فلقوا أهل خيبر فرجعوا.

وأعطى الراية أبا بكر في اليوم الثاني فذهب مع المسلمين فرجع يجنن أصحابه ويجبنونه، فلما علم النبي ذلك قال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

فبات الناس يتفكرون حول الرجل الموصوف بهذا الصفات، المقصود بكلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان على غائباً في تلك الغزوة، وما كان الناس يحسبونه المقصود بكلام النبي، حتى قال بعضهم: أما على فقد كُفِيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه.

بل كان كل منهم يرجو أن يعطى الراية، وأصبح الصباح وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالراية، وأقبل الناس إلى النبي ليعرفوا الرجل الذى يستحق أن يكون حاملاً لراية الإسلام وقاتحاً لحصون اليهود؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أين على بن أبى طالب؟ فقيل: هو يشتكى عينه، فقال: أرسلوا إليه.

فجاءوا به على بغلة وعينه معصوبة بخرقه، فأخذ سلمة بن الأكوع بيده وأتى به إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال النبي: ما تشتكى يا

على؟ قال: رمد ما أبصر معه، وصداع برأسي.

فقال النبي: اجلس وضع رأسك على فخذى.

ففعل على ذلك، فدعا له النبي (صلى الله عليه وآله) وتفل في يده فمسح بها على عينيه ورأسه فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع وقال النبي: اللهم قه الحر والبرد.

وأعطاه الراية وكانت بيضاء فقال له: خذ الراية وامض بها، فجبرائيل معك، والنصر أمامك والرعب مبعوث في صدور القوم، واعلم يا على أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي يدمر عليهم اسمه: (إيليا) فإذا لقيتهم فقل: أنا على، فإنهم يخذلون إن شاء الله.

فأقبل على (عليه السلام) بالراية يهرول بها ولحقه الناس فركز رمحه قريباً من الحصن، وأشرف عليه حبر من الأحبار فقال: من أنت؟ فقال: أنا على بن أبي طالب.

فقال اليهودى: غلبتم وما أنزل على موسى أى غلبتم قسماً بالتوراة التي نزلت على موسى (عليه السلام).

فخرج إليه مرحب فى عامه اليهود، وعليه مغفرة وحجر قد ثقبه مثل البيضه على أم رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خير أنى مرحب

شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب

فقال على (عليه السلام):

أنا الذى سمتنى أمى حيدر

ضرغام آجام وليث قسورة

على الأعادى مثل ربح صرصرة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة

أضرب بالسيف رقاب الكفرة

فلما سمع مرحب منه ذلك هرب ولم يقف، خوفاً مما حذرته منه ظنره، فتمثل له إبليس فى صورة حبر من أحبار اليهود فقال له: إلى أين يا مرحب؟ فقال: قد تسمى على هذا القرن بحيدرة فقال له إبليس: فما حيدرة؟ قال مرحب: إن فلانة ظئرى (مرضعتى) كانت تحذرنى من مبارزة رجل اسمه: حيدرة.

وتقول: إنه قاتلك.

فقال إبليس: شوهاً لك! لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء وهن يخطئن أكثر مما يصبن، وحيدرة فى الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلته سدت قومك، وأنا فى ظهر ك أستصرخ اليهود لك.

فرجع مرحب إلى قتال على (عليه السلام) فدعاهم على (عليه السلام) إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب فاخاروا الحرب، فضربه الإمام بالسيف على رأسه ضربة قطعت الحجر والمغفر رأسه حتى وقع السيف فى أضراسه، فخر صريعاً، وحمل على (عليه السلام) على الجيش اليهودى فانهزموا ودخلوا الحصن، وسدوا بابه، وكان الباب حجراً منقوراً فى صخر، والباب من الحجر فى ذلك الصخر المنقور، كأنه حجر رحى، وفى وسطه ثقب لطيف، وقد ذكرنا فى الجزء الثانى من شرح نهج البلاغة بياناً حول الباب المزبور.

رمى على (عليه السلام) القوس من يده اليسرى وجعل يده اليسرى فى ذلك الثقب الذى فى وسط الحجر وكان السيف بيده اليمنى ثم جذبته إليه فانهار الصخر المنقور، وصار الباب فى يده اليسرى، فحملت عليه اليهود، فجعل على (عليه السلام) الباب ترساً له، وحمل عليهم فانهزموا، فرمى الحجر بيده اليسرى إلى خلفه فمر الحجر على رؤوس الناس من المسلمين إلى أن وقع فى آخر العسكر، وإلى هذا أشار ابن أبى الحديد فى قصيدته مخاطباً الإمام (عليه السلام):

يا قالع الباب الذي عن هزه
عجزت أكف أربعون وأربع
واجتمع المسلمون ليرفعوا ذلك الحجر فلم يستطيعوا وهم أربعون رجلاً، وفتح على تلك الحصون.
وتقدم حسان بن ثابت واستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقول شعراً فقال له: قل.
فأنشأ يقول:

وكان على أرمم العين يبتغى
دواء فلما لم يحس مدا
وياشفاه رسول الله منه بتقله
فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال: سأعطى الراية اليوم صارماً
كماً محباً للرسول مواليا
يحب إلهي والإله يحبه
به يفتح الله الحصون الأوايا
فأصفي بها دون البرية كلها
علياً وسماه الوزير المواخيا

فعند ذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمر بملاً إلا أخذوا من تراب رجليك، ومن فضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك: أن تكون أنت مني وأنا منك، ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت تبرىء ذمتي وتقاتل على سنتي، وأنت في الآخرة أقرب الناس مني، وأنت غداً على الحوض خيلتي، وأنت أول من يرد على الحوض غداً، وأنت أول من يكسى معي، وأنت أول من يدخل الجنة من أمتي، وأن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم، ويكونون في الجنة جيرانى، وأن حربك حربى، وأن سلمك سلمى، وأن سررك سرى وأن علانيتك علانيتى، وأن سريرة صدرك كسريرة صدرى وأن ولدك ولدى وأنت تنجز عدتى، وأن الحق على لسانك وفي قلبك، وبين عينيك، وأن الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمى ودمى، وأنه لا يرد على الحوض مبغض لك، ولن يغيب عنه محب لك غداً حتى يردوا الحوض معك.

فخر على ساجداً شكراً لله.

وقال المرحوم الشيخ الأزرى فى قصيدته الفريدة:

وله يوم خير فتكات
كبرت منظرأ على من رآها
يوم قال النبى: إني لأعطى
رايتى ليثها وحامى حماها
فاستطالت أعناق كل فريق
ليروا أى ماجد يعطاها
فدعى: أين وارث العلم والحل
م مجير الأيام من باساها

أين ذو النجدة الذي لو دعته
 في الثريا مروعة لهاها
 فأتاه الوصي أرمدا عين
 فسقاها من ريقه فشفاها
 ومضى يطلب الصفوف فولت
 عنه علماً بأنه أمضاها
 وبرى مرحباً بكف اقتدار
 أقوياء الأقدار من ضعفاها
 ودحى بابها بقوة بأس
 لو حمتها الأفلاك منه دحاها
 عائد للمؤمنين مجيب
 سامع ما تسر من نجواها
 إنما المصطفى مدينة علم
 وهو الباب من أتاه أتاها
 وهما مقلتا العوالم: يسرا
 ها على وأحمد يمناها

على يوم حنين

وفي يوم حنين لما تقدم أبو جرول ووراءه المشركون، وكانت الرأية بيده وهو يرتجز قائلاً:

أنا أبو جرول لا براح

حتى نبيح القوم أو نباح

فقصده أمير المؤمنين فضرب عجزه بغيره ثم ضربه وقتله ثم قال:

قد علم القوم لدى الصباح

إني لدى الهيجاء ذو نصاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول، وحمل عليهم المسلمون يقدمهم على بن أبي طالب (عليه السلام) فقتل منهم أربعين رجلاً وانهزم الباقون، وأسر من أسر منهم، وذلك بعد هزيمة المسلمين وتفرقهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد ذكر القرآن الكريم موقف المسلمين يومذاك بقوله تعالى: (ويوم حنين إذا أعجبتكم كثيرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاحت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) [٣٨] ثم أنزل الله سكينته على رسول الله وعلى المؤمنين.

ولابن أبي الحديد كلمة بالمناسبة في مقدمة شرحه على النهج:

(أما الشجاعة: فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومجى اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية. وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً، ولما دعى معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، فقال له عمرو بن العاص: لقد أنصفك! فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم!! أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق؟ أراك

طمعت في إمارة الشام بعدى)....

على والقرآن

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

القرآن كتاب الله عزوجل ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كلام الله الذى لا يتبع الهوى ولا يميل إلى الاتجاهات بدافع العاطفه بل هو الحق.

هناك حديث نبوى شريف اتفق عليه الشيعة والسنة، أنه قال (صلى الله عليه وآله): (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض).

نجد في الحديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يقرن العتره بالقرآن والقرآن بالعترة، ويخبر عنهما أنهما لن يفترقا ولن يختلفا في المبدأ وفي أى شىء، فالقرآن يوافق العتره، والعترة تمشى تحت ظل القرآن، فلا- اختلاف ولا تنافى بين القرآن والعترة، بل هما متلازمان ومتفقان.

وبناء على هذا هل يمكن أن يسكت القرآن عن عديله وقربينه؟ فيخلو عن اسم العتره والإشارة إليهم؟؟ كلا ثم كلا، فالقرآن فيه تبيان كل شىء وحاشاه أن يسكت عن الإشادة والتنويه عن أشرف أسرة على وجه الأرض وهم أسرة رسول الله الطيبة وعترته الطاهرة، وعلى رأسهم سيد العتره أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، الذى ضرب الرقم القياسى في كل مباراه وفاز بكأس البطولة في كل ميدان سباق، وهو والقرآن يسيران في طريق واحد، ويدعوان إلى مبدأ وهدف واحد، فعلى (عليه السلام) يعرف القرآن وفنونه وعلومه وأحكامه وفضائله ومزاياه، والقرآن يجلب الانتباه إلى شخصيه على (عليه السلام) ومكارمه ومحاسنه وخصائصه، ويتوّه عن مواقفه ومواطنه وتضحياته في سبيل الهدف الذى أنزل من أجله القرآن.

أليس القرآن هدى للناس وبيئات من الهدى والفرقان؟ أو ليس القرآن يهدى للتى هى أقوم؟ أو ليس القرآن فيه موعظه وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين؟ أو ليس القرآن هو الحق ويدعو إلى الحق؟ فهذا على (عليه السلام) عديل القرآن ويسير مع القرآن جنباً بجنب، يدعو ويهدى ويبين ويعظ ويفرق بين الحق والباطل.

إذن، فلا مانع أن يحتوى القرآن (وهو كلام الله المجيد) شيئاً من تقدير الله تعالى لمواقف على (عليه السلام) والإشادة بفضله وإن لم يكن التنويه صريحاً فقد تكون الكناية أبلغ من التصريح وأوقع في النفس للتحرى عن الحقيقة المقصوده.

ولم يكتف القرآن بالإشارة إلى فضائل على، فحسب، بل نجد كميئه هائله وافره من الآيات البينات التى شملت أهل البيت (عليهم السلام) أولاً ثم بقيه المسلمين ثانياً، فقد روى ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ما أنزل الله آيه فيها: (يا أيها الذين آمنوا) إلا وعلى رأسها وأميرها.

وروى ابن حجر في الصواعق: عن ابن عباس لما نزلت هذه الآيه (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريه) [٣٩] قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): هم أنت يا على وشيعتك، تأتى أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، وتأتى أعداؤك غضاباً مقحمين.

إلى غير ذلك من عشرات الآيات المأوله بعلى بن أبى طالب (عليه السلام) المذكوره في الصحاح ورواها المحدثون في صحاحهم. وفي القرآن آيات واضحات نزلت في شأن أهل البيت (عليهم السلام) وكان على (عليه السلام) أحدهم بل سيدهم، كما في آيه

المباهلة وسورة هل أتى وآية التطهير وغيرها مما يطول الكلام بذكر تلك الآيات فلنذكر بصورة موجزة كلاً حول آية التطهير والمباهلة وسورة هل أتى، ثم ننظر أين ينتهي بنا الكلام: لقد أجمع المفسرون والمحدثون إلا الشاذ النادر منهم واتفقت كلمتهم على: أن آية التطهير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وإن كان هناك اختلاف في ألفاظ الحديث فالمؤدى واحد. وخلاصة الواقعة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألقى رداء أو عباءة أو كساء أو ثوباً أو قטיפه على علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: يا رسول الله فأنا؟ وفي رواية: فأنا من أهلك أو: وأنا معكم؟ أو: ألا أدخل معكم؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنك على خير، أو: مكانك، أو: تنحى وفي رواية: فرفعت الكساء لأدخل فجذبه من يدي وقال: إنك على خير وإنك من أزواج النبي.

فنزلت الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). [٤٠]. قال أبو سعيد الخدرى: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يأتي باب علي أربعين صباحاً فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً، أنا حرب لمن حاربتكم وسلم لمن سالمتم. وقال أبو الحمراء: خدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله) تسعة أشهر أو عشرة أشهر فأما التسعة فلا أشك فيها ورسول الله يخرج من طلوع الفجر فيأتي باب فاطمة وعلي والحسن والحسين فيأخذ بعضادتي الباب فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الصلاة، يرحمكم الله. فيقولون: وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فيقول رسول الله: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. أما المحدثون والمفسرون من الشيعة فكلهم متفقون على اختصاص آية التطهير بعلي وفاطمة والحسن والحسين، لا تشاركهم زوجات النبي فيها. ومن أعلام السنة ذكر ذلك: الثعلبي في تفسيره وأحمد بن حنبل في مسنده، والواحدى في تفسيره (اليسيط)، وابن البطريق في المستدرک.

والرازي في تفسيره وغيرهم ممن يطول الكلام بذكرهم والباقون يقولون إن الآية تشمل أهل البيت وسائر زوجات النبي (صلى الله عليه وآله).

وقد مر عليكم أن المفسرين والمحدثين ذكروا أن النبي لم يأذن لزوجته أم سلمة أن تدخل تحت الكساء أو الثوب، فكيف تشمل الآية صفية أخت مرحب التي كانت يهودية خيرية وغيرهن ممن سبق الكفر والشرك إسلامهن؟ ولا دليل لهؤلاء إلا سياق الآية وترتيبها، أو ما يكفى مجيء رسول الله إلى باب بيت علي وفاطمة أربعين صباحاً أو ستة أشهر أو تسعة أشهر يطرق عليهم الباب ويتلو عليهم الآية ليكون دليلاً على أن المقصود بآية التطهير هم أهل هذا البيت فقط، ولم يعهد من النبي (صلى الله عليه وآله) أنه طرق باب إحدى زوجاته وتلى عليها الآية ولو مرة واحدة.

ثم إن سياق الآية وأسلوبها يدلان على كلامنا، فإن الخطابات الموجهة إلى زوجات النبي في الآية كلها ضمائر مؤنثة. قال تعالى: (يا نساء النبي (لستن) كأحد من النساء إن اتقيتن) فلا (تخضعن) بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن) قولاً معروفاً (قرن) فى (بيوتكن) ولا (تبرجن) تبرج الجاهلية الأولى، و(أقمن) الصلاة و(آتين) الزكاة و(أطعن) الله ورسوله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، و(اذكرن) ما يتلى فى (بيوتكن) من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً). [٤١]. ويطهر بكل وضوح أن الضمائر الموجودة فى آية التطهير تختلف عما سبقتها ولحقتها من الآيات والخطابات، فقد قال تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ولم يقل: عنكن، ويطهركن.

فالعُدول عن الضمائر المؤنثة إلى الضمائر المذكورة يدل على اختصاص الخطاب بغير نساء النبي المخاطبات في الآية. هذا وقد ذكر سيدنا المغفور له السيد عبدالحسين شرف الدين في كتابه: (الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء) بياناً كافياً وكلاماً شافياً حول الأدلة والبراهين والقرائن التي تدل على تخصيص آية التطهير بفاطمة وبعلمها وبنيتها، وقبل ذلك أسهب شيخنا المجلسي رحمه الله في تفسير هذه الآية وفي ما قيل فيها من الدلالة على الاختصاص بأهل البيت (عليهم السلام). وقد ذكروا في شأن نزول آية التطهير واجتماع النبي (صلى الله عليه وآله) مع علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وجوهاً كثيرة، والكل متفقون على أن آية التطهير نزلت في هؤلاء (عليهم السلام). وهذه الآية تدل بكل صراحة على عصمة أصحاب الكساء، وإنهم معصومون من كل ذنب وكل خطأ، والعصمة من مراتب الأنبياء والأوصياء وهي أعلى درجات الرقي والتقرب عند الله تعالى.

على يوم المباهلة

ذكر البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده أن رسول الله كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه سورة النمل (طس) سليمان: (بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران، إن أسلمتم فإني أحمد إليكم الله إله إبراهيم، وإسحاق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتتم فالجزية وإن أبيتتم فقد أودنتم بحرب، والسلام) فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعراً شديداً فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وادعة، فدفع إليه كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقرأه، فقال له الأسقف: ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن من أن يكون ذلك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه وجهدت لك، فبعث الأسقف إلى واحد من بعد واحد من أهل نجران فكلهم قال مثل قول شرحبيل، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وادعة وعبدالله بن شرحبيل وجبار بن فيض فأتونهم بخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فانطلق الوفد حتى أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسألهم وسألوه، فلم تنزل بهم وبه المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى بن مريم؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما عندي فيه شيء يومى هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى صبح الغداة، فأنزل الله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) [٤٢] إلى قوله: (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [٤٣] فأبوا أن يقرؤا بذلك.

فلما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله) الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميلة له ومعه على (عليه السلام) وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: إني أرى أمراً مقبلاً إن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فئلا عنه ولا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك، فقالا له: ما رأيك؟ فقال: رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلاً مقبلاً - لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذاك، فتلقي شرحبيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعتك، قال: وما هو؟ قال: أحكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائر فرجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يلاعنهم وصالحهم على الجزية.

صورة أخرى للمباهلة

عن علي (عليه السلام) قال: لما قدم وفد نجران على النبي (صلى الله عليه وآله) قدم فيهم ثلاثة من النصارى من كبارهم: العاقب ومحسن والأسقف فجاءوا إلى اليهود وهم في البيت، فصاحوا بهم يا إخوة القردة والخنازير هذا الرجل بين ظهرانكم قد غلبكم، انزلوا إلينا، فنزل إليهم منصور اليهودي وكعب بن الأشرف اليهودي، فقالوا لهم: احضروا غداً نمتحنه، فقال: وكان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا صلى الصبح سأل: هيهنا من الممتحنة أحد؟ فإن وجد أحداً أجابه وإن لم يجد أحداً قرأ على أصحابه ما أنزل عليه في تلك الليلة،

فلما صلى الصبح جلسوا بين يديه فقال له الأسقف: يا أبا القاسم فذاك موسى من أبوه؟ النبي (صلى الله عليه وآله): عمران.

الأسقف: فيوسف من أبوه؟ النبي (صلى الله عليه وآله): يعقوب.

الأسقف: فذاك أبي وأمي فأنت من أبوك؟ النبي (صلى الله عليه وآله): عبدالله بن عبدالمطلب.

الأسقف: فعيسى من أبوه؟ فسكت النبي (صلى الله عليه وآله)، فنزل جبرائيل، فقال هو روح الله وكلمته.

الأسقف: يكون روح بلا جسد؟ فسكت النبي (صلى الله عليه وآله)، فأوحى إليه (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له: كن فيكون) [٤٤] فوثب الأسقف وثبته إعظام لعيسى أن يقال له من تراب.

ثم قال: ما نجد هذا يا محمد في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا نجد هذا إلا عندك.

فأوحى الله إليه (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ...) [٤٥].

فقالوا: أنصفتنا يا أبا القاسم، فمتى موعدك؟ قال: بالغداه إن شاء الله، ثم قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): فلما صلى النبي (صلى الله عليه وآله) الصبح أخذ بيدي وجعلني بين يديه، وأخذ فاطمة (عليها السلام) فجعلها خلف ظهره، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وعن شماله ثم برك لهما باركاً، فلما رأوه قد فعل ذلك ندموا وتآمروا فيما بينهم وقالوا: والله إنه لنبى، ولئن باهلنا ليستجيب الله له علينا فيهلكنا ولا- ينجينا شيء منه إلا- أن نستقبله، قال: فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه، ثم قالوا: يا أبا القاسم أفلنا، قال: نعم، قد أفلتكم، أما والذي بعثني بالحق لو باهلتكم ما ترك الله على ظهر الأرض نصرانياً إلا أهلكه.

قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الفصول: قال المأمون يوماً للرضا (عليه السلام): أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين (عليه السلام) يدل عليها القرآن؟ قال: فقال الرضا (عليه السلام) فضيلة في المباهلة، قال جل جلاله: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [٤٦] فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين (عليهما السلام) فكانا ابنيه، ودعا فاطمة (عليها السلام) فكانت في هذا الموضع نساءه ودعا أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان نفسه بحكم الله عزوجل، وقد أثبت أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أجل من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأفضل، فواجب أن لا- يكون أحد أفضل من نفس رسول الله بحكم الله عزوجل، قال: فقال المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابنته وحدها؟ فألا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره؟ فلا يكون لأمير المؤمنين (عليه السلام) ما ذكرت من الفضل، قال: فقال له الرضا (عليه السلام): ليس يصح ما ذكرت يا أمير المؤمنين وذلك أن الداعي إنما يكون داعياً لغيره كما أن الأمر أمر لغيره ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون أمراً لها في الحقيقة، وإذ لم يدع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المباهلة رجلاً إلا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد ثبت أنه نفسه التي عنها الله سبحانه في كتابه وجعل حكمه ذلك في تنزيله.

قال: فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال.

قال الطبرسى (رحمه الله): أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا الحسن والحسين (عليهما السلام)، قال أبو بكر الرازى: هذا يدل على أن الحسن والحسين ابنا رسول الله، وأن ولد الابنة ابن في الحقيقة.

وقال ابن أبي علان وهو أحد أئمة المعتزلة: هذا يدل على أن الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا مكلفين في تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

وقال أصحابنا: إن صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل، وإنما جعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية، وكان سنهما في تلك الحال سنّاً لا يمتنع معها أن يكونا كاملى العقل، على أن عندنا يجوز أن يخرق العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشرکہم فيه غيرهم فلو صح أن كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم إبانة لهم عن سواهم، ودلالة على مكانهم من

الله تعالى واختصاصهم به، ومما يؤيده من الأخبار قول النبي (صلى الله عليه وآله): ابناى هذان إمامان قاما أو قعدا. (ونساءنا) اتفقوا على أن المراد به فاطمة (عليها السلام) لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء، وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء، (وأنفسنا) يعنى علياً خاصة، ولا يجوز أن يكون المعنى به النبي (صلى الله عليه وآله) لأنه هو الداعى، ولا يجوز أن يدعى الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره.

وإذا كان قوله: (وأنفسنا) لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي (عليه السلام) لأنه لا أحد يدعى دخول غير أمير المؤمنين (عليه السلام) وزوجته وولديه (عليهم السلام) فى المباهلة، وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد، إذ جعله الله سبحانه نفس الرسول، وهذا ما لا يدانيه أحد ولا يقاربه انتهى.

قال شيخنا المجلسى (رحمه الله): ويدل على كون المراد بأنفسنا أمير المؤمنين (عليه السلام) ما رواه ابن حجر فى صواعقه رواية عن الدارقطنى: أن علياً (عليه السلام) يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم: أنشدكم الله هل فىكم أحد أقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى الرحم منى؟ ومن جعله نفسه، وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

ولا يخفى أن تخصيص هؤلاء من بين جميع أقاربه (صلى الله عليه وآله) للمباهلة دون عباس وعقيل وجعفر وغيرهم لا يكون إلا لأحد شيئين:

إما لكونهم أقرب الخلق إلى الله بعده، حيث استعان بهم فى الدعاء على العدو دون غيرهم، وإما لكونهم أعز الخلق عليه حيث عرضهم للمباهلة إظهاراً لوثوقه على حقيقته، حيث لم يبال بأن يدعو الخصم عليهم مع شدة حبه لهم، وظاهر: أن حبه (صلى الله عليه وآله) لم يكن من جهة البشرية والأمور الدنيوية، بل لم يكن يحب إلا من يحبه الله، ولم يكن حبه إلا خالصاً لله... الخ.

قال بعض الأعلام: وخلاصة الكلام: أن مدار الحب فى رسول الله (صلى الله عليه وآله) التقوى والورع وسائر الفضائل والملكات الحسنة لا الأغراض الدنيوية الفاسدة، فتخصيصه (صلى الله عليه وآله) هؤلاء من بين جميع أقاربه دليل على محبته إياهم، ومحبته دليل على كونهم أتقى وأورع وأفضل من غيرهم.

قال المجلسى (رحمه الله): فإذا ثبت ذلك فيرجع هذا أيضاً إلى كونهم أقرب الخلق وأحبهم إلى الله، فيكونون أفضل من غيرهم، فيقبح عقلاً تقديم غيرهم عليهم.

وأيضاً لما ثبت أن المقصود بنفس الرسول (صلى الله عليه وآله) فى هذه الآية، ليس المراد النفسية الحقيقية، لامتناع اتحاد الاثنين، وأقرب المجازات إلى الحقيقة اشتراكهما فى الصفات والكمالات وخرجت النبوة بالدليل، فبقى غيرها، ومن جملتها وجوب الطاعة والرئاسة العامة والفضل على من سواه وسائر الفضائل.

قال الإمام الرازى فى كتابه الأربعين: وأما الشيعة فقد احتجوا على أن علياً أفضل الصحابة بوجه: الحجة الأولى التمسك بقوله تعالى (فقل تعالوا) [٤٧] وثبت بالأخبار الصحيحة أن المراد من قوله: (وأنفسنا) هو على، ومن المعلوم أنه يمتنع أن تكون نفس على هى نفس محمد بعينه فلا بد أن يكون المراد هو المساواة بين النفسين وهذا يقتضى أن كل ما حصل لمحمد من الفضائل والمناقب فقد حصل مثله لعلى، ترك العمل بهذا فى فضيلة النبوة فوجب أن تحصل المساواة بينهما وراء هذه الصفة، ثم لا شك أن محمداً (صلى الله عليه وآله) كان أفضل الخلق فى سائر الفضائل، فلما كان على مساوياً له فى تلك الفضائل وجب أن يكون أفضل الخلق، لأن المساوى للأفضل يجب أن يكون أفضل.

ولنعم ما قال الشيخ كاظم الأزرى فى هذه المناسبة:

يا بن عم النبي أنت يد

الله التى عم كل شىء نداها

أنت قرآنه القديم وأوصا

فك آياته التي أوحاها
 خصك الله في ما أثر شتى
 هي مثل الأعداد لا تتناهي
 ليت عيناً بغير روضك ترعى
 قذيت واستمر فيها قذاها
 أنت بعد النبي خير البرايا
 والسما خير ما بها قمراها
 لك ذات كذاته حيث لولا
 أنها مثلها لما آخاها

على يتصدق بالخاتم

عن الإمام الباقر (عليه السلام) في قوله عز وجل: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) [٤٨] الآية قال: إن رهطاً من اليهود أسلموا، منهم: عبدالله بن سلام وأسد وثلعبه وابن صوريا، فأتوا النبي (صلى الله عليه وآله) فقالوا: يا نبي الله إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون فمن وصيك يا رسول الله؟ ومن ولينا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قوموا.

فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج، فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم هذا الخاتم، قال: من أعطاك؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي، قال: على أي حال أعطاك؟ قال: كان راكعاً.

فكبر النبي (صلى الله عليه وآله) وكبر أهل المسجد، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): على بن أبي طالب وليكم بعدى، قالوا رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبعلي بن أبي طالب ولياً، فأنزل الله عز وجل: (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) [٤٩] فتقدم حسان بن ثابت وأنشأ يقول:

أباحسن تفديك نفسي ومهجتي
 وكل بطيء في الهدى ومسارع
 أيذهب مدحى والمحبر ضائع
 وما المدح في جنب الآله بضائع
 فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً
 فدتك نفوس القوم يا خير راكع
 فأنزل فيك الله خير ولاية
 وبينها في محكمات الشرايع
 وقال أيضاً:

على أمير المؤمنين أخو الهدى
 وأفضل ذى نعل ومن كان حافياً
 وأول من أدى الزكاة بكفه
 وأول من صلى ومن صام طاوياً

فما أتاه سائل مد كفه
إليه ولم يبخل ولم يك جافيا
فدس إليه خاتماً وهو راعع
وما زال أواهاً إلى الخير داعيا
فبشر جبريل النبي محمداً
بذاك وجاء الوحي في ذاك ضاحيا
وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:
فدبت علياً إمام الوري
سراج البرية مأوى التقى
وصى الرسول وزوج البتول
إمام البرية شمس الضحى
تصدق خاتمه راععاً
فأحسن بفعل إمام الوري
ففضله الله رب العباد
وأنزل في شأنه هل أتى

صورة أخرى لتزول الآية عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا جلوساً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال عليه أثواب رثة والفقر ظاهر بين عينيه، ومعه عياله، فلما دخل المسجد سلم على النبي (صلى الله عليه وآله) ووقف بين يديه وأنشد يقول:

أتيتك والعذراء تبكى برنة
وقد ذهلت أم الصبي عن الطفل
وأخت وبتنان وأم كبيرة
وقد كدت من فقري أخالط في عقلي
وقد مسني فقر وذل وفاقه
وليس لنا شيء يمر ولا يحلى
ولسنا نرى إلا إليك فرارنا
وأين مفر الخلق إلا إلى الرسل

فلما سمع النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك بكى بكاء شديداً، ثم قال لأصحابه: معاشر المسلمين إن الله تعالى، قد ساق إليكم ثواباً، وقاد إليكم أجراً، والجزاء من الله في الجنة، تضاهى غرف إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فمن منكم يواسى هذا الفقير؟ فلم يجبه أحد، وكان في ناحية المسجد على بن أبي طالب يصلي ركعات تطوعاً كانت له دائماً، فأومأ إلى الأعرابي بيده فدنا منه، فدفن إليه الخاتم من يده وهو في صلاته فأخذ الأعرابي وانصرف.

ثم إن النبي أتاه جبرائيل ونادى: السلام عليك يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويقول لك: اقرأ (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون.

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون). [٥٠].

فعند ذلك قام النبي (صلى الله عليه وآله) قائماً على قدميه وقال: معاشر المسلمين أيكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله ولي كل من آمن؟ قالوا: يا رسول الله ما فينا من عمل خيراً سوى ابن عمك على بن أبي طالب فإنه تصدق بخاتمه على الأعرابي وهو يصلي. فقال النبي (صلى الله عليه وآله): وجبت الغرف لابن عمي على بن أبي طالب، فقرأ عليهم الآية... الخ. صورة ثالثة في المناقب وكشف الغمّة: بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل كلما قال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي: أنا جندب بن جنادة البدرى أبوذر الغفارى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهاتين وإلا صيماً، ورأيت بهاتين وإلا عميتا يقول: على قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.

أما إنى صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل فى المسجد، فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى أحد شيئاً.

وكان على (عليه السلام) راعياً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيه، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمراى من النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يصلى، فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخى موسى سألك فقال: (اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) [٥١] فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون إليك بآياتنا) [٥٢] اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، واجعل لى وزيراً من أهلى علياً أشدد به أزرى.

قال أبوذر: فلما أتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) كلامه حتى نزل جبرائيل من عند الله عزوجل فقال: يا محمد: اقرأ فأنزل الله عليه (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون).

وقد روى المفسرون فى نزول هذه الآية أنها نزلت فى شأن على (عليه السلام) لما تصدق بخاتمه على السائل، وإن اختلفت ألفاظ الحديث فالمفاد والمضمون واحد.

وهذه الآية تصرح لعلى (عليه السلام) بالولاية العامة على المسلمين تلك الولاية الثابتة لله ولرسوله، وسنذكر فى حديث الغدير ما تيسر من معنى الولى والمولى إن شاء الله...

على فى سورة هل أنى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

فى أمالى الصدوق عن الصادق (عليه السلام) عن أبيه فى قوله عزوجل: (يوفون بالنذر) [٥٣] قالوا: مرض الحسن والحسين (عليهما السلام) وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أبا الحسن لو نذرت فى ابنك نذراً إن الله عافاهما، فقال أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عزوجل، وكذلك قالت فاطمة (عليها السلام) وقال الصبيان: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة، فألبسهما الله عافية، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام، فانطلق على (عليه السلام) إلى جار له من اليهود يقال له: شمعون.

يعالج الصوف فقال هل لك أن تعطينى جزء من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة (عليها السلام) فقبلت وأطاعت، ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرصاً، وصلى على (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله) المغرب؟ ثم أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم، فأول لقمه كسرهما على (عليه السلام) وإذا مسكين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعمونى مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع على (عليه السلام) اللقمه من يده ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين
يا بنت خير الناس أجمعين
إلى آخر الأبيات.

ومضمونها التعطف على المسكين ويطلب (عليه السلام) من فاطمة (عليها السلام) أن تعطى شيئاً للمسكين.
فأقبلت فاطمة تقول:

أمرك سمع يا بن عم وطاعة
ما بى من لؤم ولا وضاعة

إلى آخر الأبيات التي تذكر فيها استعدادها لمساعدة المسكين الواقف على الباب ينتظر، وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياً وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح.

ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعاً من الشعير وطحنته وغزلته وخبزت منه خمسة أقرصه لكل واحد قرصاً، وصلى على المغرب مع النبي (صلى الله عليه وآله) ثم أتى منزله فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمه كسرها على (عليه السلام) وإذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع على اللقمه من يده ثم قال:

فاطم بنت السيد الكريم
قد جاءنا الله بذنا اليتيم

إلى آخر أبياته التي يحرضها على إطعام اليتيم.

ثم أقبلت فاطمة وهي تقول:

فسوف أعطيه ولا أبالي
وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياً وهم أشبالي

إلى آخر الأبيات التي تظهر فيها الموافقة على إطعام اليتيم ثم عمدت فأعطته جميع ما على الخوان، وباتوا جياً لم يذوقوا إلا الماء القراح، وأصبحوا صياماً، وعمدت فاطمة (عليها السلام) فغزلت الثلث الباقي من الصوف وطحنت الباقي وعجنته وخبزت منه خمسة أقرص لكل واحد قرصاً.

وصلى على المغرب مع النبي (عليهما السلام)، ثم أتى منزله، فقرب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمه كسرها على (عليه السلام) وإذا بأسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا؟ فوضع على (عليه السلام) اللقمه من يده ثم قال:

فاطم يا بنت النبي أحمد
بنت نبى سيد مسود

إلى آخر الأبيات.

ثم أقبلت فاطمة وهي تقول:

لم يبق مما كان غير صاع
قد دبرت كفى مع الذراع

ثم تذكر استعدادها لمواساة الأسير.

وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه وباتوا جياعاً، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء.

قال شعيب في حديثه: وأقبل على بالحسن والحسين (عليهما السلام) نحو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم النبي (صلى الله عليه وآله) قال: يا أبا الحسن شد ما يسوؤني ما أرى بكم!؟ انطلق إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ضمها إليه وقال: واغوثاه بالله؟ أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟ فهبط جبرائيل فقال: يا محمد خذ ما هيا الله لك في أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبرائيل؟ قال: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) [٥٤] حتى إذا بلغ (إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً). [٥٥].

وقال الحسن بن مهران في حديثه: فوثب النبي (صلى الله عليه وآله) حتى دخل منزل فاطمة (عليها السلام) فرأى ما بهم فجمعهم ثم انكب عليهم فبكى وهو يقول: أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم؟ فهبط عليه جبرائيل بهذه الآيات: (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) [٥٦] قال: هي عين في دار النبي (صلى الله عليه وآله) يفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين (يوفون بالنذر) [٥٧] يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وجاريتهم (ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) (ويطعمون الطعام على حبه) [٥٨] يقول: على شهوتهم للطعام وإيثارهم له (مسكيناً) من مساكين المسلمين (ويتيماً) من يتامى المسلمين (وأسيراً) من أسراء المشركين ويقولون إذا أطمعوه: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) [٥٩] قال: والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم أضمره في أنفسهم، فأخبر الله بما في ضمائرهم، ويقولون: لا نريد جزاء تكافؤنا، به ولا شكوراً تشنون علينا به، ولكن إنما أطمعناكم لوجه الله وطلب ثوابه، قال الله تعالى ذكره: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة) [٦٠] في الوجوه (وسروراً) في القلوب (وجزاهم بما صبروا جنة) [٦١] يسكنونها (وحريراً) يفترشونه ويلبسونه (متكئين فيها على الأرائك) والأريكة: السرير عليه الحجلة (لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً) [٦٢] قال شيخنا المجلسي (رحمه الله) بعد ذكر أقوال المفسرين والمحدثين: في هذه السورة أقوال: بعدما عرفت من إجماع المفسرين والمحدثين على نزول هذه السورة في أصحاب الكساء (عليهم السلام) علمت أنه لا- يريب (يشك) أريب ولا لبيب في أن مثل هذا الإيثار لا يتأتى إلا من قبل الأئمة الأخيار وأن نزول هذه السورة مع المائدة عليهم يدل على جلالتهم ورفعتهم ومكرمتهم لدى العزيز الجبار... الخ.

أقول: وأما كيف يمكن لهؤلاء أن يتجوعوا ثلاثة أيام بلياليها فليس ذلك بمستبعد، لأننا نسمع ونقرأ في الصحف أن بعض الأفراد استمر صومهم تسعة أيام بدون أن يدخل شيء في جوفهم، وأما المتراضون الذين يتجوعون بصورة مدهشة وينحصر أكلهم في كل يوم في لوزة واحدة ولا- يموتون من الجوع بل يعيشون أعواماً وأعواماً، ويمكن أن نقول: إن العادة في التجوع وعدمه لها تأثير ودخل في الموضوع.

وما قاله بعض الجهال: أنه هل يجوز أن يبالي الإنسان في الصدقة إلى هذا الحد ويجوع نفسه وأهله حتى يشرف على الهلاك؟ فقد ضرب الرقم القياسي في التجاهل أو العناد، لأن هذا هو المواساة والله تعالى يقول: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [٦٣] مع احتياجهم إلى الطعام يفضلون غيرهم على أنفسهم فلو كان هذا الإيثار قبيحاً لما مدحهم الله تعالى: وأيضاً: إن الله تعالى أنزل سورة على نبيه تقديراً لهذا الإيثار الذي لا نظير له في البشر، إلا عند الأنبياء فما دونهم.

فما قيمة انتقاد المخلوق الجاهل لهذا العمل العظيم الذي لم يسجل ولا يسجل التاريخ شبيهاً ومثيلاً له في تاريخ الكرماء الأسخياء فضلاً عن غيرهم؟؟

مفاخرة علي والعباس

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني عن ابن بريده عن أبيه قال: بينا شبيه بن أبي طلحة والعباس عم النبي يتفاخران إذ مر بهما علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: بماذا تتفاخران؟ فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد: سقاية الحاج.

وقال شيبه: أوتيت عمارة المسجد الحرام.

فقال على (عليه السلام) استحيت لكما فقد أوتيت على صغرى ما لم تأتيا، فقالا: وما أوتيت يا على؟ قال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمتما بالله ورسوله.

فقام العباس يجر ذيل ثوبه حتى دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: أما ترى إلى ما يستقبلني به على؟ فقال (صلى الله عليه وآله): ادعوا لي علياً فدعى له، فقال: ما حملك على ما استقبلت به عمك؟ فقال: يا رسول الله صدمته (دفعته) بالحق، فمن شاء ليغضب ومن شاء فليرضى.

فنزله جبرائيل وقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: أتله عليهم: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون) [٦٤] فقال العباس: إنا قد رضينا ثلاث مرات.

آية النجوى

المفاخرة بصورة أخرى قد ذكرنا فيما مضى شيئاً من خصائص الإمام (عليه السلام) التي تفرد بها عن غيره وكان يفتخر بها، لأن الله تعالى أنزل في حقه وشأنه آية أو أكثر.

ومن جملة تلك الخصائص الفريدة والمزايا الحميدة ما رواه المفسرون، في تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر). [٦٥].

فقد أورد الثعلبي والواحدى وغيرهما من علماء التفسير: أن الأغنياء أكثروا مناجاة النبي (صلى الله عليه وآله) وغلبوا الفقراء على المجالس عنده حتى كره رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك واستطال جوسهم وكثرة مناجاتهم، فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فأمر بالصدقة أمام المناجاة.

وأما أهل العسرة (الفقراء) فلم يجدوا، وأما الأغنياء فبخلوا، وخف ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخف ذلك الزحام، وغلبوا على حبه والرغبة في مناجاته حب الحطام، واشتد على أصحابه، فنزلت الآية التي بعدها راشقة لهم بسهام الملام، ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الإقدام.

وقال على (عليه السلام): إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى، وهي آية المناجاة، فإنها لما نزلت كان لي دينار فبعته بعشر دراهم وكنيت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى فويت الدراهم، فنسخت (الآية) بقوله: (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) [٦٦] الآية.

وقال ابن عمر: ثلاث كن لعلى لو أن لي واحدة منهن كانت أحب إلى من حمر النعم: تزويجه بفاطمة، وإعطاءه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وروى الشيخ الطوسى (ره) عن الترمذى والثعلبي عن على (عليه السلام) أنه قال: بى خفف الله عن هذه الأمة، لأن الله امتحن الصحابة بهذه الآية فتقاعسوا عن مناجاة الرسول، وكان قد احتجب في منزله من مناجاة كل أحد إلا من تصدق وكان معى دينار فتصدقت به، فكنت أنا سبب التوبة من الله على المسلمين حين عملت بالآية، ولو لم يعمل بها أحد لنزل العذاب لامتناع الكل عن العمل بها.

وفى كتاب فرائد السمطين: أن علياً (عليه السلام) ناجى رسول الله عشر مرات بعشر كلمات قدمها عشر صدقات، فسأل فى الأولى: ما الوفاء؟ قال: التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم قال: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله عزوجل.

قال: وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك.

قال: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

قال: وما على؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله، قال: وكيف أدعو الله تعالى؟ قال: بالصدق واليقين، قال: وما أسأل الله تعالى؟ قال: العافية.
قال: وماذا أصنع لنجاة نفسي؟ قال: كل حلالاً وقل صدقاً قال: وما السرور؟ قال: الجنة.
قال: وما الراحة؟ قال: لقاء الله تعالى، فلما فرغ نسخ حكم الآية.

قال بعض الأعلام: وأنت إذا تأملت في هذه الكلمات العشر وما فيها من الحكم والخير الكثير التي لا يعطيها الله ولا يؤتيها إلا خاصة خلقه والصالحين من عباده تجد أنها جديرة بأن يبذل بإزائها الدنيا وما فيها، وكيف لا وقد بذل أمير المؤمنين (عليه السلام) كل ما كان يملك وهو دينار واحد كما استفدنا من الروايات السابقة ليأخذ هذه الكنوز الغالية من الحكم...

الخ وقد ذكرنا فيما مضى نزول قوله تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله). [٦٧].

أنها نزلت في مبيت على (عليه السلام) على فراش رسول الله، وقد ذكر ذلك المفسرون من الشيعة والسنة.

وقد ذكر المفسرون والمحدثون من الفريقين آيات كثيرة نزلت في شأن على (عليه السلام) وأنه المقصود بها تفسيراً أو تأويلاً بأنه: الشهيد، والشاهد، والمشهود، والذكر والنور والهدى والصادق والمصدق والصديق والفضل والرحمة والنعمة، والذي عنده علم الكتاب، وقد ورد لكل اسم من هذه الأسماء حديث أو أكثر، يصرح بأن علياً (عليه السلام) هو المقصود بذلك الاسم ورعاية للاختصار اكتفينا بالإشارة فقط، ولنا في المستقبل مجال للتحدث عن الآيات القرآنية التي ترتبط بالإمام على (عليه السلام).

على والعلم

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فوق حمد الحامدين وصلى الله على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [٦٨] لا شك أن العلم فضيلة وكمال، ويعترف البشر بشرفه، ويفضل العالم على الجاهل بالفطرة لا بالتقليد، وعلى هذا الأساس لم يسكت الإسلام عن فضيلة العلم والعالم فقد قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): طلب العلم فريضة على كل مسلم.

والقرآن الكريم يشير إلى مزية العلم وقيمه وكرامته في كثير من الآيات، ويثنى على كل من أوتى العلم نصيباً.

ومن أهم الأسس للوظائف الراقية والمناصب السامية (كالحكم والقضاء) هو العلم بالأحكام الشرعية وتعاليم آداب القضاء والفتوى، ودرجات الإيمان بالله ومعرفة تابعة لمراتب العلم.

ونحن لا نستطيع أن نعرف علم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومدى إيمانه بالله تعالى، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال في حديث صحيح: يا على لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا.

ولا نستطيع أن نحدد علم الإمام ونحيط به، لأنه من علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلم رسول الله من الله تعالى، وليس عن طريق الاكتساب والتحصيل بل بالإفاضة من عند الله تعالى، ونجد في القرآن الكريم طائفة كبيرة من الآيات البيّنات التي تصرح بأن علوم الأنبياء من عند الله تعالى عن طريق الإفاضة والإلقاء في القلب، ومعلوم: أن هذا النوع من العلم لا يشوبه شيء، ولا مجال للباطل إليه، بل هو الحق الصحيح الصدق المطابق للواقع، وإليك بعض تلك الآيات: (وقل: رب زدني علماً). [٦٩].

(فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً). [٧٠].

(وزاده بسطة في العلم والجسم). [٧١].

(وكلاً آتيناها حكماً وعلماً). [٧٢].

(ولو طاً آتيناها حكماً وعلماً). [٧٣].

(ولقد آتينا داود وسليمان علماً). [٧٤].

(فلما بلغ أشده واستوى آتيناها حكماً وعلماً). [٧٥].

(إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي). [٧٦].

(إذ قال الله يا عيسى بن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً، وإذ علمتك الكتاب والحكمة). [٧٧].

(وعلم آدم الأسماء كلها). [٧٨].

(يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك). [٧٩].

(ففهمناه سليمان). [٨٠].

(ذلكما مما علمني ربي). [٨١].

(وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم). [٨٢].

(وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء). [٨٣].

(وإنه لذو علم لما علمناه). [٨٤].

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله). [٨٥].

إذا عرفتم ذلك فكيف نستطيع أن نعرف مقياس علوم الإمام ومستوى معارفه وثقافته الإلهية؟ وكيف نتمكن من الإحاطة بعلم باب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وآله) والتلميذ الأول للرسول الأعظم الذي فرغ رسول الله علومه في صدر الإمام، وعلمه في وجبة واحدة ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب؟.

وما يدري هل آسف على الإمام الذي ضاع قدره في ذلك العهد فلم يفسح له المجال ليثبت للمسلمين شيئاً من علومه الإلهية ومعارفه الربانية؟ أم آسف على المسلمين الذين حرموا من ذلك المنهل العذب وهم بأمس الحاجة إلى العلم؟ فقد مضى خمس وعشرون سنة وعلى (عليه السلام) جليس بيته مسلوب الإمكانات مكبوتاً عليه لا يستطيع تنوير العقول بعلومه وتزويد النفوس بمواهبه؟ قد نسمع أن بعض الغربيين يبدي أسفه على مكتبة الإسكندرية التي حكم عليها بالإحراق، وما ضاعت هناك من علوم وكنوز وأسرار وفنون وصارت طعمه للحريق، فلو كانت تلك العلوم في متناول البشر اليوم وقبل اليوم لكانوا في أرقى درجات الحضارة وأوج العظمة يتصرفون في تلك الكنوز ويعيشون في أوسع فضاء يستنشقون شتى العلوم ويتنعمون بتلك الثروة الفكرية التي كانت تساعدهم في التقدم بصورة مدهشة.

وسبب تأخر المسلمين خاصة والبشر عامة في خلال هذه القرون إنما هو من بركات ذلك العمل اللالإنساني!

إن كان احتراق مكتبة تضم الكتب المتنوعة يوجب التأثر والتألم في نفوس هواة العلم ورواد الفضيلة مع العلم أن الكتب كانت صامته لا ينتفع بها الأميون والذين لا يحسنون لغة تلك الكتب، فإن تجميد شخصية قد تمثلت وتجمعت فيها دوائر المعارف بكافة أنواعها وجميع أقسامها يؤسف له أكثر وأكثر، أليس من المؤسف أن تعيش أمة من الناس في الظلمات، وعندهم الضياء اللامع والسراج المنير الذي يضيء لهم الدروب والطرق وهم بأمس الحاجة إليه؟؟ وإذا بجماعة يحاولون إخفاء ذلك الضياء والحيلولة بينه وبين الإضاءة والإشراق، ويعجبهم أن يشاهدوا الناس محرومين عن الاستضاءة بأنوار ذلك القمر، وفعلاً وصلوا إلى ما أرادوا، وحكموا على المجتمع الإسلامي بالخيبة والحرمان من العلوم الإلهية وكنوز المعارف الربانية، وذلك حينما حكموا على (عليه السلام) بالاعتزال وسلبوه كل نشاط علمي، وضيّقوا عليه المجال غاية التضييق خلال خمس وعشرين سنة كما تقدم الكلام.

وبعد أن وجد المجال وعادت إليه الإمكانات واسترد ما سلب منه، وإذا بالحروب الداخلية والاضطرابات تحط من نشاطه العلمي

وتبليبل فكره وتشغل قلبه، وتسلب القرار والاطمئنان من ذلك المجتمع، فينقلب النشاط العلمى إلى طاقة حربية، وتنقلب المعاهد الثقافية إلى معارك دامية ومجازر مشجية وما هنالك من نتائج وخيمة.

بالرغم من هذا كله فقد استطاع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يرفع أضواء مشعل للعلم فى سماء الثقافة والمعرفة، فهذا كتاب نهج البلاغة وهو جزء من أربعة وعشرين جزءاً من خطب الإمام وكلماته الحكيمية ورسائله القيمة، وهذه الكمية هى التى حفظها التاريخ ولا تسأل عن الخطب والعلوم التى ضاعت ولم تلتقطها الأدمغة ولم تسجلها مسجلات التاريخ، فقد روى أن علياً (عليه السلام) خطب فى الناس يوماً من بعد صلاة الصبح إلى قبيل الظهر، فكان الإمام يفيض على الخلائق العلوم بشتى أنواعها طيلة ست ساعات تقريباً. والآن نذكر لكم ما تيسر من الأحاديث الواردة حول علوم الإمام ومدى سعة معلوماته الجمّة: (فى البحار) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لو ثبت لى الوسادة لحكمت بين أهل القرآن حتى يزهر إلى الله ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى الله، ولولا آية فى كتاب الله لأنباتكم بما يكون حتى تقوم الساعة.

وقال على (عليه السلام): لأننا أعلم بالتوراة من أهل التوراة وأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل.

عن الأصغ بن نباتة قال: لما قدم على (عليه السلام) الكوفة صلى بهم أربعين صباحاً فقراً بهم: (سيح اسم ربك الأعلى) [٨٦] فقال المنافقون: والله ما يحسن أن يقرأ ابن أبى طالب القرآن، ولو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة، قال: فبلغه ذلك، فقال ويلهم! إنى لأعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وفصاله من وصاله، وحروفه من معانيه، والله ما حرف نزل على محمد (صلى الله عليه وآله) إلا وأنا أعرف فيمن أنزل وفى أى يوم نزل وفى أى موضع نزل، ويلهم أما يقرءون (إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) [٨٧] والله عندى، ورثتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وورثها رسول الله (صلى الله عليه وآله) من إبراهيم وموسى، ويلهم! والله إنى أنا الذى أنزل الله فى: (وتعيها أذن واعية) [٨٨] فإننا كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيخبرنا بالوحى، فأعيه ويفوتهم، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً؟

عن عباة بن ربيعى قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: سلونى قبل أن تفقدونى، ألا تسألون من عنده علم المنايا والبلايا والأنساب؟ عن الأصغ بن نباتة، قال: لما بويح أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة خرج إلى المسجد معتمماً بعمامة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابساً برديه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سرتة، ثم قال: يا معشر الناس سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى فإن عندى علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنى لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب إن علياً قضى بقضائك.

والله إنى لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه، ولولا آية فى كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة. ثم قال: سلونى قبل أن تفقدونى، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية لأخبرنكم بوقت نزولها وفيم نزلت، وأنباتكم بناسخها من منسوخها وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها والله ما من فئة تضل أو تهدى إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعتها إلى يوم القيامة.

قال ابن عباس: على علم علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورسول الله (صلى الله عليه وآله) علمه الله، فعلم النبى صلوات الله عليه وآله من علم الله، وعلم على من علم النبى (صلى الله عليه وآله) وعلمى من علم على (عليه السلام)، وما علمى وعلم أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) فى علم على إلا كقطرة فى سبعة أبحر.

عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال له: يا أبا الحسن إنك لتعجل فى الحكم والفصل للشىء إذا سئلت عنه! قال: فأبرز على كفه وقال له: كم هذا؟ فقال عمر: خمسة، فقال عجلت: أبا حفص؟ قال: لم يخف على، فقال على (عليه السلام): وأنا أسرع فيما لا يخفى على.

قال الصادق (عليه السلام) لا بين أبي ليلى: أتقضى بين الناس يا عبد الرحمن؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، قال: بأي شيء تقضى؟ قال: بكتاب الله.

قال: فما لم تجد، في كتاب الله؟ قال من سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما لم أجده فيهما أخذته عن الصحابة بما اجتمعوا عليه، قال: فإذا اختلفوا فبقول من تأخذ منهم؟ قال: بقول من أردت وأخالف الباقين، قال أبو عبد الله (عليه السلام): ما تقول يوم القيامة إذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أي رب إن هذا بلغه عنى قول فخالفه؟ قال: وأين خالفت قوله يا ابن رسول الله؟ قال: فبلغك أن رسول الله قال: أقضاكم على (عليه السلام)؟ قال: نعم، قال: فإذا خالفت قوله ألم تخالف قول رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فاصفر وجه ابن أبي ليلى وسكت.

عن الأصمغ بن نباتة وجماعة أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال بحضرة المهاجرين والأنصار وأشار إلى صدره كيف ملئ علماً لو وجدت له طالباً؟ سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفظ العلم هذا لعاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا ما زقنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) زقاً، فأسألوني فإن عندي علم الأولين والآخرين أما والله لو ثبت لى الوسادة.. الخ.

وفى نهج البلاغة: (فوالذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدى مائة وتضل مائة إلا نبأتكم بناعها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت موتاً).

وعن سلمان أنه قال (عليه السلام): عندى علم المنيا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب، ومولد الإسلام ومولد الكفر، وأنا صاحب الميسم، وأنا الفاروق الأكبر، ودولة الدول فسلوني عما يكون إلى يوم القيامة، وعما كان قبلى وعلى عهدى وإلى أن يعبد الله.

على والخطابة

الأ- ترى إلى خطبه (عليه السلام) مثل: التوحيد والشكشقية والهداية والملاحم واللؤلؤة والغراء والقاصعة والافتخار والأشباح والدرة اليتيمة والأقاليم والوسيلة والطالوتية والقصية والسلمانية والناطقة والدامغة والفاضحة، بل إلى نهج البلاغة عن الشريف الرضى، وكتاب خطب أمير المؤمنين عن إسماعيل بن مهران السكونى عن زيد بن وهب أيضاً، قال الرضى: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها.

الجاحظ فى كتاب الغرة: كتب على (عليه السلام) إلى معاوية: عرك عرك، فصار قصار ذلك ذلك، فاحش فاحش فعلك فعلك تهدا بهدا.

وقال (عليه السلام): (من آمن أمن).

قال ابن أبى الحديد فى شرحه على نهج البلاغة: وأما الفصاحة فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء، وسيد البلغاء وعن كلامه قيل: هو (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة.

قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت.

وقال نباتة: حفظت من الخطابة كترًا لا يزيدة الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواظ على بن أبى طالب.

ولما قال محفن بن أبى محفن لمعاوية: (جتتك من عند أعبي الناس) قال له: ويحك! كيف يكون أعبي الناس؟! فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره.

ويكفى هذا الكتاب الذى نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى فى الفصاحة، ولا يبارى فى البلاغة، وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له، وكفاك فى هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ فى مدحه فى كتاب (البيان والتبيين) وفى غيره من كتبه.

من خطبة له يذكر فيها بديع خلقه الخفاش

منها: ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي.

وكيف عشت أعينها، عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها، وتتصل بعلائيته برهان الشمس إلى معارفها، وردعها بتلاؤ ضيائها عن المضي في سبحات إشراقها، وأكثها في مكانها عن الذهاب في بلج اثلاقها، فهي مسدلة الجفون بالنهار على أحداقها، وجاعلة الليل سراجاً تستدل به في التماس أرزاقها.

فلا يرد أبصارها إسداد ظلمته، ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته، فإذا ألتقت الشمس قناعها، وبدت أوضاع نهارها، ودخل من إشراق نورها على الضباب في وجارها، أطبقت الأجنان على مآقيها، وتبلغت بما اكتسبت من فيء ظلم لياليها، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً، والنهار سكناً وقراراً، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران كأنها شظايا الآذان، غير ذوان ريش ولا قصب، إلا أنك ترى مواضع العروق بينه أعلاماً، لها جناحان لم يرقا فينشقا، ولم يغلظا فيثقلتا.

تطير وولدها لاصق بها، لاجئ إليها، يقع إذا وقعت، ويرتفع إذا ارتفعت.

لا يفارقها حتى تشتد أركانها، ويحملة للنهوض جناحه، ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه.

فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره.

من خطبة له يذكر فيها عجيب خلقه الطاووس

ابتدعهم خلقاً من حيوان وموات، وساكن وذى حركات.

فأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به..

ومسلمة له.

ونعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذراً من مختلف طيور الأطيوار التي أسكنها أحاديث الأرض وخروق فجاجها، ورواسي أعلامها.

من ذات أجنحة مختلفة، وهيئات متباينة، مصرفة في زمام التسخير ومرففة بأجنتها في مخارق الجو المنفسح، والفضاء المنفرج.

كونها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة، وركبها في حقاك مفاصل محتجبة.

ومنع بعضها بعباله خلقه أن يسمو في السماء خفوفاً، وجعله يدف دفيماً.

ونسقها على اختلافها في الأصابع بلطيف قدرته ودقيق صنعته.

فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه.

ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن أعجبها خلقاً: الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل، ونضد ألوانه في

أحسن تنضيد، بجناح أشرح قصبه، وذنب أطال مسحبه، إذا درج إلى الأثنى نشره من طيه، وسما به مطالاً على رأسه كأنه قلع داري

عنجه نوتيه.

يختال بألوانه، ويميس بزيفانه، يفضى كأفضاء الديكة، ويؤر بملاحقة أر الفحول المغتلمة في الضراب.

أحيلك من ذلك على معانيته، لا كمن يحيل على ضعيف إسناده.

ولو كان كزعم من يزعم أنه يلحق بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وأنثاء تطعم ذلك، ثم تبيض لا من لقاح فحل

سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب، تخال قصبه مدارى من فضة وما أنبت عليها من عجيب داراته

وشموسه خالص العقبان ولفذ الزبرجد فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت جنى جنى من زهرة كل ربيع.

وإن ضاهيته بالملابس فهو كموشى الحلل أو كمونق عصب اليمن.

وإن شاكلته بالحلى فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكمل، يمشى مشى المرح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله وأصابيغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجعه، لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله فى موضع العرف قنزعة خضراء موشاء، ومخرج عنقه كالإبريق ومغرزها إلى حيث بطنه كصيغ الوسمة اليمانية، أو كحريرة ملبسه مرآة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجر أسحم، إلا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه أن الخضرة الناضرة ممتزجة به.

ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم فى لون الأقحوان أبيض يقق.

فهو بياضه فى سواد ما هنالك يأتلق.

وقل صيغ إلا وقد أخذ منه بقسط، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه، فهو كالأزاهير المبتوثة لم تربها أمطار ربيع ولا شمس قيظ.

وقد يتحسر من ريشه، ويعرى من لباسه، فيسقط تترى، وينبت تباعاً...

فينحت من قصبه انحتات أوراق الأغصان، ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيته قبل سقوطه.

لا يخالف سالف ألوانه، ولا يقع لون فى غير مكانه.

وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية، وتارة خضرة زبرجدية، وأحياناً صفرة عسجدية فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنة أن تصفه. فسبحان الذى بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فأدر كته محدوداً مكوناً، ومؤلفاً ملوناً. وأعجز الألسن عن تلخيص صفته، وقعد بها عن تأدية نعته.

وسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة إلى ما فوقهما من خلق الحيتان والأفيلة.

ووأى على نفسه أن لا يضطرب شبح مما أولج فيه الروح إلا وجعل الحمام موعده والفناء غايته.

ومنها خطبتان له الأولى خالية من الألف والثانية خالية من النقط

إحداهما بلا ألف والأخرى بلا نقطة (الأولى) فى المناقب روى الكلبي عن أبى صالح وأبو جعفر بن بابويه قدس سره بإسناده عن الرضا (عليه السلام) عن آباءه (عليهم السلام) أنه اجتمعت الصحابة فتذاكروا أن الألف أكثر دخولاً فى الكلام فارتجل (عليه السلام) الخطبة المونقة وهى:

حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت رحمته غضبه، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت قضيته، حمدته حمد مقرر برؤيته، متخضع لعبوديته، متنصل من خطيئته، متفرد بتوحده، مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه، ونستعينه ونسترشده ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له شهود مخلص موقن، وفردته تفريده مؤمن متيقن، ووحدته توحيد عبد مدعن، ليس له شريك فى ملكه ولم يكن له ولى فى صنعه، جل عن مشير ووزير، وعن عون ومعين ونصير ونظير علم فستر، وبطن فخير، وملك فقهر، وعصى فغفر، وحكم فعدل، لم يزل ولن يزول ليس كمثل شىء وهو بعد كل شىء، رب معتز بعزته، متمكن بقوته، متقدس بعلوه متكبر بسموه ليس يدركه بصر، ولم يحط به نظر، قوى منيع، بصير سميع، رؤوف رحيم عجز عن وصفه من يصفه، وضل عن نعته من يعرفه، قرب فبعد، وبعد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفى، وبطش قوى، ورحمة موسعة، وعقوبة موجعة، رحمته جنه عريضة مونقة، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة، وشهدت ببعث محمد رسوله وعبدته وصفيه ونيبه ونجيه وحبيبه وخليله، بعثه

في خير عصر، وحين فتره، وكفر، رحمة لعبيده ومنه لمزيدة، ختم به نبوته، وشيد به حجته، فوعظ، ونصح وبلغ وكدح، رؤوف بكل مؤمن رحيم، رضى ولى زكى، عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم، من رب غفور رحيم قريب مجيب، وصيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم وذكرتكم بسنة نبيكم، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشية تدرى دموعكم، وتقية تنجيكم قبل يوم يليلكم ويذهلكم، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخف وزن سيئته ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذل وخضوع، وشكر وخشوع، بتوبه ونزع، وندم ورجوع، وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه، وشيبته قبل هرمه، وسعته قبل فقره، وفرغته قبل شغله، وحضره قبل سفره، قبل تكبر وتهرم وتسقم، يمله طبيبه ويعرض عنه حبيبه، ويقطع عمره ويتغير عقله، ثم قيل هو موعوك، وجسمه منهوك، ثم جد في نزع شديد، وحضره كل قريب وبعيد، فشخص بصره وطمح نظره، ورشح جبينه وعطف عرينه، وسكن حنينه، وحزنته نفسه، وبكته عرسه، وحفر رمسه، ويتم منه ولده، وتفرق منه عده، وقسم جمعه، وذهب بصره وسمعته، ومدد وجرى وعرى وغسل، ونشف وسجى، وبسط له وهيب، ونشر عليه كفته، وشد منه ذقنه، وقمص وعمم، وودع وسلم، وحمل فوق سرير، وصلى عليه بتكبير، ونقل من دور مزخرفة، وقصور مشيدة، وحجر منجدة، وجعل في ضريح ملحود وضيق مرصود، بملبن منصود، مسقف بجلمود، وهيل عليه حفره، وحتى عليه قدره وتحقق حضره، ونسى خيره، ورجع عنه وليه، وصفيه ونديمه ونسيبه، وتبدل به قرينه وحبيبه، فهو حشو قبر، ورهين قفر، يسعى بجسمه دود قبره ويسيل صديده من منخره، يسحق برمته لحمه، وينشف دمه ويرم عظمه، حتى يوم حشره.

فنشر من قبره حين ينفخ في صور، ويدعى بحشر ونشور فثم بعثت قبور، وحصلت سريرة صدور، وجيء بكل نبي وصدیق وشهيد، وتوحد للفصل قدیر، بعده خبير بصیر، فكم من زفرة تضنيه، وحسرة تنضيه، في موقف مهول، ومشهد جليل، بين يدي ملك عظيم وبكل صغير وكبير عليم، فحينئذ يلجمه عرقه، ويحصره قلقه، عبرته غير مرحومة، وصرخته غير مسموعة وحجته غير مقبولة، زاول جريدته، ونشر صحيفته، نظر في سوء عمله، وشهدت عليه عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخطوه، وفرجه بلمسه، وجلده بمسه، فسلسل جيده، وغلت يده، وسبق فسحب وحده، فورد جهنم بكرب وشدة فظل يعذب في جحيم، ويسقى شربة من حميم، تشوى وجهه وتسليخ جلده، وتضربه زبنيته بمقمع من حديد، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد، يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم، ويستصرخ فيلبث حقة يندم، نعوذ برب قدیر، من شر كل مصير، ونسأله عفو من رضى عنه، ومغفرة من قبله، فهو ولى مسألتي، ومنجح طلبتي، فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنته بعزته وخلد في قصور مشيدة، وملك بحور عين وحفدة، وطيف عليه بكووس وسكن حظيرة قدس، وتقلب في نعيم، وسقى من تسنيم، وشرب من عين سلسيل، ومزج له بزنجيل، مختم بمسك وعبير، مستديم للملك، مستشعر للسرور، يشرب من خمور في روض مغدق ليس يصدع من شربه، وليس ينزف، هذه منزلة من خشى ربه، وحذر نفسه معصيته، وتلك عقوبة من جحد مشيئته، وسولت له نفسه معصيته، فهو قول فصل، وحكم عدل، وخبر قصص قص، ووعظ نص، تنزيل من حكيم حميد، نزل به روح قدس مبین، على قلب نبي مهتد رشيد، صلت عليه رسل سفرة مكرمون بررة، عذت برب عليم رحيم كريم من شر كل عدو لعين رحيم، فليتضرع متضرعكم وليتهل مبتهلكم ويستغفر كل مربوب منكم لى ولكم وحسبى ربي وحده.

ثم ارتجل الإمام (عليه السلام) خطبة أخرى خالية من النقط وهي على نسختين (الأولى):

الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود مصور كل مولود، ومآل كل مطرود، ساطح المهاد وموطد الأطواد، ومرسل الأمطار ومسهل الأوطار، عالم الأسرار ومدركها، ومدمر الأملاك ومهلكها، ومكور الدهور ومكررها، ومورد الأمور ومصدرها، عم سماحة وكمل ركامه، وهمل، وطواع السؤال والأمل، وأوسع الرمل وأرمل، أحمدته حمداً ممدوداً، وأوحده كما وحد الأواه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا صانع لما عدله وسواه أرسل محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكام مسدداً للرعاع ومعطل أحكام وُدّ وسواع، أعلم وعلم، وحكم وأحكم، وأصل الأصول، ومهد وأكد الموعود، وأوعد أوصل الله له الإكرام، وأودع روحه السلام، ورحم آله وأهله الكرام، ما لمع رائل وملع دال، وطلع هلال، وسمع إهلال، اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال، واطرحوا الحرام، ودعوه، واسمعوا أمر الله وعوه، وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء وادعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع،

ومصاهركم أظهر الأحرار مولداً وأسراهم سؤدداً، وأحلامهم مورداً، وها هو أمكم وحل حرمكم مملكاً عروسكم المكرمه وما مهر لها كما مهر رسول الله أم سلمه، وهو أكرم صهر أودع الأولاد وملك ما أراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم، أسأل الله حكماً أحمد وصاله، ودوام إسعاده، وألهم كلاً إصلاح حاله والأعداد لمآله ومعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله أحمد.

(الثانية): فى المناقب روى الكلبي عن أبى صالح وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ارتجل خطبة أخرى من غير النقط التى أولها:

الحمد لله أهل الحمد ومأواه وأوكد الحمد وأحلاه وأسرع الحمد وأسراه وأظهر الحمد وأسماه وأكرم الحمد وأولاه إلى آخرها.

ومنهم الشعراء وهو (عليه السلام) أشعرهم وذكر البلاذرى فى أنساب الأشراف أن علياً أشعر الصحابة وأفصحهم وأكتبهم.

فى تاريخ البلاذرى: كان أبو بكر يقول الشعر، وعمر يقول الشعر وعثمان يقول الشعر، وكان على (عليه السلام) أشعر الثلاثة.

ومنهم الوعاظ وليس لأحد من الأمثال والعبر والمواعظ والزواجر ما له نحو قوله (عليه السلام): (من زرع العدوان حصد الخسران، من ذكر المنية نسي الأمانة، من قعد به العقل قام به الجهل، يا أهل الغرور ما ألهجكم بدار خيرها زهيد، وشرها عتيد، ونعيمها مسلوب، وعزيزها منكوب، ومسالمها محروب، ومالكها مملوك وتراثها متروك؟).

ومنهم الفلاسفة وهو (عليه السلام) أرجحهم، قال (عليه السلام): أنا النقطة أنا الخط، أنا الخط أنا النقطة، أنا النقطة والخط، فقال جماعة: إن القدرة هى الأصل، والجسم حجاب، والصورة حجاب الجسم، لأن النقطة هى الأصل، والخط حجاب ومقامه، والحجاب غير الجسد الناسوتى.

وسئل (عليه السلام) عن العالم العلوى فقال: صور عارية من المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تحلى لها فأشرفت، وطالعتها فتلاآت، وألقى فى هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة.

إن زكاها بالعلم فقد شابته جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد.

قال ابن سينا: لم يكن شجاعاً فيلسوفاً قط إلا على (عليه السلام).

قال الشريف الرضى: من سمع كلامه (عليه السلام) لا يشك أنه كلام من قبع فى كسر بيت أو انقطع فى سفح جبل، لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس فى الحرب، مصلاً سيفه، فيقط الرقاب ويجدل الأبطال، ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً، وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه التى جمع بها بين الأضداد.

ومنهم المنجمون وهو (عليه السلام) أكيسهم، قال سعيد بن جبیر استقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) دهقان فقال له: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالع وتناحست السعود بالنحوس فإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، ويومك هذا يوم صعب قد اقترن كوكبان، وانفكاً فيه الميزان، وانقذ من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أيها الدهقان، المنبى بالآثار، المخوف من الأقدار ما كان البارحة صاحب الميزان؟ وفى أى برج كان صاحب السرطان؟ وكم الطالع من الأسد والساعات فى الحركات؟ وكم بين السرارى والزراى؟ قال: سأنظر فى الإسطرلاب فتبسم أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال له: ويلك يا دهقان أنت مسير الثابتات؟ أم كيف تقضى على الجاريات؟ وأين الأسد من المطالع؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ وما دور السرارى المحركات؟ وكم قدر شعاع المنيرات؟ وكم التحصيل بالغدوات؟ فقال: لا علم لى بذلك يا أمير المؤمنين، فقال له: يا دهقان هل نتج علمك أن انتقل بيت ملك الصين، واحترقت دور بالزنج، وخمد بيت نار فارس وانهدمت منارة الهند، وغرقت سرانديب، وانقض حصن الأندلس، ونتج بترك الروم بالرومية؟؟ فخر الدهقان ساجداً فلما أفاق قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ألم أروك من عين التوفيق؟ فقال: بلى، فقال: أنا وصاحبى لا شريقيون ولا غربيون، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك، أما قولك (انقذ من برجك النيران وظهر منه السرطان) فكان الواجب أن تحكم به لى لا على، أما نوره وضيأوه فعندى، وأما حريقه ولهبه فذهب عنى وهذا مسألة عقيمة احسبها إن كنت حاسباً.

فقال الدهقان: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك على ولي الله.

هذا وللإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) آراء ونظريات فى التوحيد حول الإلهيات، كالصفات الثبوتية والسلبية، وما يتعلق بذلك وله كلام وبحث دقيق حول العلوم الكونية والطبيعية كالفلك والنجوم والسحاب والرعد والبرق وتكوّن الأمطار وما شابه من المواضيع المتعلقة بالعالم الأعلى.

وله تحليل جليل حول الإنسان نطفةً وجيناً ورضيعاً ووليداً وشاباً وكهلاً وما يدور فى هذا الفلك من علم النفس والفلسفة البشرية، وغير ذلك.

يظهر كل هذا من مطاوى كلماته وخطبه الموجودة فى نهج البلاغة وغيره من كتب الحديث.

وتتميماً لهذا البحث نذكر كلام ابن الحديد فى هذا الموضوع، قال: وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهى، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه (عليه السلام) اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى ومنه ابتداءً.

فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبى هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه (عليه السلام).
وأما الأشعرية فإنهم يضمون إلى أبى الحسن بن أبى بشير الأشعرى وهو تلميذ أبى على الجبائى، وأبو على أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون بالآخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم، وهو على بن أبى طالب (عليه السلام).
وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم: علم الفقه، وهو (عليه السلام) أصله وأساسه، وكل فقيه فى الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه.

أما أصحاب أبى حنيفة كأبى يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبى حنيفة.

وأما الشافعى فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه إلى أبى حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد (عليه السلام)، وجعفر قرأ على أبيه، وينتهى الأمر إلى على (عليه السلام).

وأما مالك فقرأ على ربيعة الرأى، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبدالله بن عباس، وقرأ عبدالله بن عباس على بن أبى طالب (عليه السلام).

وإن شئت رددت إليه فقه الشافعى بقراءته على مالك كان ذلك لك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

أما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر، وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وابن عباس، وكلاهما أخذ عن على (عليه السلام).

أما ابن عباس فظاهر، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه فى كثير من المسائل التى أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: لولا على لهلك عمر وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقوله: لا يفتين أحد فى المسجد وعلى حاضر. فقد عرف بهذا الوجه انتهاء الفقه إليه.

وقد روت العامة والخاصة قوله (صلى الله عليه وآله) أقضاكم على والقضاء هو الفقه، فهو إذن أفقهم.

وروى الكل أيضاً أنه (صلى الله عليه وآله) قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه.

قال: فما شككت بعدها فى قضاء بين اثنين.

وهو (عليه السلام) الذى أفتى فى المرأة التى وضعت لسته أشهر، وهو الذى أفتى به فى الحامل الزانية، وهو الذى قال فى المنبرية: صار ثمنها تسعاً.

وهذه المسألة لو فكر الفرضى فيها فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهياً واقتضبه ارتجالاً؟
ومن العلوم: علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرع، وإذا راجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه، وعن عبدالله

بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه، وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط...
ومن العلوم: علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله ومن جملتها: الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف.
ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

على والفضائل النفسية

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمائه وصى الله على سيدنا محمد سيد أنبيائه وآله سادات أوليائه.

قال الله تعالى في القرآن العظيم: (قل كلُّ يعمل على شاكلته). [٨٩].

قال علماء النفس والفلاسفة: إن أعمال الإنسان وأفعاله التي تظهر إلى الوجود إنما هي آثار نفسيته التي تطبع عليها، وانطباعاته التي خامرت روحه عن الوراثة والتربية، فالفضائل بكافة أنواعها وأقسامها، والردائل بجميع أشكالها وأجناسها ما هي إلا ولائد التربية أو رواسب الوراثة.

وقد ذكرنا في بعض الليالي الماضية بعض جوانب التربية ونتائجها، ولو أردنا الخوض في هذا البحث فاتنا الكلام الأصلي المقصود بيانه في هذه الليلة.

حديثنا الليلة حول الفضائل النفسية التي امتاز بها الإمام (عليه السلام) وإنما وصفنا الفضائل بالنفسية لأن هناك فضائل لا ترتبط بالنفس كالنسب الشريف والجمال والقوة فإنها أمور لا اختيارية، والفضائل النفسية تظهر إلى الوجود بالطوع والاختيار كالجود والعفو والزهد والعبادة وما شاكل ذلك فإنها منبعثة من نفس طاهرة شريفة فاضلة وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (قل كلُّ يعمل على شاكلته) [٩٠] أي قل يا محمد كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها أو على طريقته وسنته التي اعتادها، وقال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا

فكل إناء بالذي فيه ينضح

وقد مر عليكم الشيء الكثير القليل مما يتعلق بهذا الإمام العظيم من عوامل التشريف والتأثير في نفسيته الطاهرة (عليه السلام) من حيث الميلاد والمواهب والمزايا والخصائص والتربية، فانتجت تلك العوامل الإلهية والنبوية أحسن إنتاج، وجعلت نفس على مركزاً لانطلاق كل فضيلة وخير فلا عجب إذا كان الإمام (عليه السلام) صوتاً للعدالة الإسلامية ورمزاً للفتوة والمروءة ومثالاً للعطف والحنان الأبوي.
وأصحاب النفوس الشريفة تختلف هواياتهم عن غيرهم، فهم دائماً وأبداً يلبون نداء ضميرهم الإنساني، ويستلذون بإسعاف الفقير والمسكين.

ويبتهجون بإشباع البطون الجائعة وإكساء الأجساد العارية وإنقاذ البؤساء من براثن الفاقة، وحيث أنهم أشربوا معرفة الله تعالى وخالط

حب الله لحومهم ودماءهم فإن أسعد أوقاتهم وألذها عندهم هي الساعات التي يشتغلون فيها بمناجاة ربهم والخضوع والخشوع أمام عظمة الله تعالى، فلا يملون من العبادة كما لا يمل الحبيب من مكالمه حبيبه.

وجملته أخرى لا- بأس بالإشارة إليها وهي: أن الإنسان حينما يحس بالنقص في نفسه من حيث العلم أو الفن أو الفضيلة أو القوة أو الجمال أو ما شابه ذلك فإنه يحاول إخفاء ذلك النقص وجبران ذلك العيب عن طريق التزيين والتجميل في الملابس والمسكن وسائر لوازم الحياة ومظاهر الترف، كل ذلك إرضاء لوجدانه وضميره الذي يؤنبه بالنقص، أما أولياء الله فإنهم يحسون بالكمال في أنفسهم، فهم في غنى عن ستر النقص عن طريق التجميل والتفنن في الملابس والمأكل والمسكن وما جرى مجرى ذلك لأنه لا نقص فيهم. وعلى هذا الأساس كانوا يختارون لأنفسهم البساطة في المعيشة، ويتجلى الزهد في جميع مظاهر حياتهم بدون أي تكلف وتعسف، فلا يشتاقون إلى اختلاف الأطعمة ولا- تميل نفوسهم إلى زخارف الحياة وزبرجدها، فإن الإحساس بالكمال يحول بينهم وبين الشعور بالحاجة إلى ما تنهافت عليه نفوس الآخرين من حطام الدنيا.

فإذا قرأنا أو سمعنا عن نبي أو إمام شيئاً من الزهد وعدم الإقبال على مباحج الحياة فلعله معلول هذه العلة التي تقدمت. وسندكر ما تيسر من الأخبار والأحاديث التي اشتهرت بين أعلام الحديث وحفاظه حول الفضائل النفسية التي أنعم الله بها على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

قال ابن أبي الحديد في مقدمته على شرح نهج البلاغة:

وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل؟ ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله؟ فقد علمت أنه استولى بني أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريف عليه، ووضع المعاييب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه، بل حبسوه وقتلوه ومنعوا من راوية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتى حضروا (منعوا) أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا- رفعة وسمواً، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كتم توضع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تعزى (تنسب) إليه كل فضيلة؟ وتتنمى إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها، ومجلى حليتها.

وكل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى...

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسية والدينية وجدته ابن جلاها، وطلاع ثناياها.

على واليقين

في البحار ج ٩ قال الإمام الصادق (عليه السلام): كان لعلي غلام اسمه قنبر وكان يحب علياً (عليه السلام) حباً شديداً فإذا خرج علي خرج علي أثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال يا قنبر: ما لك؟ قال: جئت لأمشي خلفك فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك.

فقال ويحك! أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟ قال: بل من أهل الأرض.

قال: إن أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا أن يأذن الله عزوجل من السماء، فارجع فرجع.

وقيل له (عليه السلام) يوم صفتين احترس يا أمير المؤمنين فإننا نخشى أن يقتلك هذا اللعين.

فقال (عليه السلام): كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلا ومعه ملائكة حفظه يحفظونه من أن يتردى في بئر، أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله خلوا بينه وبين ما يصيبه، فكذلك أنا إذا حان أجلي انبعث أشقاها فخضب هذه بهذه وأشار إلى لحيته وهامته عهداً معهوداً ووعداً غير مكذوب.

على والحفظ

في البحار ج ٩ عن سليم بن قيس قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله عز وجل أن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله عز وجل ولا علماً أملاه علي فكتبته، وما ترك شيئاً علمه الله عز وجل من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى وما كان وما يكون من طاعته أو معصيته إلا علمنيه وحفظته، ولم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع يده علي صدري ودعا الله تبارك وتعالى بأن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمةً ونوراً، ولم أنس من ذلك شيئاً، ولم يفتني من ذلك شيء لم أكتبه جهلاً وقد أخبرني أن ربي عز وجل قد استجاب لي فيك... إلى آخره.

على والتعطف

(في البحار ج ٩) عن الإمام الباقر (عليه السلام): رجع علي (عليه السلام) إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قاتمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى علي وحلف ليضربني. فقال: يا أمه الله حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إنشاء الله. فقالت: يشتد غضبه وحرده علي.

فطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعنت، أين منزلتك؟ فمضى إلى بابه فوقف فقال: السلام عليكم. فخرج شاب، فقال علي: يا عبد الله اتق الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك والله لأحرقنها لكلامك. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) أمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وتستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف، قال: فأقبل الناس من الطرق يقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين فسقط الرجل في يديه وقال: يا أمير المؤمنين: أقلني عثرتي، فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني. فأغمد سيفه فقال: يا أمه الله ادخلي منزلتك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه. قال أبو الطفيل: رأيت علياً (عليه السلام) يدعو اليتامى فيطعمهم العسل حتى قال بعض أصحابه: لوددت أني كنت يتيماً.

على والحق

قال الله الحكيم في كتابه الكريم: (وقل جاء الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) [٩١] وقال تعالى: (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع). [٩٢].

سئل أبوذر عن اختلاف الناس فقال: عليك بكتاب الله والشيخ علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (علي مع الحق والحق معه وعلي لسانه، يدور حيث ما دار علي).

وسلم محمد بن أبي بكر يوم الجمل علي عائشة فلم تكلمه فقال: أسألك بالله الذي لا إله إلا هو ألا سمعتك تقولين: ألزم علي بن أبي طالب فإنني سمعت رسول الله يقول: (الحق مع علي وعلي مع الحق لا يفترقان حتى يردا علي الحوض)؟ قالت: بلى قد سمعت ذلك منه.

عن الأصعب بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: ويل لمن جهل معرفتي ولم يعرف حقي، ألا إن حقي هو حق الله، ألا إن حق الله هو حقي.

على والغنى

(في الكافي) عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق) (عليه السلام)، إن الناس يرون أن لك مالا كثيرا. فقال: ما يسوءني ذاك إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مر ذات يوم على ناس شتى من قريش وعليه قميص مخرق، فقالوا: أصبح على لا مال له، فسمعها أمير المؤمنين، فأمر الذي يلي صدقته أن يجمع ثمره ولا يبعث إلى إنسان شيئا، وأن يوفره، ثم قال: بعه الأول فالأول، واجعلها دراهم ثم اجعلها حيث تجعل التمر فاكبسه معه حيث ترى، وقال للذي يقوم عليه: إذا دعوت بالتمر فاصعد وانظر المال فاضربه برجلك كأنك لا تعمد الدراهم حتى تنثرها. ثم بعث إلى رجل منهم يدعوه، ثم دعى بالتمر فلما صعد ينزل التمر ضرب برجله فانتثرت الدراهم، فقالوا: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: هذا مال من لا مال له، ثم أمر بذلك المال فقال انظروا أهل كل بيت كنت أبعث إليهم فانظروا ماله وابعثوا إليه. وذكر ابن أبي الحديد: أن غلة أرضه في ينبع كانت في السنة أربعين ألف دينار فكان يتصدق بها في سبيل الله.

على والعفو

بعث أمير المؤمنين إلى لبيد بن عطار التميمي في كلام بلغه، فمر به إلى أمير المؤمنين في بني أسد، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأفلقته، فبعث أمير المؤمنين (عليه السلام) فأتوه به وأمر به أن يضرب فقال له نعيم: إن المقام معك لذل، وإن فراقك لكفر فلما سمع ذلك منه قال: قد عفونا عنك إن الله عز وجل يقول: (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) [٩٣] أما قولك: إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها، وأما قولك: إن فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها، فهذه بذه.

على والحكمة

قال الله تعالى: (من يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا). [٩٤]. وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أنا مدينة الحكمة وعلى بابها). قد ذكر المفسرون للحكمة معاني متعددة وقد فاز الإمام بالحكمة بجميع معانيها وبكافة نواحيها فقد ذكر الطبرسي في تفسير الآية وجوهاً.

١ علم القرآن: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره حلاله وحرامه.

٢ الإصابة في القول والعقل.

٣ علم الدين.

٤ العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته.

٥ القرآن والفقه.

٦ ما أتى الله أنبياءه وأممهم في كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه.

(عن أمالي الطوسي): قال جابر بن عبد الله الأنصاري: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذ بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يقول: هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره مخذول من خذله.

ثم رفع صوته: أنا مدينة الحكمة وعلى بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب.

وذكر البغوي في الصحاح: أنا دار الحكمة وعلى بابها.

(في حلية الأولياء): سئل النبي (صلى الله عليه وآله) عن علي بن أبي طالب فقال: قُسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطى علي (عليه السلام) تسعة أجزاء والناس جزء واحد.

وذكر الغزالي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: أنا ميزان الحكمة وعلى لسانها.

على والزهد

قال عمر بن عبدالعزيز: ما علمنا أحداً كان في هذه الأمة أزهده من على بن أبي طالب بعد النبي (صلى الله عليه وآله).

قال (عليه السلام): لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها.

وفي البحار عن السيد ابن طاووس عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: تزوجت فاطمة (عليها السلام) وما كان لي فراش، وصدقتي اليوم لو قسمت على بنى هاشم لو سعتهم.

وقال فيه أنه (عليه السلام): وقف أمواله وكانت غلتها أربعين ألف دينار وباع سيفه وقال: من يشتري سيفي؟ ولو كان عندي عشاء ما بعته! وقال مرة: من يشتري سيفي الفلاني، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته! قال: قال: وكان يفعل هذا وغلته أربعون ألف دينار من صدقته.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) في زهد على (عليه السلام) أنه ولي (أيام خلافته) خمس سنين، وما وضع آجرة ولا لبنه على لبنه ولا أقطع قطعاً ولا أورت بيضاء ولا حمراء.

عن الزمخشري: إن علياً (عليه السلام) اشترى قميصاً، فقطع ما فضل عن أصابعه ثم قال للرجل: حصه (أي خط كفافه).

عن الأصمغ بن نباته قال علي (عليه السلام) لأهل البصرة: دخلت بلادكم بأشمالى هذه ورحلتى وراحتى ها هي، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإننى من الخائنين.

وفي رواية: يا أهل البصرة ما تنقمون منى إن هذا لمن غزل أهلى؟ وأشار إلى قميصه.

وترصد غداه عمرو بن حريث، فأنت فضة بجراب مختوم، فأخرج منه خبزاً متغيراً خشناً، فقال عمرو: يا فضة لو نخلت هذا الدقيق وطيبته قالت: كنت أفعل فنهاني، وكنت أضع في جرابه طعاماً طيباً فختم جرابه، ثم إن أمير المؤمنين (عليه السلام) فته في قصعة وصب عليه الماء ثم ذر عليه الملح وحسر عن ذراعه، فلما فرغ قال (عليه السلام): يا عمرو لقد حانت هذه ومد يده إلى محاسنه وخسرت هذه أن أدخلها النار من أجل الطعام، وهذا يجزيني.

ورآه عدى بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح، فقال: إنى لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورك، فقال (عليه السلام):

علل النفس بالقنوع وإلا

طلبت منك فوق ما يكفيها

ونظر على (عليه السلام) إلى فقير انخرق كُم ثوبه فخرق على (عليه السلام) كُم قميصه وألقاه إليه.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): إن علياً أتى البرازين فقال لرجل: بعنى ثوبين.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عندي حاجتك فلما عرفه مضى عنه، فوقف على غلام، فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فقال: يا قنبر خذ الذي بثلاثة فقال: أنت أولى به، تصعد المنبر، وتخطب الناس فقال: وأنت شاب ولك شره الشباب، وأنا أستحي من ربي أن أفضلك عليك! سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ألبسوه مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون.

فلما لبس على القميص مد كُم القميص فأمر بقطعه واتخذه قلانس للفقراء، فقال الغلام: هلم أكفه (أي أخيطه)، قال: دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك، فجاء (أبو الغلام) أي (بائع الثوب) وقال: إن ابني لم يعرفك وهذان درهمان ربحهما، فقال: ما كنت لأفعل، قد ماكست وماكسنى، واتفقنا على رضى.

روى ابن عبد البر المالكي في الاستيعاب بسنده وغيره أن معاوية قال لضرار بن ضمرة: صف لي علياً، قال: اعفنى.

قال: لتصفنه.

قال: أما: إذا كان لا بد من وصفه، فإنه: كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس (ويستأنس) بالليل ووحشته و كان غزير الدمعة (العبرة) طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب، (من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن) وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوانه، (وينبئنا إذا استبأناه) ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبه له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطعم القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا غرى غيري، أبي نعرضت؟ أم إلى تشوقت؟ هيهات! قد بنتك (بايتتك) ثلاثه، لا رجعة فيها، فمرك قصير وخطرك كبير (حقير) وعيشك حقير، آه! من قلّه الزاد وبعد السفر ووحشه الطريق.

فبكي معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها.

وفي المناقب: ثم قام وخرج باكياً فقال معاوية: أما إنكم لو فقدتموني لما كان فيكم من يثنى على هذا الثناء.

فقال بعض من حضر: الصاحب علي قدر صاحبه.

قال ابن أبي الحديد: (وأما الزاهد في الدنيا: فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال، وإليه تشد الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً).

قال عبدالله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدم فأكل فقلت: يا أمير المؤمنين فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين (الحسنين) أن يلتاه بسمن أو زيت!! وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وليف أخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمه له!! وكان يأتدّم إذا ائتم (أى يجعل إداماً) بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فيبعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات.

علي والعفة

في التاسع من البحار نقلاً عن كتاب مناقب ابن شهر آشوب وكتاب الاحتجاج وغيرهما عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال...: وسافرت مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وليس له خادم غيري، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ينام بيني وبين عائشة ليس علينا لحاف غيره، فإذا قام: إلى صلاة الليل يحط بيده للحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس للحاف الفراش الذي تحتنا.. الخ.

هذا الحديث كما تراه يدل على شدة ثقة النبي بعلي، وكثرة اختصاصه به واطمئنانه منه، وكثيراً ما تحدث أمثال هذه القضايا في العوائل المحافظة على الحجاب والغيرة نظراً لنزاهة الأفراد وطهارة القلوب فكيف بالمعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(في البحار) عن عبدالله بن مسعود قال: خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من بيت زينب بنت جحش حتى أتى بيت أم سلمة، وجاء داق ودق الباب، فقال: يا أم سلمة قومي فافتحي له.

قالت: فقلت: ومن هذا يا رسول الله الذي من خطره أن أفتح له الباب؟ وأتلقاه بمعاصمي؟ وقد نزلت في بالأمس آيات من كتاب الله: (يا نساء النبي)....

فقال: يا أم سلمة إن طاعة الرسول طاعة الله وإن معصية الرسول معصية الله، وإن بالباب لرجلاً ليس بنزق ولا خرق، وما كان ليدخل

منزلاً حتى لا يسمع حساً، وهو يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

فقلت: ففتحت الباب، فأخذ بعضادتي الباب ثم جئت حتى دخلت الخدر، فلما أن لم يسمع وطئ قدمي دخل ثم سلم على رسول الله ثم قال: يا أم سلمة وأنا من وراء الخدر أتعرفين هذا؟ قلت: نعم هذا علي بن أبي طالب قال: هو أخي، سجيتة سجيتي ولحمه من لحمي، ودمه من دمي ... الخ.

على والتواضع

قال سعد بن معاذ لعلي (عليه السلام)، وكان نازلاً- عليه: ما منعك أن تخطب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابنته؟ فقال (عليه السلام) أنا أجتري أن أخطب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ والله لو كانت أمة ما اجترأت عليه. فحكى سعد مقالته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال له رسول الله: قل له: يفعل. فأني سأفعل.

قال: فبكى علي حيث قال له سعد، ثم قال (عليه السلام): لقد سعدت إذ أن جمع الله لي صهره مع قرابته.

وشرف أبي طالب ما قد علمه الناس وهو ابن عم رسول الله لأبيه وأمه.

(في البحار): بالإسناد إلى أبي محمد العسكري (عليه السلام) أنه قال: أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعته علي بن أبي طالب (عليه السلام) حقاً.

ولقد ورد علي أمير المؤمنين أخوان له مؤمنان: (أب وابن)، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر المجلس، وجلس بين أيديهما: ثم أمر بطعام فأحضر فأكل- منه ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل للبيس، وجاء ليصب علي يد الرجل فوثب أمير المؤمنين وأخذ الإبريق: ليصب علي يد الرجل، فتمرغ الرجل في التراب، وقال: يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب علي يدي؟ قال: اقعد واغسل، فإن الله عز وجل يراك، وأخوك الذي لا- يتميز منك ولا ينفصل عنك يخدمك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلي حسب ذلك في مماليكه فيها.

فقعد الرجل فقال له علي: أقسمت بعظيم حقي الذي عرفته ونحلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن تدنيني لما شرفك به من خدمتي لك لما غسلت مطمئناً، كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً.

ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصيبت علي يده ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه، إذا جمعهما مكان، ولكن قد صب الأب علي الأب فليصب الابن علي الابن، فصب محمد بن الحنفية علي الابن.

ثم قال الإمام الحسن بن علي العسكري: فمن اتبع علياً علي ذلك فهو الشيعي حقاً.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب ويستسقى ويكنس، وكانت فاطمة سلام الله عليها تطحن وتعجن وتخبز.

وإن علياً اشترى تمرًا بالكوفة فحملة في طرف رده فتياد الناس إلى حملة، وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نحمله، فقال (عليه السلام): رب العيال أحق بحمله.

وكان علي (عليه السلام) يحمل التمر والمالح (الملح) بيده ويقول:

لا ينقص الكامل من كماله

ما جر من نفع إلى عياله

وعن زيد بن علي إن علياً كان يمشي في خمسة (مواضع) حافياً، ويلق نعله بيده اليسرى: يوم الفطر، والنحر، والجمعة، وعند العيادة،

وتشيع الجنازة، ويقول: إنها مواضع الله وأحب أن أكون فيها حافياً.

وكان (عليه السلام) يمشى في الأسواق وحده وهو إذ ذاك يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ.

على والحلم

(في البحار) مرت امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هنتها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أو فليمس أهله، فإنما هي امرأة كامرأة، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه!! فوثب القوم ليقتلوه فقال (عليه السلام): رويداً إنما هو سبب بسبب أو عفو عن ذنب.

قال قنبر: دخلت مع أمير المؤمنين على عثمان فأحب الخلوة فأومى إليه (إلى) بالتنحي، فتنحيت غير بعيد، فجعل عثمان يعاتبه وهو مطرق برأسه، وأقبل إليه وقال عثمان: ما لك لا تقول؟ فقال: ليس جوابك إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب ثم خرج قائلاً: ولو أنني جاوبته لأمضه

نوافذ قولي واحتضار جوابي

ولكنني أغضى على مضض الحشا

ولو شئت إقداماً لأنشب نابي

في البحار إن أمير المؤمنين (عليه السلام) مر بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي فقال: يا جاريه ما يبكيك؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتته به أبي أن يقبله.

قال (عليه السلام): يا عبدالله: إنها خادم وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها وخذ التمر.

فقام إليه الرجل فلكره فقال الناس: هذا أمير المؤمنين.

فربا الرجل واصفر وأخذ التمر ورد إليها درهمها ثم قال: يا أمير المؤمنين ارض عني.

فقال: ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك، وفي رواية: (إذا وفيت الناس حقوقهم).

ودعى (عليه السلام) غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت فقال: ما حملك على ترك إجابتي؟ قال: كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك، فقال: الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه، امض، فأنت حر لوجه الله.

وكان (عليه السلام) في صلاة الصبح فقرأ ابن الكواء: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) [٩٥] فأنصت على (عليه السلام) تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته ثم أعاد ابن الكواء الآية فأنصت أيضاً.

ثم قرأ فأعاد ابن الكواء فأنصت على، ثم قرأ: (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) [٩٦] ثم أتم السورة وركع.

(في البحار) عن الأصمغ بن نباتة قال: أمرنا أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمى (الخورتق) فقالوا: تنتزه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا علياً قبل أن يجتمع (أن يصلى الجمعة) فبينما هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب، فصادوه، فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه وقال: بايعوا، هذا

أمير المؤمنين!! فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم، فارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين يخطب، ولم يفارق بعضهم بعضاً، فكانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسر إلى ألف حديث لكل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح، وإني سمعت الله جل جلاله يقول: (يوم ندعو كل

أناس بإمامهم) [٩٧] وإني أقسم لكم بالله ليعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب، ولو شئت أن أسميهم لفعلت! قال: فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما سقط السعف حياءً ولوماً وجبناً.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: (وأما الحلم والصفح: فكان أحلم الناس عن مذنب، وأصفحهم عن مسيء وقد ظهرت صحة ما قلنا يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم، وكان أعدى الناس له وأشدهم بغضاً، فصفح عنه. وكان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد... وكان علي يقول: ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شب عبدالله. فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينك. لم يزد علي ذلك.

وظفر بسعيد بن العاصي بعد وقعة الجمل بمكة، وكان عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً. وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس، عممهن بالعمائم، وقلدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، وتأففت، وقالت: هتك ستري ورجاله الذين وكلهم بي!! فلما وصلت إلى المدينة ألت النساء عمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة. وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه، ووجوه أولاده بالسيوف وسبوه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيوف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا: لا يتبع مول، ولا يجهز علي جريح، ولا يقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن، ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبي ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبي إلا الصبح والعفو.

علي والمواساة

عن أمالي المفيد عن أبي هريرة قال: جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فشكى إليه الجوع، فبعث رسول الله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماء، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من لهذا الرجل الليلة؟ فقال علي بن أبي طالب: أنا له يا رسول الله. وأتى علي فاطمة (عليها السلام) فقال لها: ما عندك يا بنت رسول الله؟ فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية تؤثر ضيفنا. فقال علي (عليه السلام): يا بنت محمد: نومي الصبية وأطفئ المصباح فلما أصبح عدا علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله عز وجل: (ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون). [٩٨]. وفي رواية: فقال علي: يا بنت محمد: نومي الصبية وأطفئ المصباح.

وجعلا يعضغان بألسنتهما فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله، فلما أصبح صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله) فلما سلم النبي من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين وبكى بكاء شديداً وقال يا أمير المؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة وقرأ: (ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [٩٩... الخ. عن محمد بن الصمة عن أبيه عن عمه): قال: رأيت في المدينة رجلاً علي ظهره قرية، وفي يده صحيفة يقول: اللهم ولي المؤمنين إله المؤمنين وجار المؤمنين، اقبل قرباني الليلة، فما أمسيت أملك سوى ما في صحفتي، وغير ما يواريني، فإنك تعلم أني منعته نفسي مع شدة سغبى أطلب القرية إليك غنماً، اللهم فلا تخلق وجهي ولا ترد دعوتي، فأتيته حتى عرفته فإذا هو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأتي رجلاً فأطعمه.

علي والكرم

(في البحار): جاء أعرابي إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين إنني مأخوذ بثلاث علل: علة النفس وعللة الفقر وعللة الجهل. فأجاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: يا أبا العرب: علة النفس تعرض على الطبيب وعللة الجهل تعرض على العالم وعللة الفقر تعرض على الكريم.

فقال الأعرابي أنت الكريم، وأنت العالم، وأنت الطيب، فأمر أمير المؤمنين بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم وقال: تنفق ألفاً بعله النفس، وألفاً بعله الجهل، وألفاً بعله الفقر.

وسأله أعرابي شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضة؟ فقال (عليه السلام) كلاهما عندي حجران، فأعط الأعرابي أنفعهما له. وقال له ابن الزبير: إني وجدت في حساب أبي: أن له على أبيك ثمانين ألف درهم، فقال له: إن أباك صادق، ففضى ذلك، ثم جاءه فقال: غلظت فيما قلت، إنما كان لوالدك على والدي ما ذكرته لك فقال: والدك في حل والذى قبضته منى هو لك!! قال الصادق (عليه السلام): إن أمير المؤمنين (عليه السلام) أعتق ألف نسمة من كد يده، جماعة لا يحصون كثرة.

وقال له رجل ورأى عنده وسق نوى: ما هذا يا أبا الحسن؟ قال: مائة ألف نخل إن شاء الله، فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة، فهو من أوقافه ووقف مالاً بخير وبوادى القرى، ووقف مال أبي نيرز والبغيعه وأرباحاً وأرينه ورغد ورزيناً ورياحاً على المؤمنين وأخرج مائة عن بينع وجعلها للحجيج، وهو باق إلى يومنا هذا وحفر آباراً في طريق مكة والكوفة، وهى مسجد الفتح فى المدينة، وعند مقابل قبر حمزة (عليه السلام)، وفى الميقات وفى الكوفة وجامع البصرة وفى عبادان وغير ذلك.

عن أحمد بن أبى المقدم العجلي قال: يروى أن رجلاً جاء إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) فقال له: يا أمير المؤمنين إن لى إليك حاجة، فقال: اكتبها فى الأرض فإنى أرى الضر فيك بيناً، فكتب فى الأرض أنا فقير محتاج، فقال على (عليه السلام): يا قنبر اكسه حلتين، فأنشأ الرجل يقول:

كسوتنى حلة تبلى محاسنها

فسوف أكسوك من حسن الثنا حللاً

إن نلت حسن ثنائى نلت مكرمة

ولست تبغى بما قد نلته بدلاً

إن الثناء ليحى ذكر صاحبه

كالغيث يحيى نداء السهل والجبل

لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به

فكل عبد سيجزى بالذى فعلاً

فقال (عليه السلام): أعطوه مائة دينار، فقيل له: يا أمير المؤمنين لقد أغنيته.

فقال: إنى سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: أنزل الناس منازلهم، ثم قال على (عليه السلام): إنى لأعجب من أقوام يشترون الممالىك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم.

عن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) [١٠٠] قال: نزلت فى على بن أبى طالب (عليه السلام).

عن أبوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قسم نبي الله الفىء فأصاب علياً أرض، فاحتفر فيها عيناً فخرج ماء ينبع فى السماء كهيئة عنق البعير، فسامها ينبع، فجاء البشير يبشر فقال (عليه السلام) بشر الوارث هى صدقه بتة بتلاء فى حجيج بيت الله وعابر سبيل لا تباع ولا تورث، فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

قال ابن أبى الحديد فى شرحه، وأما السخاء والجود: فحاله فيه ظاهرة كان يصوم ويطوى، ويؤثر بزاده، وفيه أنزل (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) [١٠١] وروى المفسرون: أنه لم يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فأنزل فيه: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية). [١٠٢].

وروى أنه كان يسقى بيده النخل لقوم من يهود المدينة حتى مجلت يداه، ويتصدق بالأجرة، ويشد على بطنه حجراً. قال الشعبي وقد ذكره (عليه السلام): كان أسخى الناس، كان على الخلق الذى يحبه الله: السخاء والجود، ما قال: لا، لسائل قط. وقال عدوه ومبغضه الذى يجتهد فى وصمه وعيبه: معاوية بن أبى سفيان لمحفن بن أبى محفن الضبى (لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس): قال ويحك! كيف تقول: إنه أبخل الناس وهو الذى لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه؟!؟

على والعدل

العدل: ما أحلى هذا الاسم عند النفوس المظلومة، وما أحبه إلى المضطهدين وما أبغضه عند الظالمين الذين يزاحم العدل منافعهم، وأرباحهم.

هذه الكلمة التى تتلطف إليها النفوس وعليها أساس الملك وبها نظام الاجتماع واعتداله، وإننى أعتقد أن أصعب قانون يمكن تطبيقه وتنفيذه فى المجتمع هو قانون العدالة!! لاصطدام هذا القانون بنزعات الأقوياء الذين لو كانت العدالة موجودة لما كانوا أقوياء، وهؤلاء فى طليعة المكافحين لهذه الفضيلة، والتاريخ والحس والوجدان شواهد على هذا، ولا أرانى بحاجة إلى دليل. ومن لوازم تطبيق العدالة وتنفيذها قوة الإيمان بالله تعالى والتقوى أولاً وحزم وعزم فوق كل عاطفة واتجاه ومصانعة ثانياً وعدم الخوف من المشاكل المتوقعة، المحتمل وقوعها ثالثاً.

وقد توفرت هذه المؤهلات كلها فى نفسه على (عليه السلام) فهو الإيمان كله والتقوى المتجسدة، وهو أقوى رجل يستطيع السيطرة على أعصابه وعواطفه وهو الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم، وهو الحق المحض الذى لا يشوبه شىء، ونستطيع أن نقول: إن تطبع نفسه الإمام (عليه السلام) على العدالة والتزامه بها بالغاً ما بلغ هو السبب الوحيد الذى فرق عنه ذوى الأطماع والأغراض، وأخاف ذوى المناصب والكنوز التى كانت عصارة دماء المسلمين، وهدد الفسقة الفجرة الذين استوجبوا إقامة الحدود الإلهية وقطع آمال المستغلين وآمانى حواشى السلاطين، وغير ذلك من الأمور التى تدرك ولا توصف، فاجتمعت هذه العوامل، وأججت نيران الحروب الداخلية ضد الإمام (عليه السلام).

إذ لولا- عدالة على (عليه السلام) لما ذهب أخوه عقيل إلى معاوية ولولا عدل أبى الحسن (عليه السلام) لما انضم طلحة والزبير إلى عائشة للمساهمة فى تكوين حرب الجمل.

لو كان على (عليه السلام) ظالماً لأمهل معاوية يتصرف فى مقدرات المسلمين وما كانت حرب صفين.

وهكذا وهلم جراً، فإن كانت العدالة نعصت على على (عليه السلام) عيشته وسلبته الراحة والاطمئنان، وجرت عليه النوائب فإن التاريخ الصحيح عرف لعلى (عليه السلام) هذه الفضيلة وشكره عليها، وإن كان بعض الشواذ يعتبرون العدالة منافية للسياسة، ويرون الأرجح تقديم السياسة على الدين عند التعارض، فإن على (عليه السلام) يضرب بالسياسة التى تزاحم دين على (عليه السلام) عرض الجدار ويتبرأ منها.

وهو التلميذ الأول للرسول (صلى الله عليه وآله) والمعلم الثانى للأمم عبر التاريخ، ولو كان على (عليه السلام) يمشى وراء السياسة لعرفه التاريخ رجلاً سياسياً فحسب، وما كانت الملوك والعظماء يطأطئون هاماتهم أمام عظمتهم وينظرون إليه بكل تقدير وتقديس.

نذكر نماذج من تلك العدالة، ولا يسعنا الإسهاب فى الكلام لضيق المجال، ولعلنا نستطيع التحدث عن هذه الفضيلة بصورة أوسع فى مناسبة أخرى إن شاء الله.

دخل عمرو بن العاص على أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلته وهو فى بيت المال وكان الإمام ينظر فى أموال المسلمين وحسابهم ودواوين العطاء وعنده سراج يضىء بنوره الضئيل، وقد اشترى زيت السراج من بيت المال، لأن السراج عائد لمصالح بيت مال المسلمين.

فلما دخل ابن العاص وأراد أن يتحدث مع الإمام في بعض الشؤون أطفأ الإمام السراج وجلس في ضوء القمر ولم يستحل أن يجلس في الضوء بغير استحقاق!! وبني (عليه السلام) موضعاً تحبس فيه الإبل والغنم الضالة يقال له: (المربد) فكان يعلفها علفاً لا يسمنها ولا يهزلها من بيت المال.

فلمن أقام عليها بينه أخذها، وإلا أقرها على حالها.

وتظهر الحكمة في تحديد كمية علف الحيوانات، وهي رعاية الحيوان والمحافظة عليه ورعاية بيت المال والاهتمام به.

في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: بعث أمير المؤمنين (عليه السلام) مصدقاً من الكوفة (المصدق): عامل الزكاة التي يستوفيتها) إلى باديتها وقال: يا عبدالله: انطلق، وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ولا تؤثرن دنياك على آخرتك، وكن حافظاً لما ائتمنك عليه، مراعيّاً لحق الله فيه حتى تأتي نادي بني فلان، فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض إليهم بسكينته ووقار حتى تقدم بينهم وتسلم عليهم ثم قل لهم: يا عباد الله أرسلني إليكم ولي الله لآخذ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل لك: لا.

فلا تراجع، وإن أنعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيراً، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلا بإذنه، فإن أكثره له، فقل: يا عبدالله أتأذن لي في دخول مالك؟ فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه، ولا عنف به، فاصدع المال صدعين ثم خيره أي الصدعين شاء، فأيهما اختار فلا تعرض له، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له، ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله تبارك وتعالى في ماله، فإذا قبض يقرأ ذلك فاقبض حق الله منه وإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما واصنع مثل الذي صنعت أولاً، حتى تأخذ حق الله في ماله، فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً أميناً حفيظاً غير معنف بشيء منها، ثم احذر كلما اجتمع عندك من كل ناد إلينا فصيروه حيث أمر الله عز وجل، فإذا انحدر فيها رسولك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يفرق بينهما، ولا يمصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها ولا يجهد بها ركوباً، وليعدل بينهما في ذلك وليوردن كل ماء يمر به، ولا يعدل بهن عن ليت الأرض إلى جواد الطريق في الساعة التي فيها تريح وتغبق، وليفرق بهن جهده حتى يأتينا بإذن الله سحاحاً سماناً غير متعبات ولا مجهدات، فنقسمهن بإذن الله على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) على أولياء الله فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك، ينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما ينظر الله إلى ولي له يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة له وإمامه إلا كان معنا في الرفيق الأعلى.

قال: ثم بكى أبو عبدالله (عليه السلام) ثم قال: لا والله ما بقيت لله حرمة إلا انتهكت، ولا عمل بكتاب الله وسنة نبيه في هذا العالم، ولا أقيم في هذا الخلق حد منذ قبض الله أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا عمل بشيء من الحق إلى يوم الناس هذا، ثم قال: أما والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيى الله الموتى ويميت الأحياء ويرد الله الحق إلى أهله ويقوم دينه الذي ارتضاه لنفسه ونبيه (صلى الله عليه وآله)، فابشروا ثم ابشروا فوالله ما الحق إلا في أيديكم.

في البحار: روى أن سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد موت علي (عليه السلام)، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين، وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتك؟ قالت: إن الله مسائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا، ولا يزال يتقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك، ويبطش بقوة سلطاتك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطأة قدم علينا فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزة ومنعة، فإن عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك، فقال معاوية: إياي تهددين بقومك يا سودة؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه، فأطرت سودة ساعة ثم قالت:

صلى الإله على روح تضمنها

قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغى به بدلا

فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟ قالت: هو والله أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) والله لقد جتته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا، فجار علينا، فصادفته قائماً يصلي، فلما رأني انفتل من صلاته ثم أقبل على برحمته ورفق ورأفته وتعطف، وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد على وعليهم، وأنى لم آمرهم بظلم خلقك، ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم.

قد جاء تكم بينه من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام). ثم دفع الرقعة إلى، فوالله ما ختمها بطين ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً، فقال معاوية: اكتبوا لها كما تريد، واصرفوها إلى بلدها غير شاكئة.

على والعبادة

في الأمالي عن عروة بن الزبير قال: كنا جلوساً في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم ألا- أخبركم بأقل القوم مالاً- وأكثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: من؟ قال: أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه وجهه، ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له: يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها، فقال أبو الدرداء: يا قوم إنني قائل ما رأيت، وليقل كل قوم منكم ما رأوا، شهدت على بن أبي طالب (عليه السلام) بشويحطات (أشجار) النجار، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعُد على مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول: (إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا- أنا براج غير رضوانك) فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو على بن أبي طالب (عليه السلام) بعينه فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما به الله نجاه أن قال: (إلهي أفكر في عفوك فتهدون على خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم على بليتي) ثم قال: (آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه.

فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملاء إذا أذن فيه بالنداء) ثم قال: (آه من نار تنضج الأكباد والكلبي، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظي).

قال: ثم انغم في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة فقلت غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، قال أبو الدرداء: فأتيته فإذا هو كالخشب الملقاة، فحركته فلم يتحرك، وزويته فلم ينزرو) فقلت: (إن الله وإنا إليه راجعون) مات والله على بن أبي طالب. قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة (عليها السلام): يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرها الخبر، فقالت هي والله يا أبا الدرداء الغشبية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر إلى وأنا أبكي، فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟ فقلت: ما أراه تنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدرداء فكيف ولو رأيتني ودعى بي إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشنتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقف بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحياء ورحمني أهل الدنيا، لكنك أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية، فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال ابن أبي الحديد: وأما العبادة: فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاةً وصوماً، وملازمةً للأوراد، وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من

محافظة على ورده: أن يبسط له نطح بين الصفين ليلة الهرير فيصلى عليه ورده، والسهام تقع بين يديه، وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته؟؟ وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده؟ وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته، والاستخاء له عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص، وفهمت من أى قلب خرجت، وعلى أى لسان جرت؟؟!! وقيل لعلى بن الحسين (عليه السلام) وكان الغاية فى العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتى عند عبادة جدى كعبادة جدى عند عبادة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

على وطلاقة الوجه مع المهابة

قال ابن أبى الحديد فى مقدمته على شرح النهج: وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو مضروب به المثل فيه، حتى عابه بذلك أعداؤه، قال عمرو بن العاص لأهل الشام: إنه ذو دعابة شديدة، وقال على (عليه السلام) فى ذلك: عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن فى دعابة وإنى امرؤ تلعبه، أعافس وأمارس. وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر لقوله لما عزم على استخلافه: لله أبوك! لولا دعابة فيك. إلا أن عمر اقتصر عليها وعمرو زاد فيها ونسجها.

قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد. وكنا نهاه مهابة الأسير المربوط للسياق الواقف على رأسه.

وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أباحسن فلقد كان هشاً بشاً، ذا فكاهاة، قال قيس: نعم كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمزح ويتبسم إلى أصحابه، وأراك حسواً فى ارتغاء وتعيبه، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهاة والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قد مسه الطوى، تلك هيبه التقوى ليس كما يهابك أهل الشام!!

على والخصائص

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يجب ويرضى والصلاة على محمد المصطفى وأخيه المرتضى وآله الأصفياء.

قال الله تبارك وتعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) [١٠٣] كلامنا الليلة حول شىء يسير من خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) وفضائله المختصة به، ولا شك أن فى الناس من تشمله العناية الإلهية ويساعده التوفيق أو الحظ فتتوفر فيه النعم والمواهب والفضائل فيمتاز عن غيره وتتكون له شخصية بارزة فى النفوس يذكر ويشكر عليها.

وفى الوقت نفسه نجد أفراداً حرموا من تلك المواهب لعدم استعدادهم أو عدم توفر الظروف المساعدة لهم، فلا- تكون لهم فى المجتمع أى وزن وقيمة وكرامة، وهذه الطبقة المسكينه تتكون عندهم عقدة الحقرة النفسية فيحسبون أنفسهم منبوذين لفقدانها المزايا والفضائل، ويشد شعورهم بالحقرة النفسية فتهمون عليهم أنفسهم، وإرضاء لغرائزهم المتكونه من تلك العقدة، يحاولون سلب الخصائص الموجودة عن المنعمين بها، أو انتقاصهم والمس بكرامتهم والتشجيع عليهم إجابة للحسد الذى يحز فى صدورهم ولا شك أن عدد الفاقدين للفضائل أكثر من الواجدين لها، وعلى هذا نرى أصحاب النعم والمواهب محسودين وكلما ازدادوا فضيلةً ازداد عدد حسادهم!! ولا- يقف أمام الحسد شىء إلا- الإيمان بالله والرضى بالتقدير أو السعى والاهتمام فى تحصيل تلك المزايا والفضائل

الموجودة في المحسود فتحصل المشاركة معه ويزول الاختصاص عنه.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) هم المحسودون في كل زمان ومكان للسبب المتقدم ذكره، وقد وردت أحاديث في تفسير الآية التي افتتحنا بها الكلام أن المقصود من (الناس) في قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) [١٠٤] هم عتره رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ونذكر في هذه الليلة بعض خصائص الإمام (عليه السلام) وقد مر عليكم فيما سبق شيء من ذلك، ويمكن لنا أن نقول: أن فضائل الإمام (عليه السلام) كلها خصائص منحصرة به لا يشاركه فيها أحد من الناس.

ومن جملة ذلك: حديث رد الشمس لعلی (عليه السلام).

أما الشيعة فلا يشكون في قدرة الله تعالى، ويعتقدون أن الله تعالى هو خالق الشمس، وخالق الشمس قادر على ردها بعد الغروب، وليس ذلك محالاً عقلاً ولا قدرة وليس من قبيل اجتماع الضدين أو النقيضين، وكذلك لا يشكون في استجابة دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) ومسألته من الله تعالى أن يرد الشمس لعلی (عليه السلام) ليصلي صلاة العصر.

والشيعة يعتقدون أن علياً (عليه السلام) مستجاب الدعوة بالإضافة إلى منزلته الرفيعة ودرجاته العالية عند الله تعالى، وبناء على هذا يعتقدون صحة هذا الخبر.

أما لفظ الحديث فعن أسماء بنت عميس: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلى الظهر بالصهباء من أرض خيبر، ثم أرسل علياً في حاجة، فجاء وقد صلى رسول الله العصر، فوضع رأسه في حجر علي ولم يحركه حتى غربت الشمس فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيه فرد عليها شرقها.

قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى رفعت على الجبال فقام فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس.

أما المحدثون من الشيعة فكلهم متفقون على هذه الفضيلة وذكروها في كتبهم وموسوعاتهم، ولقد ذكروا أن هذه الفضيلة وقعت مرتين: مرة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومرة أخرى أيام خلافة الإمام (عليه السلام) ومروره على أرض بابل بالقرب من مدينة الحلة، كما روى ذلك نصر بن مزاحم بإسناده عن عمر قال: حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه عن عبد خير قال: كنت مع علي أسير في أرض بابل وحضرت الصلاة صلاة العصر، قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أفتح من الآخر حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب فنزل علي ونزلت معه، فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر، فصلينا العصر ثم غابت الشمس... الخ.

وفي علل الشرائع: عن جويرية بن مسهر قال: قطعنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) جسر الصلاة في وقت العصر، فقال: إن هذه أرض معذبة، لا ينبغي لنبي ولا وصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فيها فليصل.

فتفرق الناس يمنة ويسرة يصلون، فقلت أنا: والله لأقلدن هذا الرجل صلاتي اليوم، ولا أصلي حتى يصلي.

فسرنا وجعلت الشمس تسفل وجعل يدخلني من ذلك أمر عظيم حتى وجبت (غابت) الشمس، وقطعنا الأرض، فقال: يا جويرية أذن.

فقلت: تقول أذن وقد غابت الشمس، فقال: يا جويرية أذن.

فأذنت ثم قال لي: أقم.

فأقمت فلما قلت: (قد قامت الصلاة) رأيت شفتيه يتحركان، وسمعت كلاماً كأنه كلام العبرانية، فارتفعت الشمس حتى صارت في مثل وقتها في العصر فصلي، فلما انصرف هوت إلى مكانها واشتبكت النجوم، فقلت: أنا أشهد أنك وصي رسول الله.

فقال يا جويرية أما سمعت الله عز وجل يقول: (فسبح باسم ربك العظيم). [١٠٥].

فقلت: بلى.

قال: فإنني سألت الله باسمه العظيم فردها علي.

وهنا حديث يجمع بين المرتين اللتين ردت الشمس لعلی (عليه السلام) فيها.

فی البحار ج ٩ عن إرشاد المفيد: (مما أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) ما استفاضت به الأخبار ورواه علماء السير والآثار ونظمت فيه الشعراء الأشعار، رجوع الشمس له (عليه السلام) مرتين: في حياة النبي (صلّى الله عليه وآله) مرة وبعد وفاته (صلّى الله عليه وآله) أخرى، وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولى ما روته أسماء بنت عميس وأم سلمة زوجة النبي (صلّى الله عليه وآله) وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبوسعيد الخدري في جماعة من الصحابة أن النبي (صلّى الله عليه وآله) كان ذات يوم في منزله وعلى (عليه السلام) بين يديه إذ جاءه جبرائيل (عليه السلام) يناجيه عن الله سبحانه، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يرفع رأسه عنه حتى غربت العصر، فصلى أمير المؤمنين (عليه السلام) جالساً يومئ بركوعه وسجوده إيماء، فلما أفاق من غشيته (صلّى الله عليه وآله) قال لأمر المؤمنين (عليه السلام): أفاتتك صلاة العصر؟ قال: لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي، فقال له ادع الله حتى يرد عليك الشمس لتصليها قائماً في وقتها كما فاتتك فإن الله تعالى يجيبك بطاعتك لله ورسوله، فسأل أمير المؤمنين (عليه السلام) الله في رد الشمس، فردت حتى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر، فصلى أمير المؤمنين (عليه السلام) صلاة العصر في وقتها ثم غربت. وكان رجوعها بعد النبي (صلّى الله عليه وآله) أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم، فصلى (عليه السلام) بنفسه في طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس وفاتت الصلاة كثيراً منهم، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلموا في ذلك، فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه ليجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها، فأجابه الله تعالى في ردها عليه وكانت في الأفق على الحال التي تكون عليه وقت العصر، فلما سلم القوم غابت الشمس فأكثروا من التسييح والتهليل والاستغفار والحمد لله على النعمة التي ظهرت فيهم، وسار خبر ذلك في الآفاق وانتشر ذكره في الناس.

رواة حديث رد الشمس لعلی (عليه السلام) من علماء العامة هم:

١ أبو بكر الوراق، له كتاب: (من روى رد الشمس).

٢ أبو الحسن شاذان الفضيلي، له رسالة.

٣ الحافظ أبو الفتح محمد بن حسين الأزدي الموصلي، له كتاب مفرد فيه.

٤ أبو القاسم الحاكم ابن الحداد الحسكاني النيسابوري الحنفي له رسالة (مسألة في تصحيح رد الشمس).

٥ أبو عبد الله الجعل الحسين بن على البصري ثم البغدادي له كتاب: (جواز رد الشمس).

٦ أخطب خوارزم أبو المؤيد موفق بن أحمد له كتاب: (رد الشمس لأمر المؤمنين).

٧ أبو على الشريف محمد بن أسعد بن المعمر الحسنی النقيب النسابة له جزء في جمع (طرق حديث رد الشمس) لعلی (عليه السلام).

٨ أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي له جزء (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس).

٩ الحافظ جلال الدين السيوطي له رسالة في الحديث أسماها (كشف اللبس عن حديث رد الشمس).

١٠ الحافظ أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي رواه في سننه.

١١ الحافظ أبو جعفر أحمد بن صالح المصري.

١٢ محمد بن الحسين الأزدي ذكره في كتابه في (مناقب على).

١٣ الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي أخرجه في كتابه الذرية الطاهرة.

١٤ الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي في (مشكل الآثار).

١٥ الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي.

١٦ الحافظ أبو القاسم الطبراني رواه في (معجمه الكبير).

١٧ الحاكم أبو حفص عمر بن أحمد الشهير بابن شاهين ذكره في (مسنده الكبير).

١٨ الحاكم أبو عبد الله النيسابوري رواه في تاريخ (نيسابور).

١٩ الحافظ ابن مردويه الأصبهاني أخرجه في (المناقب).

٢٠ أبو إسحاق الثعلبي رواه في (تفسيره).

٢١ الفقيه أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي الشافعي عده من أعلام النبوة في كتابه (أعلام النبوة).

٢٢ الحافظ أبو بكر البيهقي رواه في (الدلائل).

٢٣ الحافظ الخطيب البغدادي ذكره في (تلخيص المتشابه).

٢٤ الحافظ أبو بكر الأصبهاني الشهير بابن مندة أخرجه في كتابه (المعرفة).

٢٥ الحافظ القاضي عياض أبو الفضل المالكي الأندلسي رواه في كتابه (الشفاء).

٢٦ أخطب الخطباء الخوارزمي رواه في (المناقب).

٢٧ الحافظ أبو الفتح النطنزي رواه في (الخصائص العلوية).

٢٨ أبو المظفر يوسف قرأ على الحنفي رواه في (التذكرة).

٢٩ الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، جعل في كتابه (كفاية الطالب) فصلاً في حديث رد الشمس لعلي (عليه السلام).

٣٠ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي ذكره في كتابه (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة).

٣١ شيخ الإسلام الحمويني رواه في (فرائد السمطين).

٣٢ الحافظ ولي الدين أبو زرعة العراقي أخرجه في (طرح التثريب).

٣٣ الإمام أبو الربيع سليمان السبتي الشهير بابن سبع ذكره في كتابه (شفاء الصدور).

٣٤ الحافظ ابن حجر العسقلاني ذكره في (فتح الباري).

٣٥ الإمام العيني الحنفي ذكره في (عمدة القاري).

٣٦ الحافظ السيوطي رواه في (جمع الجوامع).

٣٧ نور الدين السمهودي الشافعي ذكره في (وفاء الوفاء).

٣٨ الحافظ أبو العباس القسطلاني ذكره في (المواهب اللدنية).

٣٩ الحافظ ابن ربيع رواه في (تمييز الطيب من الخبيث).

٤٠ السيد عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي ذكره في (معاهد التنصيص).

٤١ الحافظ شهاب الدين ابن حجر الهيتمي عده في (الصواعق).

٤٢ الملا علي القاري ذكره في (المرقاة).

٤٣ نور الدين الحلبي الشافعي رواه في (السيرة النبوية).

٤٤ شهاب الدين الخفاجي الحنفي ذكره في (شرح الشفاء).

٤٥ أبو العرفان الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن شهاب الدين الكردي الكوراني ذكره في كتابه (الأمم لا يقاظ الهمم).

٤٦ أبو عبد الله الزرقاني المالكي صححه في (شرح المواهب).

٤٧ شمس الدين الحنفي الشافعي ذكره في تعليقه على (الجامع الصغير) للسيوطي.

٤٨ ميرزا محمد البدخشي ذكره في (نزل الأبرار).

٤٩ الشيخ محمد الصبان عده في (إسعاف الراغبين).

٥٠ الشيخ محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين الدمشقي إمام الحنفية في عصره ذكره في (حاشيته).

٥١ السيد أحمد زيني دحلان الشافعي ذكره في (السيرة النبوية) هامش (السيرة الحلبية).

٥٢ السيد محمد مؤمن الشبلنجي عده في (نور الأبصار).

اقتطفنا هذه المصادر من كتاب (الغدیر ج ٣) لشيخنا الأمين رحمة الله.

هذا وللشعراء دور هام في الإشادة بهذه الفضيلة أعرضنا عن سرد قصائدهم رعاية للاختصار.

خبر الطائر المشوى

في احتجاج الطبرسي: عن الإمام الصادق عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال: كنت أنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في المسجد بعد أن صلى الفجر، ثم نهض ونهضت معه، وكان إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلمني بذلك فكان إذا أبطأ في الموضع صرت إليه لأعرف خبره، لأنه لا يتقار (لا يسكن) قلبي على فراقه ساعة واحدة، فقال لي: إنه متجه إلى بيت عائشة.

فمضى ومضيت إلى بيت فاطمة (عليها السلام) فلم أزل مع الحسن والحسين، وهي وأنا مسروران بهما، ثم إنني نهضت وصرت إلى باب عائشة فطرت الباب فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي، فقالت: إن النبي راقد، فانصرفت، ثم قلت: النبي راقد وعائشة في الدار؟! فرجعت وطرت الباب فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت أنا علي.

فقالت: إن النبي على حاجة، فأنثيت (انصرفت) مستحياً من دقي الباب، ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً، فرجعت مسرعاً فدققت الباب دقاً عنيماً فقالت لي عائشة: من هذا؟ قلت: أنا علي، فسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لها: يا عائشة افتحي له الباب، ففتحت فدخلت فقال لي: اقعد يا أبا الحسن، أحدثك بما أنا فيه أو تحدثني بإبطائك عني، فقلت: يا رسول الله حدثني، فإن حديثك أحسن.

فقال: يا أبا الحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع، فلما دخلت بيت عائشة وأطلت القعود ليس عندها شيء تأتي به مددت يدي وسألت الله القريب المجيب، فهبط علي حبيبي جبرائيل ومعه هذا الطير ووضع إصبعه على طائر بين يديه فقال جبرائيل: إن الله عزوجل أوحى إلى أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنة فأتيك به يا محمد.

فحمدت الله كثيراً، وعرج جبرائيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت: اللهم يسر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي من هذا الطائر، فمكثت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب، فرفعت يدي، ثم قلت: اللهم يسر عبداً يحبك ويحبني وتحبه وأحبه يأكل معي من الطائر، فسمعت طرقك للباب، وارتفاع صوتك فقلت لعائشة: أدخلني علياً، فدخلت، فلم أزل حامداً لله حتى بلغت إلى إذ كنت تحب الله وتحبني، ويحبك الله وأحبك فكل يا علي.

فلما أكلت أنا والنبي الطائر قال لي: يا علي حدثني، فقلت: يا رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً، ثم نهضت أريدك، فجئت فطرت الباب، فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علي.

فقالت: إن النبي راقد.

فانصرفت، فلما أن صرت إلى الطريق الذي سلكته رجعت فقلت: إن النبي راقد وعائشة في الدار؟ لا يكون هذا!! فجئت فطرت الباب فقالت لي: من هذا؟ فقلت: أنا علي.

فقالت: النبي على حاجة فانصرفت مستحياً.

فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرة وجدت في قلبي ما لا أستطيع عليه صبراً، وقلت: النبي على حاجة وعائشة في الدار؟

فرجعت فدققت الباب الذي سمعته يا رسول الله، فسمعتك يا رسول الله تقول لها: أدخلني علياً.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أباي الله إلا أن يكون الأمر هكذا، يا حميراء ما حملك على هذا؟ فقالت: يا رسول الله اشتهيت أن يكون أباي يأكل من هذا الطير...

الخ.

في مناقب ابن شهر آشوب: روى حديث الطير جماعة منهم: الترمذي في جامعه، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والبلاذري في تاريخه، والخركوشي في شرف المصطفى، والسمعاني في فضائل الصحابة، والطبري في الولاية، وابن البيع في الصحيح، وأبو يعلى في المسند، وأحمد في الفضائل والنظري في الاختصاص.

وقد رواه محمد بن يحيى الأزدي، وسعيد المازني وابن شاهين والسددي، وأبو بكر البيهقي، ومالك وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وعبد الملك بن عمير، ومسعر بن كدام، وداوود بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو حاتم الرازي بأسانيدهم عن أنس وابن عباس وأم أيمن.

ورواه ابن بطه في الإبانة من طريقين، والخطيب وأبو بكر في تاريخ بغداد من سبعة طرق.

وقد صنف أحمد بن محمد بن سعيد كتاب الطير، وقال القاضي أحمد: قد صح عندي حديث الطير.

وقال أبو عبد الله البصري، إن طريقه أبي عبد الله الجبائي في صحيح الأخبار تقتضي القول بصحة هذا الخبر لإيراده يوم الشورى فلم ينكر.

قال الشيخ: قد استدلل به أمير المؤمنين (عليه السلام) على فضله في قصة الشورى بمحضر من أهلها، فما كان فيهم إلا من عرفه وأقر به، والعلم بذلك كالعلم بالشورى نفسها، فصار متواتراً، وليس في الأمة على اختلافها من دفع هذا الخبر.

وحدثني أبو العزیز كادش العكبري عن أبي طالب الحربى العشارى عن ابن شاهين الواقظ في كتابه: (ما قرب سنده) قال: حدثني نصر بن أبي القاسم الفرائضى، قال: قال محمد بن عيسى الجوهرى قال: قال نعيم بن سالم بن قنبر، قال: قال أنس بن مالك...

الخبر.

وقد أخرجه على بن إبراهيم في كتابه قرب الإسناد، وقد رواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس، وعشرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد صح أن الله تعالى والنبي يجابه، وما صح ذلك لغيره، فيجب الاقتداء به.

ومن نسب خبر الطائر إليه قصر الإمامة عليه.

حديث الطائر بصورة أخرى

مجمع الحديث: إن أنس بن مالك تعصب بعصابه، فسئل عنها فقال: هذه دعوة على، قيل: وكيف ذلك؟ قال: أهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) طائر مشوى فقال: اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك، يأكل معى هذا الطير، فجاء على فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي.

فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثانياً، فجاء على فقلت: رسول الله عنك مشغول، فرفع على صوته وقال: وما يشغل رسول الله عنى؟ وسمعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أنس من هذا؟ قلت: على بن أبي طالب.

قال: ائذن له، فلما دخل قال له: يا على إنى قد دعوت الله ثلاث مرات أن يأتينى بأحب خلقه إليه وإلى يأكل معى هذا الطير، ولو لم تجئنى فى الثالثة لدعوت الله باسمك أن يأتينى بك.

فقال: يا رسول الله إنى قد جئت ثلاث مرات، كل ذلك يردنى أنس ويقول: رسول الله عنك مشغول، فقال لى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما حملك على هذا؟ قلت: أحببت أن يكون رجلاً من قومي، وفى رواية: قال: رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار، فقال لى: أو

في الأنصار خير من علي؟ أو في الأنصار أفضل من علي؟؟ قال أنس: فلما كان يوم الدار استشهدني على فكتمته، فقلت إني نسيت، فرفع علي يده إلى السماء فقال: اللهم ارم أنساً بوضح لا يستره من الناس.

وفي رواية: لا تواريه العمامة.

ثم كشف العمامة عن رأسه فقال: هذه دعوة علي!!.

حديث المنزلة

كانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخرج معه المسلمون الوضيع منهم والشريف، ولم يبق في المدينة إلا النساء والصبيان وعدد من المتخلفين، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) أن يبقى علي في المدينة يحرس المدينة ومن فيها من عوائل المسلمين، وإليكم التفصيل كما رواه المفيد في الإرشاد قال: لما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخروج استخلف أمير المؤمنين (عليه السلام) في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وذلك أنه (صلى الله عليه وآله) علم من خبث نيات الأعراب وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم، وأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه (ابتعاده) عنها، وحصوله ببلاد الروم أو نحوها فمتى لم يكن في المدينة من يقوم مقامه لم يؤمن معرفتهم، وإيقاع الفساد في دار هجرته والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلفيه، وعلم (صلى الله عليه وآله) أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها إلا أمير المؤمنين (عليه السلام) فاستخلفه استخلاقاً ظاهراً، ونص عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً وذلك فيما تظاهرت به الرواية: أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً على المدينة لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنها تتحرس به وتتحصن، ولا يكون فيها للعدو مطمع، فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأى رسول الله عن المدينة وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها وغبطوه على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر، فأرجفوا (خاضوا في الأخبار السيئة قصد أن يهيج الناس) به، وقالوا: لم يستخلفه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إكراماً له وإجلالاً ومودة، وإنما خلفه استثقلاً له، فبهتوا بهذا الإرجاف، كبهت قريش للنبي (صلى الله عليه وآله) بالجنة (الجنون) تارة وبالشعر أخرى وبالسحر مرة وبالكهانة أخرى، وهم يعلمون ضد ذلك ونقيضه، كما علم المنافقون ضد ما أرجفوا به على أمير المؤمنين (عليه السلام) وخلافه، وأن النبي كان أخص الناس بأمر المؤمنين (عليه السلام) وكان هو أحب الناس إليه وأسعدهم عنده وأفضلهم لديه، فلما بلغ أمير المؤمنين (عليه السلام) إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقلاً ومقتاً.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): ارجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

فتضمن هذا القول من رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصه عليه بالإمامة وإبانته من الكافة بالخلافه، ودل به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه، وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصه العرف من الأخوة (في النسب) واستثناه هو من النبوة.

ألا ترى أنه (صلى الله عليه وآله) جعل له كافة منازل هارون من موسى إلا المستثنى منه لفظاً وعقلاً.

وقد علم كل من تأمل معاني القرآن وتصفح الروايات والأخبار: أن هارون كان أخا موسى (عليه السلام) لأبيه وأمه، وشريكه في أمره، ووزيره على نبوته وتبليغه رسالات ربه، وأن الله شد به أزره، وأنه كان خليفته على قومه، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته.

وأنه كان أحب قومه إليه، وأفضلهم لديه، قال الله عز وجل حاكياً عن موسى (عليه السلام): (رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري) [١٠٦] فأجاب الله

تعالى مسألته، وأعطاه أمنيته، حيث يقول: (قد أوتيت سؤالك يا موسى). [١٠٧].

وقال تعالى حاكياً عن موسى: (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين). [١٠٨]. فلما جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) منه بمنزلة هارون من موسى أوجب له بذلك جميع ما عددناه إلا ما خصه العرف من الأخوة في النسب واستثناءه من النبوة لفظاً، وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين ولا ساواه في معناها، ولا قاربه فيها على حال...

الخ.

لا- زال ولا- يزال بعض المتجاهلين من المسلمين يزعمون أن هذا الحديث غير ثابت في الصحاح ولا معترف به عند الحفاظ وأئمة الحديث.

أو يدعون اختصاص الحديث بيوم تبوك، فيسلبون منه الدلالة على الخلافة والإمامة العامة المطلقة، ونحن نجيب عن الموضوع الأول: بأن هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة المتواترة عند المسلمين لا يشك فيه ذو دراية بالأحاديث، وإمام الروايات، ومعرفة وبصيرة بالأخبار، ولا مجال للمناقشة عند ذى الأبواب حول صحة هذا الحديث.

وأما الرواة لهذا الحديث فكثيرون جداً يصعب استيعاب أسمائهم، ونذكر جملة من مشاهير علماء السنة وحفاظهم ورواتهم:

١ الذهبي في تلخيص المستدرک.

٢ ابن حجر الهيتمي في الصواعق.

٣ صاحب الجمع بين الصحاح الستة.

٤ صاحب الجمع بين الصحيحين.

٥ البخارى في صحيحه.

٦ مسلم في صحيحه.

٧ ابن ماجه في سننه.

٨ أحمد بن حنبل في مسنده.

٩ البزاز في مسنده.

١٠ الترمذى في صحيحه.

١١ ابن عبد البر في الاستيعاب.

وغيرهم ممن كتب أو ألف كتاباً في فضائل على (عليه السلام).

وأما محدثو الشيعة وحفاظهم فلا يشكون في صحة هذا الحديث وشهرته، وهذه كتبهم مشحونة بذكر هذا الحديث بجميع الطرق والأسانيد والمصادر والمدارك.

أما الجواب عن الموضوع الثانى فنقول: إن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد كرر كلمته الذهبية (حديث المنزلة) في مواقف عديدة ومواطن كثيرة، ذكرها أعلام المسلمين متفقين على صحتها، وثبوتها واستقامه دلالتها تلك الموارد كما في بشاره المصطفى عن ابن عباس، قال: رأيت حسان بن ثابت واقفاً بمنى، والنبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه مجتمعين، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): هذا على بن أبى طالب سيد العرب والوصى الأكبر، منزلته منى منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى لا تقبل التوبة من تائب إلا بحبه.

يا حسان قل فيه شيئاً، فأنشأ حسان بن ثابت يقول:

لا تقبل التوبة من تائب

إلا بحب ابن أبي طالب
أخى رسول الله بل صهره
والصهر لا يعدل بالصاحب
ومن يكن مثل على وقد
ردت له الشمس من المغرب
رُدت عليه الشمس في ضوئها
بيضاً كأن الشمس لم تغرب

ومن تلك الموارد: حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أم سليم (أم أنس بن مالك) وكان النبي يزورها ويحدثها في بيتها: يا أم سليم إن علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى... الخ.

روى ذلك في كنز العمال ومسنند أحمد.

ومنها: يوم كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح عند النبي (صلى الله عليه وآله) وهو متكئ على على (عليه السلام) فضرب بيده على منكبيه ثم قال: يا على أنت أول المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى... الخ.

ومنها: يوم الدار وقد سبق في أول ترجمه حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومنها: يوم المؤاخاة الثانية وقد مضى ذكره، وكذلك يوم سد الأبواب وقد مر كل ذلك فيما سبق.

ولولا خوف الملل لذكرنا المصادر لهذه الأحاديث ويمكن لكم مراجعة كتاب (المراجعات) و(الغدِير) وغيرهما من الكتب التي كتبت حول هذا الموضوع.

المواخاة بين النبي وعلى

كل شيئين إذا جمعتهما جامع يطلق على أحدهما: أنه أخو الآخر مثلاً: العربي تجمع العروبة بينه وبين العرب، فيقال للعربي: يا أخا العرب.

والفارسي يشارك الفرس في العنصر فيقال له: يا أخا الفرس.

واليهودية تجمع بين اليهود فيقال لليهودي: يا أخا اليهود، وأفراد القبيلة يجمعهم كونهم من تلك القبيلة فيقال لهم: يا أخا كنده أو يا أخا تميم وهكذا بقية الأديان أو القبائل أو الأشياء التي تجمع بين الأفراد كالمماثلة والمشابهة...

والأخوان الشقيقان أو الأخوان من قبل الأب وحده أو الأم وحدها يقال لهما: أخوان لأن الأب أو الأم أو كلاهما يجمعان الإنسانين وعلى هذا الأساس يقول الله تعالى: (إنما المؤمنون أخوة) [١٠٩] أي أن مبدأ الإيمان يجمعهما.

هذه نظرة خاطفة ولمحة موجزة عن الأخوة والإخاء في العرف والقرآن وقد تجتمع هذه العلة كأخوة النسب وأخوة الدين، وأخوة المماثلة في إنسانين فتتقوى أو اصر الأخوة فيما بينهما.

روى البلاذري عن ابن عباس وغيره: لما نزل قوله تعالى: (إنما المؤمنون أخوة) [١١٠] آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين الأشكال والأمثال، فأخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبدالرحمن، وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين أبي ذر وأبي مسعود، وبين سلمان وحذيفة، وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين أبي الدرداء والبلال، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمار وبين عائشة وحفصة، وبين

زينب بنت جحش وميمونة، وبين أم سلمة وصفية حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم ثم قال: (أنت أخي، وأنا أخوك يا علي): وفي لفظ: قال علي (عليه السلام): يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركنتي، فقال: أنت أخي، أما ترضى أن تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتدخل الجنة إذا دخلت؟ قال: بلى يا رسول الله.

وفي رواية مناقب آل أبي طالب: فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): إنما أخرجتك لنفسى، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة. فبكى علي عند ذلك وقال:

أقبيك بنفسى أيها المصطفى الذى
هدانا به الرحمن من عمه الجهل
وأفديك حوبائى وما قدر مهجتي؟
لمن أنتمى منه إلى الفرع والأصل [١١١].
ومن ضمنى مذ كنت طفلاً ويافعاً
وأنعشنى بالبر والعل والنهل
ومن جده جدى ومن عمه عمى
ومن أهله أمى ومن بنته أهلى
ومن حين آخى بين من كان حاضراً
دعانى وآخانى وبين من فضلى
لك الفضل إنى ما حييت لشاكر
لإتمام ما أوليت يا خاتم الرسل
وقال: أنا أخو المصطفى لا شك فى نسبي
معه ربيت وسبطاه هما ولدى
وقال: محمد النبي أخى وصنوى
وحمزه سيد الشهداء عمى

ولا شك أن هذه الأخوة ليست نسيباً، إذ لم يكونا أخوين من النسب تحقيقاً وإنما قال ذلك فيه إبانة لمنزلته وفضله وإمامته على سائر المسلمين، لئلا يتقدمه أحد منهم، ولا يتأمر عليه بعد ما آخى بينهم أجمعين: الأشكال، وجعله شكلاً لنفسه، ولهذا كان علي (عليه السلام) يفتخر بهذه المنقبة والفضيلة لما فيه من علو الرتبة وسمو المنزلة، وشدة الاختصاص بالنبي، وكان علي (عليه السلام) يقول: أنا عبدالله وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، لا يقوله غيرى إلا كذاب.

إن كثرة النصوص الواردة حول هذه الفضيلة وتواترها لا تبقى مجالاً للشك والريب، وقد ذكرها طائفة كبيرة من علماء السنة وحفاظهم، وتطرق إلى ذلك الشعراء فى نظمهم وقريضهم لم نذكرها رعاية للاختصار.

مصادر حديث المواخاة بين رسول الله وعلي

وهى خمسون مصدراً:

- ١ جامع الترمذى ٢ ص ٢١٣.
- ٢ مصابيح البغوى ٢ ص ١٩٩.
- ٣ مستدرک الحاكم ٣ ص ١٤.

- ٤ الاستيعاب ٢ ص ٤٦٠.
- ٥ تيسير الوصول ٣ ص ٢٧١.
- ٦ مشكاة المصابيح هامش المرقاة ٥ ص ٥٦٩.
- ٧ الرياض النضرة ٢ ص ١٦٧ وفي ص ٢١٢.
- ٨ الفصول المهمة ص ٢٢ و ٢٩.
- ٩ تذكرة السبط ص ١٣ و ١٥.
- ١٠ كفاية الكنجي ص ٨٢.
- ١١ السيرة النبوية لابن سيد الناس ١ ص ٢٠٠ و ٢٠٣.
- ١٢ تاريخ ابن كثير ٧ ص ٣٣٥.
- ١٣ أسنى المطالب للجزري ص ٩.
- ١٤ مطالب السؤل ص ١٨.
- ١٥ الصواعق ص ٧٣ و ٧٥.
- ١٦ تاريخ الخلفاء ص ١١٤.
- ١٧ الإصابة ٢ ص ٥٠٧.
- ١٨ المواقف ٣ ص ٢٧٦.
- ١٩ شرح المواهب ١ ص ٣٧٣.
- ٢٠ طبقات الشعراني ٢ ص ٥٥.
- ٢١ تاريخ القرمانى هامش الكامل ١ ص ٢١٦.
- ٢٢ السيرة الحلبية ١ ص ٢٣ و ١٠١.
- ٢٣ السيرة النبوية لزيني دحلان ١ ص ٣٢٥.
- ٢٤ كفاية الشقيطى ص ٣٤.
- ٢٥ الإمام على بن أبى طالب للأستاذ محمد رضا ص ٢١.
- ٢٦ الإمام على بن أبى طالب للأستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود قاله فى ص ٧٣.
- ٢٧ الرياض النضرة ٢ ص ٢٠٩.
- ٢٨ تاريخ ابن عساكر ٦ ص ٢٠١.
- ٢٩ كنز العمال ٦ ص ٣٩٠.
- ٣٠ تاريخ ابن هشام ٢ ص ١٢٣.
- ٣١ الفتاوى الحديثية ص ٤٢.
- ٣٢ تاريخ الخطيب ١٢ ص ٢٦٨.
- ٣٣ مسند أحمد ١ ص ٢٣٠.
- ٣٤ الإمتاع للمقرئى ص ٣٤٠.
- ٣٥ المحاسن والمساوى ١ ص ٣١.
- ٣٦ مجمع الزوائد ٩ ص ١١١.

- ٣٧ مناقب الخوارزمي ص ٨٧.
 ٣٨ شمس الأخيار ص ٣٥.
 ٣٩ فيض القدير ٤ ص ٣٥٥.
 ٤٠ مصباح الظلام ٢ ص ٥٦.
 ٤١ حلية الأولياء ١ ص ٦٧.
 ٤٢ شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ٤٤٩.
 ٤٣ فرائد السمطين في الباب ٣٠ و ٥٠.
 ٤٤ نزهة المجالس ٢ ص ٢٤١.
 ٤٥ ذخائر العقبي ص ٩١.
 ٤٦ تاريخ بغداد ١١ ص ١١٢.
 ٤٧ خصائص النسائي ص ٣٢.
 ٤٨ سنن ابن ماجه ١ ص ٥٧.
 ٤٩ العقد الفريد ص ٢٧٥.
 ٥٠ تاريخ الطبري ٣١٢.

سورة براءة

لما نزلت هذه السورة على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أمر رسول الله أبابكر أن يذهب إلى مكة ويقراها على الناس، وفي رواية: يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة، وأن ينبذ إلى كل ذي عهد عهده، فلما وصل أبوبكر إلى ذي الحليفة نزل جبرائيل على النبي وقال: لا يبلغ عنك إلا على.

فدعا رسول الله علياً وأمره أن يركب ناقته العضاء، وأمره أن يلحق أبابكر ويأخذ منه سورة براءة ويقراها على الناس بمكة، فأدرك على أبابكر فلما رآه أبوبكر فرغ من لحوقه به واستقبله فقال: فيم جئت يا أباالحسن؟ أسائر أنت معي أم لغير ذلك؟ فقال على: إن رسول الله أمرني أن ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم، وأمرني أن أخيرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه، فقال: بل أرجع إليه وعاد إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فلما دخل عليه قال: يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طال الأعتاق إلى فيه، فلما توجهت إليه رددتني عنه، ما لي أنزل في قرآن؟ فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): لا، ولكن الأمين جبرائيل (عليه السلام) هبط إلى عن الله عزوجل بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، وعلى مني، ولا يؤدي عني إلا على.

قال المقرئ في الإمتاع: بأن العرب كان إذا تحالف سيدهم أو رئيسهم لم ينقض ذلك إلا الذي يحالف أو أقرب الناس قرابته منه، وكان على رضى الله عنه هو الذي عاهد المشركين فلذلك بعثه (صلى الله عليه وآله) ببراءة.

وذكر أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن نقيع قال: سألتنا علياً بأى شيء بعثت في ذي الحجة؟ قال بعثت بأربعة: لا تدخل الكعبة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر.

وروى أنه (عليه السلام) قام عند جمره العقبة وقال: يا أيها الناس إنى رسول رسول الله إليكم بأن لا يدخل البيت كافر، ولا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فله عهده إلى أربعة أشهر، ومن لا عهد له فله مدة بقية الأشهر الحرم، وقرأ عليهم سورة براءة، وقيل: قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة، وروى أنه (عليه السلام) لما نادى فيهم:

(إن الله برىء من المشركين). [١١٢].

قال المشركون: نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك.

وهذه صور أخرى:

في البحار عن الإمام الباقر (عليه السلام): لما سرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأب بكر بأول سورة براءة إلى أهل مكة أتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن لا تبعث هذا وأن تبعث على بن أبي طالب (عليه السلام)، وإنه لا يؤديها عنك غيره، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) على بن أبي طالب فلحقه وأخذ منه الصحيفة وقال: ارجع إلى النبي، فقال أبو بكر: هل حدث في شيء؟ فقال: سيخبرك رسول الله، فرجع أبو بكر إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله ما كنت ترى أني مؤد عنك هذه الرسالة؟ فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): أبي الله أن يؤديها إلا على بن أبي طالب (عليه السلام) فأكثر أبو بكر عليه من الكلام فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): كيف تؤديها وأنت صاحب في الغار.

قال: فانطلق على (عليه السلام) حتى قدم مكة ثم وافى عرفات، ثم رجع إلى جمع، ثم إلى منى ثم ذبح وحلق، وصعد على الجبل المشرف المعروف بالشعب فأذن ثلاث مرات: ألا تسمعون أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم؟ ثم قال: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتهم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين وأذان من الله ورسوله) [١١٣] إلى قوله: (إن الله غفور رحيم) [١١٤] تسع آيات من أولها، ثم لمع بسيفه (أي أشار) فأسمع الناس وكررها فقال الناس: من هذا الذي ينادى في الناس؟ فقالوا: على بن أبي طالب، وقال من عرفه من الناس: هذا ابن عم محمد، وما كان ليجتري على هذا غير عشيرة محمد (صلى الله عليه وآله)، فأقام أيام التشريق ثلاثة ينادى بذلك ويقرأ على الناس غدوة وعشية، فناداه الناس من المشركين: أبلغ ابن عمك أن ليس له عندنا إلا ضرباً بالسيف وطعناً بالرمح.

ثم انصرف على (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) يقصد في السير، وأبطأ الوحي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمر على وما كان منه، فاغتم النبي لذلك غماً شديداً حتى روى في وجهه، وكف عن النساء من الهم والغم، فقال بعضهم لبعض: لعله قد نعت إليه نفسه أو عرض له مرض، فقالوا لأبي ذر: قد نعلم منزلتك من رسول الله، وقد ترى ما به، فنحن نحب أن تعلم لنا أمره، فسأل أبو ذر النبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك، فقال النبي: ما نعت إلى نفسي وإني لميت، وما وجدت في أمي إلا خيراً، وما بي من مرض، ولكن من شدة وجدى بعلى بن أبي طالب (عليه السلام) وإبطاء الوحي عنى في أمره، فإن الله عز وجل قد أعطاني في على (عليه السلام) تسع خصال: ثلاثة لدين، واثنان لآخرتي واثنان أنا منهما آمن، واثنان أنا منهما خائف، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا صلى الغداة استقبل القبلة بوجهه إلى طلوع الشمس يذكر الله عز وجل، وتقدم على بن أبي طالب خلف النبي (صلى الله عليه وآله) ويستقبل الناس بوجهه فيستأذنون في حوائجهم، وبذلك أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما توجه على (عليه السلام) إلى ذلك الوجه لم يجعل رسول الله مكان على لأحد، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا صلى وسلم استقبل الناس بوجهه فأذن للناس.

فقام أبو ذر فقال: يا رسول الله لي حاجة، قال: انطلق في حاجتك.

فخرج أبو ذر من المدينة يستقبل على بن أبي طالب (عليه السلام) فلما كان ببعض الطريق إذا هو براكب مقبل على ناقته، فإذا هو على فاستقبله والتزمه وقبله وقال: بأبي أنت وأمي اقصد في مسيرك حتى أكون أنا الذي أبشر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإن رسول الله من أمرك في غم شديد وهم، فقال له على (عليه السلام): نعم، فانطلق أبو ذر مسرعاً حتى أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: البشري، قال: وما بشراك يا أبا ذر؟ قال: قدم على بن أبي طالب (عليه السلام) فقال له: لك بذلك الجنة، ثم ركب النبي (صلى الله عليه وآله) وركب معه الناس فلما رآه أناخ ناقته، ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلتقاه والتزمه وعانقه ووضع خده على منكب على وبكى النبي فرحاً بقدومه وبكى على معه، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما صنعت بأبي أنت وأمي؟ فإن الوحي أبطأ على في

أمرك، فأخبره بما صنع، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان الله عزوجل أعلم بك منى حين أمرنى بإرسالك. عن الصادق (عليه السلام) قال: خطب على فاخترط سيفه وقال: لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يحجن البيت مشرك، ومن كان له مدة فهو إلى مدته، ومن لم يكن له مدة فمدته أربعة أشهر زيادة في مسند الموصلي: ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة وهذا هو الذى أمر الله تعالى به إبراهيم (عليه السلام) حين قال: (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) [١١٥] فكان الله تعالى أمر إبراهيم الخليل بالنداء أولاً قوله: (وأذن فى الناس بالحج) [١١٦] وأمر الولى بالنداء آخرأ قوله: (وأذان من الله ورسوله) [١١٧] قال السدى وأبومالك وابن عباس وزين العابدين (عليه السلام): الأذان على بن أبى طالب الذى نادى به.

على يكسر الأصنام

روى أبو بكر الشيرازى ...

عن أبى هريرة قال: قال لى جابر بن عبد الله: دخلنا مع النبى مكة، وفى البيت وحوله ثلاث مائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فألقيت كلها لوجوهها، وكان على البيت صنم طويل يقال له (هبل) فنظر النبى (صلى الله عليه وآله) إلى على (عليه السلام) وقال له: يا على تركب (تصعد) أو أركب عليك لألقى هبل عن ظهر الكعبة؟ قلت: يا رسول الله بل تركبى فلما جلس على ظهرى لم أستطع حمله لثقل الرسالة، قلت: يا رسول الله بل أركبك، فضحك ونزل وطأطأ لى ظهره واستويت عليه، فو الذى فلق الحبة وبرئ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لمسكتها بيدي!! فألقيت هبل عن ظهر الكعبة، فأنزل الله تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل). [١١٨].

وروى أحمد بن حنبل وأبو بكر الخطيب بإسناده عن على بن أبى طالب (عليه السلام) قال: انطلق بى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الأصنام فقال: اجلس، فجلست إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله على منكبى ثم قال لى: انهض بى إلى الصنم، فنهضت به، فلما رأى ضعفى عنه قال: اجلس فجلست وأنزلته عنى، وجلس لى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال لى: اصعد يا على، فصعدت على منكبه ثم نهض بى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما نهض بى خيل لى أنى لو شئت نلت السماء وصعدت على الكعبة، وتنحى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش، وكان من نحاس موداً بأوتاد من حديد إلى الأرض. الحديث بصورة أخرى:

روى إسماعيل بن محمد الكوفى فى خبر طويل عن ابن عباس أنه كان صنم لخزاعة من فوق الكعبة، فقال له النبى (صلى الله عليه وآله) يا أبا الحسن انطلق بنا نلقى هذا الصنم عن البيت، فانطلقاً ليلاً فقال له: يا أبا الحسن ارق على ظهرى، وكان طول الكعبة أربعين ذراعاً، فحمله رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: انتهيت يا على؟ قال: والذى بعثك بالحق لو هممت أن أمس السماء بيدي لمستها.

واحتمل الصنم وجلد به الأرض فتقطع قطعاً، ثم تعلق بالميزاب وتخلى بنفسه إلى الأرض، فلما سقط ضحك، فقال النبى (صلى الله عليه وآله): ما يضحكك يا على أضحكك الله سنك؟ قال: ضحكت يا رسول الله تعجباً من أنى رميت بنفسى من فوق البيت إلى الأرض فما أملت ولا أصابنى وجع! فقال: كيف تألم يا على أو يصيبك وجع إنما رفعك محمد وأنزلك جبرائيل.. وفى علل الشرائع وجامع الأخبار عن محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة قال: سألت جعفر بن محمد (الصادق) (عليه السلام) فقلت له: يا ابن رسول الله فى نفسى مسألة أريد أن أسألك عنها.

فقال: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألنى وإن شئت فأسأل قال قلت له: يا ابن رسول الله وبأى شىء تعرف ما فى نفسى قبل سؤالى؟ فقال بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عزوجل: (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين) [١١٩] وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)؟ قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرنى بمسألتى قال: أردت أن تسألنى عن رسول الله لم

لم يطق حملة على (عليه السلام) عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته ومع ما ظهر منه في قلع باب القوم بخيبر والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً؟ وكان لا يطيق حملة أربعون رجلاً؟ وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يركب الناقة والفرس والحمار وركب البراق ليلة المعراج وكل ذلك دون على في القوة والشدّة؟ قال: فقلت له: عن هذا والله أردت أن أسألك يا ابن رسول الله فأخبرني.

فقال (عليه السلام): إن علياً برسول الله تشرف، وبه ارتفع وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك وأبطل كل معبود من دون الله عزوجل ولو علاه النبي (صلى الله عليه وآله) لحط الأصنام لكان بعلي مرتفعاً وشريفاً واصلاً إلى حط الأصنام، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى أن علياً (عليه السلام) قال: (لما علوت ظهر رسول الله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنتها)؟ أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة وانبعث فرعه من أصله وقد قال على (عليه السلام): (أنا من أحمد كالضوء من الضوء!).

حديث سد الأبواب

في البحار ج ٩ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما بنى مسجده بالمدينة وأشعر بابه وأشعر المهاجرون والأنصار أبوابهم أراد الله عزوجل إبانة محمد وآله الأفضلين بالفضيلة، فنزل جبرائيل (عليه السلام) عن الله: بأن سدوا الأبواب عن مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل أن ينزل بكم العذاب، فأول من بعث إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان العباس، وكان الرسول معاذ بن جبل، ثم مر العباس بفاطمة (عليها السلام) فرآها قاعده على بابها وقد أقعدت الحسن والحسين (عليهما السلام) فقال لها: ما بالك قاعده؟ انظروا إليها كأنها لبوء بين يديها شبلاها! تظن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج عمه ويدخل ابن عمه! فمر بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لها: ما بالك قاعده؟ فقالت: أنتظر أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسد الأبواب، فقال (صلى الله عليه وآله): إن الله تعالى أمرهم بسد الأبواب واستثنى منهم رسوله وأنتم نفس رسول الله، ثم إن عمر بن الخطاب جاء فقال: إني أحب النظر إليك يا رسول الله إذا مررت إلى مصلاك، فأذن لي في خوخة (فرجة) أنظر إليك منها! فقال: قد أبى الله ذلك، فقال: فمقدار ما أضع عليه وجهي، قال قد أبى الله ذلك، قال: فمقدار ما أضع عليه عيني، فقال: قد أبى الله ذلك ولو قلت: قدر طرف إبرة لم آذن لك، والذي نفسي بيده ما أنا أخرجتكم ولا أدخلتكم ولكن الله أدخلكم وأخرجكم.

ثم قال: لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جنباً إلا محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والمنتجبون من آلهم الطيبون من أولادهم..

الحديث بلفظ آخر:

حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما قدم أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة لم تكن لهم بيوت فكانوا يبيتون في المسجد، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله): لا تبيتوا في المسجد فتحتلموا، ثم إن القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وإن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث إليهم معاذ بن جبل فنأدى أبا بكر فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمر أن تخرج من المسجد وتسد بابك، فقال: سمعاً وطاعة.

فسد بابه وخرج من المسجد، ثم أرسل إلى عمر فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمر أن تسد بابك الذي في المسجد وتخرج منه، فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله غير أنني أرغب إلى الله تعالى في خوخة (فرجة) في المسجد.

فأبلغه معاذ ما قاله عمر، ثم أرسل إلى عثمان وعنده رقية فقال: سمعاً وطاعة.

فسد بابه وخرج من المسجد، ثم أرسل إلى حمزة رضي الله عنه فسد بابه وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله وعلى (عليه السلام) على ذلك متردد لا يدرى أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج؟ وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد بنى له في المسجد بيتاً بين أبياته، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): اسكن طاهراً مطهراً، فبلغ حمزة قول النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) فقال: يا محمد تخرجنا

وتمسك غلمان بنى عبدالمطلب فقال له نبي الله: لو كان الأمر إلى ما جعلت دونكم من أحد، والله ما أعطاه إياه إلا الله وإنك لعلى خير من الله ورسوله، أبشر، فبشره النبي (صلى الله عليه وآله) فقتل يوم أحد شهيداً، ونفس ذلك رجال على على فوجدوا فى أنفسهم، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) فقام خطيباً فقال إن رجالاً يجدون فى أنفسهم فى أن أسكن علياً فى المسجد وأخرجهم والله ما أخرجهم ولا أسكنته، إن الله عزوجل أوحى إلى موسى وأخيه (أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبله وأقيموا الصلاة) [١٢٠] وأمر موسى أن لا يسكن مسجداً ولا ينكح فيه ولا يدخله إلا- هارون وذريته، وإن علياً بمنزله هارون من موسى وهو أخى دون أهلى ولا يحل مسجدي لأحد ينكح فيه النساء إلا على وذريته، فمن شاء فها هنا وأوماً بيده نحو الشام.

ولابن أبى الحديد كلام جامع يشير إلى بعض الفضائل بصورة موجزة يقول: وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) ذا أخلاق متضادة، فمنها أن الغالب على أهل الإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوى قلوب قاسية وفتك وتتمر وجبرية، والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذها والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد وتذكيرهم الموت أن يكونوا ذوى رقة ولين. وضعف قلب وخور طبع، وهاتان حالتان متضادتان وقد اجتمعتا له (عليه السلام).

ومنها: أن الغالب على ذوى الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوى أخلاق سبعية وطباع وحشية، وكذلك الغالب على أهل الزهاد وأرباب الوعظ والتذكير ورفض الدنيا أن يكونوا ذوى انقباض فى الأخلاق وعبوس فى الوجوه ونفار من الناس واستيحاش. وعلى (عليه السلام) كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم، وأزهد الناس وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيام الله ومثلاته وأشدهم اجتهاداً فى العبادة، وآداباً لنفسه فى المعاملة.

وكان مع ذلك أطف العالم أخلاقاً، وأسفرهم وجهاً، وأكثرهم بشراً وأوفاهم هشاشة وبشاشة، وأبعدهم عن انقباض موحش أو خلق نافر، أو تجهم مباحد، أو غلظة وفضاظة ينفر معها نفس، أو يتكدر معها قلب، حتى عيب بالدعابة. ولما لم يجدوا فيه مغمزاً ولا مطعنًا تعلقوا بها (الدعابة)، واعتمدوا فى التنفير عليها، وهذا من عجائبه وغرائب اللطيفة. ومنها: أن الغالب على شرفاء الناس ومن هو من أهل السيادة والرئاسة أن يكون ذا كبرٍ وتيه وتعظم، وخصوصاً إذا أضيف إلى شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أخرى.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) فى مصاص الشرف ومعدنه، لا شك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه (صلوات الله عليه) وقد حصل له الشرف غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة، وقد ذكرنا بعضها ومع ذلك كان أشد الناس تواضعاً لصغير وكبير، وألينهم عريكه، وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الكبر، وأعرفهم بحق.

وكانت حاله هذه حاله فى كل زمانه: زمان خلافته، والزمان الذى قبله، ما غيرت سجيته الإمرة، ولا أحالت خلقه الرئاسة وكيف تحيل الرئاسة خلقه وما زال رئيساً؟ وكيف تغير الإمرة سجيته وما برح أميراً؟ لم يستفد بالخلافة شرفاً، ولا اكتسب بها زينة، بل هو كما قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبدالرحمن بن على الجوزى فى تاريخه المعروف (بالممنتظم) قال: تذاكروا عند أحمد خلافة أبى بكر وعلى وقالوا، وأكثروا فرغ رأسه إليهم وقال: قد أكثرتم، إن علياً لم تزنه الخلافة لكنه زانها، وهذا الكلام بفحواه ومفهومه على أن غيره ازداد بالخلافة وتمت نقيصه، وأن علياً لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتم بالخلافة وكانت الخلافة ذات نقص فى نفسها، فتم نقصها بولايتها إياها.

ومنها: إن الغالب على ذوى الشجاعة وقتل الأنفس وإراقة الدماء لأن يكونوا قليلى الصفح، بعيدى العفو، لأن أكبادهم واغرة، وقلوبهم ملتبه، والقوة الغضبية عندهم شديدة، وقد علمت حال أمير المؤمنين (عليه السلام) فى كثرة إراقة الدماء وما عنده من الحلم والصفح ومغالته هوى النفس، وقد رأيت فعله يوم الجمل.

ومنها ما رأيناه شجاعاً جواداً قط ...

وقد علمت حال أمير المؤمنين في الشجاعة والسخاء كيف هي؟ وهي من أعاجيبه (عليه السلام...)
إلى آخر كلامه.

على يوم الغدير

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يرضى وسلام على النبي المصطفى وأخيه المرتضى وآله.

قال الله تبارك وتعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس). [١٢١].
أيها الأخوة كلامنا الليلة حول واقعة الغدير، تلك الواقعة التي أكمل الله فيها الدين وأتم فيها النعمة، يوم تويج الإمام المرتضى (عليه السلام) بتاج الخلافة العظمى والإمامة الكبرى.

وهذا البحث من أهم البحوث الإسلامية، وهنا مفترق الطرق بين المذاهب الإسلامية، ويمكن لنا أن نقول: إن الكتب والمؤلفات التي كتبت حول هذا الموضوع بالذات وحول الإمامة والخلافة بصورة عامة قد تجاوزت العد والضبط والإحصاء، من إثبات أو رد أو مناقشة وما يدور في هذا الفلك.

ولا- تسألوا عن الأرواح التي زهقت في سبيل هذه الواقعة ومضاعفاتها في خلال أربعة عشر قرناً، وما هناك من مآسى وكوارث ومصائب ومجازر وفتن تتعب القارئ وتجهد السامع.

وحيث إن الإمامة عندنا تالية للنبوّة من حيث كونها وظيفة إلهية ومنصب رباني ليس لأحد حق الانتخاب أو الرد فيها، كما قال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة) [١٢٢] ولهذا لا بأس بذكر هذه الواقعة وما يتعلق بها من أقوال الصحابة وأهل البيت والتابعين وتابعيهم من المحدثين والمفسرين والمؤرخين والشعراء والأئمة والأعلام والحفاظ.

ومن العجب أن عدداً من النصارى ذكروا هذه الحادثة نظماً ونثراً ولعلنا نشير إلى بعض أقوال هؤلاء بصورة موجزة رعاية للاختصار.
ومن أعجب العجب أن بعض المسلمين بعد إقامة الأدلة الكافية والبراهين الشافية والحجج القاطعة على خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعد المناقشة في سند الحديث ودلالته متنه ومفهومه قال: إن علياً هو الأفضل ولكن غيره أصلح!! سبحان الله هذه كلمة تضحك الثكلى! لأن معناها، إن الله ورسوله ما كانا يعرفان الأصلح؟ أو كانا يعرفانه ولكنهما قدما غير الأصلح، نعوذ بالله من الباطل.

والأفضل أن نذكر الواقعة بصورة موجزة ثم ننظر أين ينتهي بنا الكلام؟ وأقوال المفسرين والمحدثين تختلف من حيث الإيجاز والتفصيل، ولكن المفاد واحد، وهذه صورة الواقعة: لما قضى رسول الله مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع الغفيرة ووصل إلى غدير خم من الجحفة التي تشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرائيل الأمين عن الله بقوله: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) [١٢٣] الآية.

وأمره أن يقيم علياً علماً للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول الله أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ونهى عن سمرة خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتها أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقم (كنس) ما تحتها حتى إذا نؤدى بالصلاة الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتها، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء، وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف الرسول (صلى الله عليه وآله) من صلاته قام خطيباً وسط القوم على اقتاب الإبل وأسمع الجميع رافعاً عقيرته فقال: الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضل،

ولا مضل لمن هدى وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله أما بعد: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإنني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وانتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً.

قال: أُلستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم أشهد ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا نعم قال: فإنني فرط على الحوض، وانتم واردون على الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزوجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ثم أخذ بيد علي فرفعهما حتى رثى بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ فمن كنت مولاه فعلى مولاه، يقولها ثلاث مرات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

وقد ذكروا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) خطبة مفصلة جداً رواها الطبرسي في الاحتجاج، ورواها غيره في كتبهم بغير تفصيل، وكيف كان لما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خطبته نزل وأمر المسلمين أن يبایعوا علياً بالخلافة ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين. فتهافت عليه الناس يبایعونه، وجاء الشيخان: أبو بكر وعمر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالوا: هذا أمر منك أم من الله؟ فقال النبي: وهل يكون هذا عن غير أمر الله؟ نعم أمر من الله ورسوله فقاما وبايعا، فقال عمر: السلام عليك يا أمير المؤمنين بخ بخ لك لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!! هذه الواقعة من أشهر الحوادث بين المفسرين والمحدثين والمؤرخين، وتعتبر عندهم من أصح الأحاديث لتواتر الروايات الواردة حول الحديث.

أما الصحابة الذين شهدوا بالغدير فالمشهور منهم مائة ونيف وإليك أسماؤهم حسب الحروف:

١ أبوهريرة.

٢ أبوليلي الأنصاري.

٣ أبوزينب بن عوف الأنصاري.

٤ أبوفضالة الأنصاري.

٥ أبوقدامة الأنصاري.

٦ أبوعمرة بن عمر بن محضر الأنصاري.

٧ أبوالهيثم بن التيهان.

٨ أبورافع القبطي.

٩ أبوذويب بن خويلد.

١٠ أبوبكر بن أبي قحافة.

١١ أسامة بن زيد.

١٢ أسعد بن زرارة الأنصاري.

١٣ أبي بن كعب الأنصاري.

- ١٤ أسماء بنت عميس.
- ١٥ أم كلثوم زوجة النبي (صلى الله عليه وآله).
- ١٦ أم هانئ بنت أبي طالب.
- ١٧ براء بن عازب الأنصاري.
- ١٨ أبو حمزة أنس بن مالك.
- ١٩ بريرة بن الخصيب.
- ٢٠ أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاري.
- ٢١ جاب بن ثمره.
- ٢٢ جابر بن عبدالله الأنصاري.
- ٢٣ جبلة بن عمرو الأنصاري.
- ٢٤ جبير بن مطعم.
- ٢٥ جرير بن عبدالله.
- ٢٦ أبوذر جندب بن جنادة.
- ٢٧ أبو جنيده جندع بن عمرو.
- ٢٨ حبه بن جرير العرنى.
- ٢٩ حبشى بن جنادة.
- ٣٠ حبيب بن بديل.
- ٣١ حذيفة بن أسيد.
- ٣٢ حذيفة بن اليمان.
- ٣٣ حسان بن ثابت.
- ٣٤ الإمام الحسن بن على (عليه السلام).
- ٣٥ الإمام الحسين بن على (عليه السلام).
- ٣٦ أبو أيوب الأنصاري.
- ٣٧ خالد بن الوليد.
- ٣٨ خزيمه بن ثابت.
- ٣٩ خويلد بن عمر الخزامى.
- ٤٠ رفاعه بن عبد المنذر الأنصاري.
- ٤١ زبير بن العوام.
- ٤٢ زيد بن ثابت.
- ٤٤ زيد بن عبدالله الأنصاري.
- ٤٥ زيد بن يزيد بن شراحيل الأنصاري.
- ٤٦ سعد بن أبي وقاص.
- ٤٧ سعد بن جنادة.

- ٤٨ سعد بن عبادة.
- ٤٩ أبوسعيد الخدرى.
- ٥١ سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى.
- ٥٢ سلمان الفارسى.
- ٥٣ سمره بن جندب.
- ٥٤ سلمه بن عمرو.
- ٥٥ سهل بن ساعد الأنصارى.
- ٥٧ أبو أمامة الصدى بن عجلان.
- ٥٨ ضميره الأسدى.
- ٥٩ طلحه بن عبيدالله.
- ٦٠ عامر بن عمير.
- ٦١ عامر بن ليلى.
- ٦٢ عامر بن وائله.
- ٦٣ عامر بن ليلى العقارى.
- ٦٤ عائشه بنت أبى بكر.
- ٦٥ عباس بن عبدالمطلب عم النبى (صلّى الله عليه وآله).
- ٦٦ عبدالرحمن بن عبد رب الأنصارى.
- ٦٧ عبدالرحمن بن عوف.
- ٦٨ عبدالرحمن بن يعمر.
- ٦٩ عبدالله بن أبى عبدالأسد المخزومى.
- ٧٠ عبدالله بن بديل.
- ٧١ عبدالله بن بشير.
- ٧٢ عبدالله بن ثابت الأنصارى.
- ٧٣ عبدالله بن جعفر بن أبى طالب.
- ٧٤ عبدالله بن حنطب.
- ٧٥ عبدالله بن ربيعه.
- ٧٦ عبدالله بن عباس.
- ٧٧ عبدالله بن أبى أوفى.
- ٧٨ عبدالله بن عمر بن الخطاب.
- ٧٩ عبدالله ياميل.
- ٨٠ عثمان بن عفان.
- ٨١ عدى بن حاتم.
- ٨٢ عبيد بن عازب الأنصارى.

- ٨٣ عطية بن يسر.
 ٨٤ عقبه بن عامر.
 ٨٥ على بن أبي طالب (عليه السلام).
 ٨٦ عمار بن ياسر.
 ٨٧ عماره الخزرجي.
 ٨٨ عمر بن أبي سلمة.
 ٨٩ عمر بن الخطاب.
 ٩٠ عمران بن حصين.
 ٩١ عمرو بن الحمق الخزاعي.
 ٩٢ عمرو بن شراحيل.
 ٩٣ عمرو بن العاص.
 ٩٤ عمرو بن مرة.
 ٩٥ فاطمة الزهراء بنت النبي (عليها السلام).
 ٩٦ فاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب.
 ٩٧ قيس بن ثابت.
 ٩٨ قيس بن سعد بن عبادة.
 ٩٩ كعب بن عجرة.
 ١٠٠ مالك بن الحويرث.
 ١٠١ المقداد بن عمرو الكندي.
 ١٠٢ ناجية بن عمرو الخزاعي.
 ١٠٣ أبوبرزة فضل بن عتبة.
 ١٠٤ نعمان بن عجلان.
 ١٠٥ هاشم المرقال.
 ١٠٦ وهب بن حمزة.
 ١٠٧ وهب بن عبد الله.
 ١٠٨ وحشى بن حرب.
 ١٠٩ يعلى بن مرة.

اكمال الدين

ولما انتهت البيعة لأئمة المؤمنين (عليه السلام) هبط جبرائيل على النبي (صلى الله عليه وآله) بهذه الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً). [١٢٤].
 أما المفسرون والمحدثون الشيعة فقد اتفقت كلمتهم على نزول هذه الآية يوم الغدير بعد انتهاء البيعة لعلي (عليه السلام) وأما من حفاظ أهل السنة ومحدثيهم فقد روى:

- ١ محمد بن جرير الطبري في كتاب: (الولاية).
- ٢ الحافظ ابن مردويه روى عنه في تفسير ابن كثير.
- ٣ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني روى في كتابه: (ما نزل من القرآن في علي).
- ٤ أبوبكر الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٨.
- ٥ أبوسعيد السجستاني في كتابه (الولاية).
- ٦ الحافظ أبو القاسم الحسكاني في كتابه (دعاء الهداء إلى أداء حق الموالاة).
- ٧ الحافظ أبو القاسم بن عساكر.
- ٨ أبو الحسن بن المغازل روى في مناقبه.
- ٩ أخطب الخطباء الخوارزمي روى في المناقب.
- ١٠ أبو الفتح النطنزي روى في كتابه الخصائص العلوية.
- ١١ أبو حامد سعد الدين الصالحى روى عنه شهاب الدين أحمد في توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل.
- ١٢ سبط ابن الجوزي ذكر في تذكروته.
- ١٣ شيخ الإسلام الحمويني روى في فرائد السمطين.
- ١٤ عماد الدين ابن كثير القرشي روى في تفسيره.
- ١٥ جلال الدين السيوطي الشافعي في الدر المنثور وفي الإتقان.
- ١٦ منير محمد البدخشي روى في كتاب مفتاح النجاء.

نزول العذاب

انتشر خبر واقعة الغدير، وشاع وطار في البلاد فبلغ ذلك الحارث ابن النعمان الفهري، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، على ناقه له حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها، فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وانك رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه منك وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبع ابن عمك، ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلى مولاه، فهذا شيء منك أم من الله عزوجل؟ فقال: والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله.

فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فما وصل إليها راحلته حتى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله عزوجل: (سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع، من الله ذى المعارج). [١٢٥].

الذين رووا نزول هذه الآية في شأن الحارث بن النعمان هم:

- ١ الحافظ أبو عبيد الهروي في تفسيره غريب القرآن.
- ٢ أبوبكر النقاش الموصلي في تفسيره شفاء الصدور.
- ٣ أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري في تفسيره الكشف والبيان.
- ٤ الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتابه (دعاء الهداء).
- ٥ أبوبكر يحيى القرطبي في تفسيره.
- ٦ سبط ابن الجوزي الحنفي رواه في تذكروته.
- ٧ إبراهيم بن عبد الله اليمنى الشافعي روى في كتابه الاكتفاء.

- ٨ الحموينى فى فرائد السمطين.
 - ٩ الشيخ محمد الزرندى الحنفى روى فى كتابه معارج الوصول ودرر السمطين.
 - ١٠ شهاب الدين أحمد فى كتابه هداية السعداء.
 - ١١ ابن الصباغ المالكى فى كتابه الفصول المهمة.
 - ١٢ نور الدين السمهودى الشافعى رواه فى جواهر العقدين.
 - ١٣ أبو السعود العمادى فى تفسيره.
 - ١٤ شمس الدين الشريينى الشافعى فى تفسيره السراج المنير.
 - ١٥ جمال الدين الشيرازى فى كتابه الأربعين.
 - ١٦ شيخ زيد الدين المناوى الشافعى فى كتابه فيض القدير.
 - ١٧ السيد ابن العبدروس الحسينى اليمنى فى كتابه العقد النبوى والسير المصطفوى.
 - ١٨ الشيخ أحمد ابن باكثر الشافعى ذكره فى وسيلة المآل فى عد مناقب الآل.
 - ١٩ الشيخ عبدالرحمن الصفوى روى فى نزته.
 - ٢٠ الشيخ برهان الدين على الحلبي الشافعى فى السيرة الحلبية.
 - ٢١ السيد محمود بن محمد القادري المدنى قال فى تأليفه الصراط السوى فى مناقب النبى.
 - ٢٢ شمس الدين الحنفى الشافعى فى شرح الجامع الصغير للسيوطى.
 - ٢٣ الشيخ محمد صدر العالم سبط الشيخ أبى الرضا قال فى كتابه معارج العلى فى مناقب المرتضى.
 - ٢٤ الشيخ محمد محبوب العالم رواه فى تفسيره المعروف بتفسير شاهى.
 - ٢٥ أبو عبدالله الزرقانى المالكى حكاه فى شرح المواهب اللدنية.
 - ٢٦ أحمد بن عبدالقادر الشافعى ذكره فى كتابه ذخيرة المآل.
 - ٢٧ السيد أحمد بن إسماعيل اليمانى ذكره فى كتابه الروضة الندية.
 - ٢٨ السيد مؤمن الشبلنجى الشافعى ذكره فى كتابه نور الأبصار.
 - ٢٩ الأستاذ الشيخ محمد عبده المصرى فى تفسير المنار.
- أما المحذوثون والمفسرون من الشيعة فلا يشك منهم أحد فى نزول هذه الآية فى شأن الحرث أو الحارث.

معانى المولى

ذكر اللغويون لكلمة (المولى) عشرين معنى، وهذا هو سبب المناقشة فى مفهوم الحديث، فيقول أصحاب القلوب المريضة: لم يظهر لنا المقصود من كلمة (مولاه)، ونجيب عن هذه المناقشة أو التشكيك بهذه الرواية المفسرة لمعنى المولى، فقد روى أن عمارة سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن معنى قوله: (من كنت مولاه فعلى مولاه) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الله مولاي: أولى بى من نفسى لا- أمر لى معه، وأنا مولى المؤمنين: أولى بهم من أنفسهم، ولا- أمر لهم معى، ومن كنت مولاه: أولى به من نفسه لا أمر له معى، فعلى مولاه: أولى به من نفسه لا أمر له معه.

سبحان الله! ما يصنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعد هذا التفصيل والتشريح والبيان الكافى الموضح لكلامه واليمين لمقصوده؟ وهل أبقي لأحد شكاً؟ وهل بقيت لأحد حجة على الله؟ بل أتم الحجة على الجميع، وأدى رسالته ربه على أحسن ما يرام، وأفضل ما يمكن.

ولسيدنا الحجة المغفور له عبدالحسين شرف الدين (عليه الرحمة) بحث لطيف وتحقيق ظريف حول كلمة المولى نذكره تميماً للفائدة:

(فلو سألكم فلاسفة الأغيار عما كان منه يوم غدیر خم فقال لماذا منع تلك الألوف المؤلفه يومئذ عن المسير؟ وعلى م حبسهم في تلك الرمضاء بهجير؟ وفيهم اهتم بإرجاع من تقدم منهم وإلحاق من تأخر؟ ولم أنزلهم جميعاً في ذلك العراء على غير كلاء ولا ماء؟ ثم خطبهم عن الله عزوجل في ذلك المكان الذي منه يتفرقون ليبلغ الشاهد منهم الغائب، وما المقتضى لنعى نفسه إليهم في مستهل خطابه؟ إذ قال: (يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون) وأى أمر يسأل النبي (صلى الله عليه وآله)، عن تبليغه؟ وتساءل الأمة عن طاعتها فيه؟ ولماذا سألهم فقال: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك ولماذا أخذ حينئذ على سبيل الفور بيد على فرفعها حتى بان بياض إبطيه؟ فقال: يا أيها الناس إن الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، ولماذا فسر كلمته وأنا مولى المؤمنين بقوله: وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ ولماذا قال بعد هذا التفسير: فمن كنت مولاه فهذا مولاه، أو من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ولم خصه بهذه الدعوات التي لا يليق لها إلا أئمة الحق وخلفاء الصدق؟؟ ولماذا أشهدهم من قبل، فقال ألت أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى.

فقال: من كنت مولاه، فعلى مولاه، أو من كنت وليه، فعلى وليه؟ ولماذا قرن العترة بالكتاب؟ وجعلها قدوة لأولى الألباب إلى يوم الحساب؟ وفيهم هذا الاهتمام العظيم من هذا النبي الحكيم؟ وما المهمة التي احتاجت إلى هذه المقدمات كلها؟ وما الغاية التي توخاها في هذا الموقف المشهور؟ وما الشيء الذي أمره الله تعالى بتبليغه إذ قال عز من قائل: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) [١٢٦] وأى مهمة استوجبت من الله هذا التأكيد؟ واقتضت الحض على تبليغها بما يشبه التهديد؟ وأى أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه؟ ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين بيانه؟ أكنتم بجدك لو سألكم عن هذا كله تجيبونه بأن الله عزوجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) إنما أراد بيان نصره على للمسلمين وصدافته لهم، ليس إلا؟ ما أراكم ترضون هذا الجواب، ولا أتوهم أنكم ترون مضمونه جائزاً على رب الأرباب، ولا على سيد الحكماء، وخاتم الرسل والأنبياء وأنتم أجل من أن يصرف هممه كلها، وعزائمه بأسرها إلى تبين شيء بين لا يحتاج إلى بيان، وتوضيح أمر واضح بحكم الوجدان والعيان، ولا شك أنكم تنزهون أفعاله وأقواله عن أن تردى بها العقلاء، أو ينتقدها الفلاسفة والحكماء بل لا ريب في أنكم تعرفون مكانة قوله وفعله من الحكمة والعصمة، وقد قال الله تعالى: (إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون) [١٢٧] فيهم بتوضيح الواضحات وتبيين ما هو بحكم البديهيات، ويقدم لتوضيح هذا الواضح مقدمات أجنبية ولا ربط له بها ولا دخل لها فيه، تعالى الله عن ذلك ورسوله علواً كبيراً وأنت نصر الله بك الحق تعلم أن الذى يناسب مقامه فى ذلك الهجير ويليق بأفعاله وأقواله يوم الغدير، إنما تبليغ عهده، وتعيين القائم من بعده، والقرائن اللفظية، والأدلة العقلية، توجب القطع الثابت الجازم بأنه (صلى الله عليه وآله) ما أراد يومئذ إلا تعيين على وليا لعهد، وقائماً من بعده، فالحديث مع ما قد حفّ به من القرائن نص جلى فى خلافة على لا يقبل التأويل، وليس إلى صرفه عن هذا المعنى من سبيل، وهذا واضح (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

[١٢٨].

أما القرينة التي زعموها فجفاف وتضليل، ولباقه في التخليط والتهويل، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث علياً إلى اليمن مرتين، والأولى كانت سنة ثمان وفيها أرجف المرجفون به وشكوه إلى النبي بعد رجوعهم إلى المدينة، فأنكر عليهم ذلك حتى أبصروا الغضب في وجهه، فلم يعودوا لمثلها، والثانية كانت سنة عشر وفيها عقد النبي له اللواء وعممه (صلى الله عليه وآله) بيده، وقال له: امض ولا تلتفت.

فمضى لوجهه راشداً مهدياً، حتى أنفذ أمر النبي، ووافاه (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع، وقد أهل بما أهل به رسول الله فأشركه (صلى الله عليه وآله) بهديه، وفي تلك المرة لم يرجف به مرجف، ولا تحامل عليه مجحف، فكيف يمكن أن يكون الحديث مسبباً عما قاله المعترضون؟ أو مسوقاً للرد على أحد كما يزعمون.

على أن مجرد التحامل على علي، لا- يمكن أن يكون سبباً لثناء النبي عليه، بالشكل الذي أشاد به (صلى الله عليه وآله) على منبر الحدائق يوم خم، إلا- أن يكون والعياذ بالله مجازفاً في أقواله وأفعاله، وهممه وعزائمهم، وحاشا قدسى حكمته البالغة، فإن الله سبحانه يقول: (إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) [١٢٩] ولو أراد مجرد بيان فضله، والرد على المتحاملين عليه، لقال: هذا ابن عمي، وصهرى وأبوولدى، وسيد أهل بيتي، فلا تؤذونى فيه، أو نحو ذلك من الأقوال الدالة على مجرد الفضل وجلالة القدر.

على أن لفظ الحديث لا- يتبادر إلى الأذهان منه إلا ما قلناه، فليكن سببه مهما كان، فإن الألفاظ إنما تحمل على ما يتبادر إلى الإفهام منها، ولا يلتفت إلى أسبابها كما لا يخفى.

وأما ذكر أهل بيته في حديث الغدير، فإنه من مؤيدات المعنى الذي قلناه، حيث قرنهم بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة لأولى الألباب، فقال: إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتى أهل بيتي.

وإنما فعل ذلك لتعلم الأمة أن لا مرجع بعد نبينا إلا إليهما، ولا معول لها من بعده إلا عليها وحسبك في وجوب إتباع الأئمة من العترة الطاهرة اقترانهم بكتاب الله عزوجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكما لا يجوز الرجوع إلى كتاب يخالف في حكمه كتاب الله سبحانه وتعالى، لا يجوز الرجوع إلى إمام يخالف في حكمه أئمة العترة، وقوله (صلى الله عليه وآله): إنهما لن ينقضيا أو لن يفترقا حتى يردا على الحوض، دليل على أن الأرض لن تخلو بعده من إمام منهم، وهو عدل الكتاب، ومن تدبر الحديث وجده يرمى إلى حصر الخلافة في أئمة العترة الطاهرة، ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض الخ...

وهذا نص في خلافة أئمة العترة (عليهم السلام).

وأنت تعلم أن النص على وجوب إتباع العترة نص على وجوب إتباع علي، وهو سيد العترة لا يدافع، وإمامها لا ينازع، فحديث الغدير وأمثاله، يشتمل على النص على تارة، من حيث أنه إمام العترة، المنزلة من الله ورسوله منزلة الكتاب، وأخرى من حيث شخصه العظيم وأنه ولي كل من كان رسول الله وليه، انتهى كلام السيد (ره).

أقول: وقد نظم الشعراء من المسلمين وغيرهم على اختلاف لغاتهم قصائد متينة فاخرة اشتهرت على مر القرون، تعطر بها المحافل والنوادي، وينشدها الغادى والبادى، ويترنم بها الموالى والمغالى، وقد ألف علماؤنا موسوعات كبيرة تتضمن الكثير من أشعارهم وقصائدهم وتراجمهم، ومن تلك الموسوعات موسوعة الغدير لشيخنا المفضل الحجة المرحوم الشيخ عبدالحسين الأمينى (قدس سره)، فلقد كانت موسوعته إحدى مصادر حديثنا في هذه الليالى.

ومن جملة الذين نظموا واقعة الغدير هو سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد قال:

محمد النبي أخى وصنوى

وحزمة سيد الشهداء عمى

وجعفر الذى يضحى ويمسى

يطير مع الملائكة ابن أمى

وبنت محمد سكنى وعرسى

منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولدای منها
فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً
على ما كان من فهمي وعلمي
فأوجب لي ولايته عليكم
رسول الله يوم غدیر خم
(الآيات بصورة أخرى).

أخرج الإمام على بن أحمد الواحدی عن أبي هريرة قال: اجتمع عدة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) منهم أبوبكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، والفضل بن العباس، وعمار، وعبد الرحمن بن عوف، وأبوذر، والمقداد، وسلمان، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم، فدخل عليهم على (عليه السلام) فسألهم فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر مناقبنا مما سمعناه من رسول الله.

فقال على (عليه السلام) اسمعوا مني ثم أنشأ يقول:

لقد علم الأناس بأن سهمي
من الإسلام يفضل كل سهم
وأحمد النبي أخى وصهرى
عليه الله صلى وابن عمى
وإنى قائد للناس طراً
إلى الإسلام من عرب وعجم
وقاتل كل صنديد رئيس
وجبار من الكفار ضخم
وفى القرآن ألزمهم ولائى
وأوجب طاعتي فرضاً بعزم
كما هارون من موسى أخوه
كذاك أنا أخوه وذاك اسمى
لذاك أقامنى لهم إماماً
وأخبرهم به بغدير خم
فمن منكم يعادلنى بسهمى
وإسلامى وسابقتى ورحمى
فويل ثم ويل ثم ويل
لمن يلقي الإله غداً بظلمى
وويل ثم ويل ثم ويل
لجاحد طاعتي ومريد هضمى

وويل للذي يشقى سفاهاً
يريد عداوتي من غير جرم
ومنهم حسان بن ثابت شاعر النبي (صلى الله عليه وآله).
ذكر طائفة كبيرة من أعلام الإمامية والسنن أنه نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً يوم غدیر خم بالخلافة قال حسان بن ثابت: يا رسول الله أقول في علي شعراً؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): افعل، فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخم وأسمع بالنبي مناديا
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه
بأنك معصوم فلا تك وانيا
وبلغهم ما أنزل الله ربهم
إليك ولا تخشى هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفه
بكف على معلن الصوت عاليا
فقال: فمن مولاكم ووليكم؟
فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا
ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني
رضيتك من بعدى إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه
فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه
وكن للذي عادى علياً معاديا
فيا رب أنصر ناصرته لنصرهم
إمام هدى كالبدر يجلو الدياجيا

فلما فرغ حسان مؤيداً من هذا القول قال له النبي (صلى الله عليه وآله): لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك.
كانت واقعة الغدير من أشهر الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعين، ولهذا روى عنهم ذلك نظماً ونثراً، ويمكن لنا أن نقول: إن ثبوت الخلافة والولاية لعلي (عليه السلام) عند الصحابة كان كثبوت نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) عند المسلمين.
ومنهم: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج، قام بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفين وقال:

قلت لما بغى العدو علينا
حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البص
رة بالأمس والحديث طويل

ويقول فيها:

وعلى إمامنا وإمام

لسوانا أتى به التنزيل

يوم قال النبي: من كنت مولا

ه فهذا مولاه خطب جليل

إن ما قاله النبي على الأمة

حتم ما فيه قال وقيل

ومنهم عمرو بن العاص العدو للددود للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فلقد أشار في قصيدته الجلجلية إلى واقعة الغدير، ومهما حاول

العدو كتمان فضائل خصمه فإن الحق قد يطفح من لسانه، قال في خطابه لمعاوية:

معاوية الحال لا تجهل

وعن سبل الحق لا تعدل

نسيت احتيالي في جلق

على أهلها يوم لبس الحل

إلى أن يقول:

نصرناك من جهلنا يا بن هند

على النبأ الأعظم الأفضل

وحيث رفعناك فوق الرؤوس

نزلنا إلى أسفل الأسفل

وكم قد سمعنا من المصطفى

وصايا مخصصة في على

وفى يوم خم رقى منبراً

يبلغ والركب لم يرحل

وفى كفه كفه معلناً

ينادى بأمر العزيز العلى

ألست بكم منكم فى النفوس

بأولى؟ فقالوا: بلى فافعل

فأنحله إمرة المؤمنين

من الله مستخلف المنحل

وقال: فمن كنت مولى له

فهذا له اليوم نعم الولى

فوال مواليه يا ذا الجلا

ل، وعاد معادى أخ المرسل

ولا تنقضوا العهد من عترتى

فقاطعهم بي لم يوصل
فبخبخ شيخك لما رأى
عُرى عقد حيدر لم تحلل
فقال: وليكم فاحفظوه
فمدخله فيكم مدخلي

إلى آخر القصيدة وهي ستة وستون بيتا.

ومن شعراء القرن الثاني الذين تطرقوا إلى واقعة الغدير هو أبوالمستهل الكميّ بن زيد الأسدي قال في عينيته:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا
وهمّ يمتري منها الدموعا
إلى أن يقول:

لدى الرحمن يصدع بالمثاني
وكان له أبوحسن قريبا
وأصفاه النبي على اختيار
بما أعىى الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدیر حُمّ
أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تبايعوها
فلم أر مثلها خطراً مبيعا
فلم أبلغ بها لعنا ولكن
أساء بذاك أولهم صنيعا
فصار بذاك أقربهم لعدل
إلى جور وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائدهم فضلّوا
وأقومهم لدى الحدّثان ريعا
تناسوا حقه وبغوا عليه
بلا ترّة وكان لهم قريبا
إلى آخر القصيدة.

ومنهم السيد إسماعيل بن محمد الحميري فقد ذكر قصة الغدير في كثير من قصائده فمنها قوله:

يا بايع الدين بدنياه
ليس بهذا أمر الله
من أين أبغضت على الوصي
وأحمد قد كان يرضاه
من الذي أحمد في بينهم

يوم غدير الخم ناداه
 أقامه من بين أصحابه
 وهم حواليه فسماه:
 هذا على بن أبي طالب
 مولى لمن قد كنت مولاه
 فوال من والاه يا ذا العلا
 وعاد من قد كان عاداه
 ومن قصائده:
 هلا وقفت على المكان المعشب
 بين الطويلع فاللوى من كبكب
 ويقول فيها:
 ويخُم إذ قال الإله بعزمه:
 قم يا محمد فى البرية فاخطب
 وانصب أباحسن لقومك إنه
 هاد، وما بلغت إن لم تنصب
 فدعاه ثم دعاهم فأقامه
 لهم، فبين مصدق ومكذب
 جعل الولاية بعده لمهذب
 ما كان يجعلها لغير مهذب
 وله مناقب لا ترام متى يرد
 ساع تناول بعضها يتذبذب
 إنا ندين بحب آل محمد
 ديناً ومن يحبهم يستوجب
 منا المودة والولاء ومن يرد
 بدلاً بآل محمد لا يجب
 ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد
 حوض الرسول وإن يرده يضرب
 إلى آخر القصيدة.
 ومن فرائده القصيدة العينية المعروفة:
 لأم عمرو باللوى مربع
 طامسة أعلامها بلقع
 إلى أن يقول:
 عجبت من قوم أتوا أحمدا

بخطبة ليس لها موضع
 قالوا له: لو شئت أعلمتنا
 إلى من الغاية والمفزع؟
 إذا توفيت وفارقتنا
 وفيهم في الملك من يطمع؟
 فقال: لو أعلمتكم مفزعاً
 كنتم عسيتم فيه أن تصنعوا
 صنيع أهل العجل إذ فارقوا
 هارون فالترك له أوسع
 وفي الذي قال بيان لمن
 كان إذا يعقل أو يسمع
 ثم أتته بعد ذا عزمه
 من ربه ليس لها مدفع:
 بلغ وإلا لم تكن مبلغاً
 والله منهم عاصم يمنع
 فعندها قام النبي الذي
 كان بما يأمر به يصدع
 يخطب مأموراً وفي كفه
 كف على ظاهر تلمع
 رافعها، أكرم بكف الذي
 يرفع والكف الذي تُرفع
 يقول والأملاك من حوله
 والله فيهم شاهد يسمع:
 من كنت مولاه فهذا له
 مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا
 فاتهموه وحنث فيهم
 على خلاف الصدق الأصلع
 وضل قوم غاظهم فعله
 كأنما آنافهم تجدع
 حتى إذا واروه في لحده
 وانصرفوا عن دفنه ضيعوا
 ما قال بالأمس وأوصى به
 واشتروا الضر بما ينفع

إلى آخر القصيدة وهي أربعة وخمسون بيتاً.

عيد الغدير

الأعياد الدينية والوطنية لها أهمية عند الأمم، وتهتم لها بمقدار تلك المناسبة من طقوس دينية وعادات وتقاليد محلية وشعبية، وأصول وقواعد تنسجم مع ذلك العيد.

ومناسبة عيد الغدير كانت ولا تزال ذات أهمية عظيمة عند الله تعالى وعند رسوله وأهل البيت (عليهم السلام) وبقية المسلمين. أما الأهمية عند الله تعالى، فهو يوم توج الله فيه علياً بالخلافة والولاية، ونزل جبرائيل من عند الله مهنتاً الرسول الأعظم بالتبليغ بقوله عز من قائل: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً). [١٣٠].

حتى روى الحافظ أبو سعيد في كتابه (شرف المصطفى) عن أحمد بن حنبل وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال يوم الغدير هنتوني، إن الله تعالى خصني بالنبوة وخص أهل بيتي بالإمامة. وعلى هذا كان كل من الشيخين: أبي بكر وعمر يهتئ علياً بقوله: (طوبى لك).

أو: بخ بخ.

أو: هنيئاً لك، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة) كما ذكره زيني دحلان في الفتوحات الإسلامية والدارقطني كما في شرح المواهب.

وقد روى فرات بن إبراهيم الكوفي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يوم غدیر خم أفضل أعياد أمتي، وهو اليوم الذي أمرني الله (تعالى ذكره) بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأمتي يهتدون به من بعدى، وهو اليوم الذي أكمل فيه الدين، وأتم على أمتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً.

واقتنى الأئمة الطاهرون نهج جداهم الرسول الأعظم في تعظيم هذا اليوم وكثرة الاهتمام به، كما روى عن فرات بن أحنف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قلت: جعلت فداك، للمسلمين عيد أفضل من عيد الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة؟ فقال لي: نعم، أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأنزل على نبيه محمد: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) قال: قلت: وأي يوم هو؟ قال: إن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصية والإمامة من بعده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً، وإنه اليوم علماً، وأنزل فيه ما أنزل.

وأكمل فيه الدين، وتمت فيه النعمة على المؤمنين.

قال: قلت: وأي يوم هو في السنة؟ فقال لي: إن الأيام تتقدم وتتأخر، وربما كان يوم السبت والأحد والاثنين إلى آخر الأيام السبعة قال قلت: فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم؟ قال: هو يوم عبادة وصلاة وشكر لله وحمد له، وسرور لما من الله به عليكم من ولايتنا، فإنني أحب لكم أن تصوموا.

والروايات في هذا الباب كثيرة جداً، وكانت ولا تزال الشيعة تجعل هذا اليوم عيداً في العراق وإيران والهند وباكستان وسوريا ولبنان وغيرها من البلاد التي يقطن فيها عدد من الشيعة.

وكانت البلاد المغربية في عهد الأدارسة والفاطميين وغيرهم تحتفل في هذا اليوم سروراً وبهجة وتشترك الحكومة والشعب في ذلك. ولكن بمرور الزمن وتطور الأحوال أصبح هذا العيد نسياً منسياً في بعض البلاد العربية الأفريقية.

وإنني أعتقد أن الاهتمام بهذا العيد أولى من بقية الأعياد، وإقامة الحفلات في هذه المناسبة السعيدة أخرى من أية مناسبة أخرى. لأن المناسبة مهمة جداً، تسترعى الانتباه والعناية والرعاية أكثر وأكثر.

على عند وفاة الرسول

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

قال الله تبارك وتعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين). [١٣١].

لقد ذكرنا من أول الشهر إلى الليلة الماضية شيئاً من اختصاص الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) برسول الله من حيث الانضمام والتربية والتأديب والتوجيه والأخوة والنفس وسائر الخصائص التي اختص بها كحديث الطائر المشوى وسد الأبواب وغير ذلك.

والليلة حديثنا حول وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وموقف الإمام من تلك الفاجعة العظمى والمصيبة الكبرى التي لم يشهد التاريخ مثلها، فقد مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة، وكان النبي ينعى نفسه إلى أصحابه وأهل بيته وزوجاته، ويخبرهم أن تلك السنة آخر سنوات حياته الشريفة المباركة، وأن شمس وجوده قد اقتربت من الغروب، ولهذا قام بتعيين الخليفة والإمام القائم مقامه، وقد تقدم الكلام في الليلة الماضية حول واقعة الغدير.

من جملة الأحكام الشرعية والتعاليم الإسلامية هو الوصية عند الإحساس بخطر الوفاة، قال الله تعالى: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية). [١٣٢].

فهل من المعقول أن يموت صاحب الشريعة الإسلامية والمقتدى لقوافل المسلمين على مر القرون والأجيال بلا وصية؟ هل يمكن أن يأمر النبي أمته بالوصية ويتركها هو؟ وعمله حجة وسنة يأخذ بها المسلمون؟ وهو القائل: (من مات بلا وصية مات ميتة جاهلية).

إن الأخبار والأحاديث والنصوص الواردة حول وصية النبي (صلى الله عليه وآله) مستفيضة متواترة، وقد زعم بعض الناس أن رسول الله مات بلا وصية وهم يبتغون من وراء هذا الافتراء تبرير مواقف بعض الأفراد، ولا يهمهم تشويه سمعة النبي والمس بكرامته والخط من مقامه.

وللمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين كلام قيم حول هذا الموضوع تقتطف منه محل الحاجة، قال تغمده الله برحمته: ونصوص الوصية متواترة، عن أئمة العترة الطاهرة، وحسبك مما جاء من طريق غيرهم في قول النبي (صلى الله عليه وآله) وقد أخذ برقبته على: (هذا أخي ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا).

رواه محمد بن حميد الرازي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لكل نبي وصي ووارث، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب (عليه السلام)). [١٣٣].

وروى الطبراني في الكبير بالإسناد إلى سلمان الفارسي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن وصيي وموضع سرى، وخير من أترك بعدى، ينجز عدتي، ويقضى ديني، علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذا نص في كونه الوصي، وصريح في أنه أفضل الناس بعد النبي، وفيه من الدلالة الإلزامية على خلافته، ووجوب طاعته، ما لا يخفى على أولى الألباب.

وأخرج أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء عن أنس، قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أنس أول من يدخل عليك هذا الباب: إمام المتقين، وسيد المسلمين.

قال أنس: فجاء علي فقام إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مستبشراً فاعتنقه وقال له: أنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدى.

وأخرج الطبراني في الكبير بالإسناد إلى أبي أيوب الأنصاري، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: يا فاطمة، أما علمت أن الله

عزوجل اطلع على أهل الأرض، فاختار منهم أباك فبعثه نبيا، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك، فأوحى إلى فأنكحته واتخذته وصيا. أنظر كيف اختار الله عليا من أهل الأرض كافة بعد أن اختار منهم خاتم أنبيائه، ونظر إلى اختيار الوصى وكونه على نسق اختيار النبي، وانظر كيف أوحى الله إلى نبيه أن يزوجه ويتخذة وصيا، وانظر هل كانت خلفاء الأنبياء من قبل إلا أوصياؤهم، وهل يجوز تأخير خيرة الله من عباده، ووصى سيد أنبيائه، وتقديم غيره عليه، وهل يمكن عقلاً أن يكون طاعة ذلك المتولى الحكم عليه، فيجعله من سوقته ورعاياه؟ وهل يمكن عقلاً أن تكون طاعة ذلك المتولى واجبة على هذا الذى اختاره الله كما اختار نبيه؟ وكيف يختاره الله ورسوله ثم نحن نختار غيره (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً). [١٣٤].

وقد تضافرت الروايات أن أهل النفاق والحسد والتنافس لما علموا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيزوج علياً من بضعة الزهراء وهى عديلة مريم وسيدة نساء أهل الجنة حسدوه لذلك وعظم عليهم الأمر.

ولا سيما بعد أن خطبها من خطبها فلم يفلح، وقالوا: أن هذه ميزة يظهر بها فضل على، فلا يلحقه بعدها لاحق ولا يطمع فى إدارته طامع، فأجلبوا بما لديهم من إرجاف وعملوا لذلك أعمالاً، فبعثوا نساءهم إلى سيدة نساء العالمين ينفرنها، فكان مما قلن لها: إنه فقير ليس له شىء، لكنها (عليها السلام) لم يخف عليها مكرهن، وسوء مقاصد رجالهن، ومع ذلك لم تبد لهن شيئاً يكرهنه، ثم ما أراد الله عزوجل ورسوله لها، وحينئذ أرادت أن تظهر من فضل أمير المؤمنين ما يخزى الله به أعداءه، فقالت: يا رسول الله زوجتنى من فقير لا مال له؟ فأجابها (صلى الله عليه وآله) بما سمعت.

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

وأخرج الخطيب فى المتفق بسنده المعتبر إلى ابن عباس، قال: لما زوج النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة من على، قالت فاطمة: يا رسول الله زوجتنى من رجل فقير ليس له شىء، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك.

وأخرج الحاكم فى مناقب على (صلى الله عليه وآله) ١٢٩ الجزء الثالث من المستدرک عن طريق سريج بن يونس، عن أبى حفص الأبار، عن الأعمش، عن أبى صالح عن أبى هريرة، قال: قالت فاطمة: يا رسول الله زوجتنى من على وهو فقير لا مال له؟ قال (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة أما ترضين أن الله عزوجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك، وعن ابن العباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما ترضين أنى زوجتك أول المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً، وأنك سيدة نساء أمتى، كما سادت مريم نساء قومها، أما ترضين يا فاطمة أن الله اطلع على أهل الأرض فاختار منها رجلين، فجعل أحدهما أباك، والآخر بعلك. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد هذا إذا ألم بسيدة النساء من الدهر لم يذكرها بنعمة الله ورسوله عليها، إذ زوجها أفضل أمتة، ليكون ذلك عزاءً لها، وسلوة عما يصيبها من طوارق الدهر، وحسبك شاهداً لهذا ما أخرجه الإمام أحمد فى ص ٢٦ من الجزء الخامس من مسنده من حديث معقل بن يسار، أن النبي (صلى الله عليه وآله) عاد فاطمة فى مرض أصابها على عهده فقال لها: كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتد حزنى واشتدت فاقتنى وطال سقمى، قال (صلى الله عليه وآله): أما ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلماً وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلاًماً. الوصية بصورة أخرى:

وصية النبي (صلى الله عليه وآله) إلى على لا يمكن جحودها، إذ لا ريب فى أنه عهد إليه بعد أن أورثه العلم والحكمة بأن يغسله، ويجهزه ويدفنه، ويفى دينه، وينجز وعده، ويؤدى دينه ويواريه فى حفرته، أخرجه الديلمى وهو الحديث ٢٥٨٣ ج ٦ من الكنز، وعن عمر من حديث قال فيه رسول الله لعلى: وأنت غاسلى ودافنى الحديث، فى ص ٣٩٣ ج ٦ فى الكنز، وفى هامش ص ٤٥ ج ٥ من مسند أحمد، وعن على: سمعت رسول الله، يقول: أعطيت فى على خمساً لم يعطها نبى فى أحد قبلى، أما الأولى فإنه يقضى دينى، ويوارينى

...

الحديث في أول ص ٤٠٣ ج ٦ من الكنز، ولما وضع على السرير وأرادوا الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله) قال على: لا يؤم على رسول الله أحد، هو إمامكم حياً وميتاً، فكان الناس يدخلون رسلاً رسلاً، فيصلون صفاً صفاً، ليس لهم إمام ويكبرون، وعلى قائم حيال رسول الله يقول: سلام الله عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزلت إليه، ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله عزوجل دينه، وتمت كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل الله إليه، وثبتنا بعده وأجمع بيننا وبينه، فيقول الناس: آمين آمين، حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان، روى هذا كله باللفظ الذي أوردناه ابن سعد عند ذكره غسل النبي من طبقاته، وأول من دخل على رسول الله يومئذ بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار ثم الناس، وأول من صلى عليه على والعباس وقفا صفاً وكبرا عليه خمساً.

إلى هنا انتهى كلام سيدنا شرف الدين رحمه الله.

بعض النصوص الواردة حول الوصية

وأما ما ذكره الشعراء في القرن الأول من المهاجرين والأنصار والتابعين حول وصاية أمير المؤمنين (عليه السلام) فلا مجال لبيان تلك الأبيات الشعرية والأراجيز التي تتضمن هذا الأمر.

والآن ننتقل إلى حديث وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقيام الإمام بإنجاز وصاياه، وقد ذكرنا فيما سبق أن علياً كان أول الناس عهداً برسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيظهر اليوم أنه كان آخر الناس عهداً به.

وفي كتاب أبي إسحاق قال: دخل أبو بكر على النبي (صلى الله عليه وآله) وقد ثقل (اشتد مرضه)، فقال: يا رسول الله متى الأجل؟ قال: قد حضر، قال أبو بكر: الله المستعان على ذلك فإلى ما المنقلب؟ قال: إلى السدرة المنتهى وجنة المأوى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والعيش المهني، قال أبو بكر: فمن يلي غسلك؟ قال رجال أهل بيتي، الأذنى فالأذنى قال: ففيما نكفناك؟ قال: في ثيابي هذه التي على أو حلة يمانية أو في بياض مصر قال: كيف الصلاة عليك؟ فارتجت الأرض بالبكاء فقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله) مهلاً، عفا الله عنكم، إذا غسلت فكفنت فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم أخرجوا عني فإن الله تبارك وتعالى أول من يصلي على ثم يأذن الملائكة في الصلاة على فأول من ينزل جبرائيل (عليه السلام) ثم إسرافيل ثم ميكائيل ثم ملك الموت (عليه السلام) في جنود كثير من الملائكة بأجمعها ثم أدخلوا على زمرة زمرة، فصلوا على وسلموا تسليمًا ولا تؤذوني وليبدأ بالصلاة على الأذنى من أهل بيتي ثم النساء ثم الصبيان زمراً.

قال أبو بكر: فمن يدخل قبرك؟ قال: الأذنى فالأذنى من أهل بيتي مع ملائكة لا ترونهم، قوموا فأدوا عني إلى من ورائكم؟ فقلت للحرث بن مرة: من حدثك هذا الحديث؟ قال: عبد الله بن مسعود.

عن علي (عليه السلام) قال: كان جبرائيل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه كل يوم وفي كل ليلة، فيقول: السلام عليك إن ربك يقرؤك السلام فيقول: كيف تجدك؟ وهو أعلم بك ولكنه أراد أن يزيدك كرامةً وشرفاً إلى ما أعطاك على الخلق، وأراد أن يكون عيادة المريض سنة في أمتك، فيقول النبي (صلى الله عليه وآله) إن كان وجعاً: يا جبرائيل أجدني وجعاً فقال له جبرائيل: اعلم يا محمد إن الله لم يشدد عليك وما من أحد من خلقه أكرم عليه منك، ولكنه أحب أن يسمع صوتك ودعاك حتى تلقاه مستوجباً للدرجة والثواب الذي أعد لك، والكرامة والفضيلة على الخلق، وإن قال له النبي (صلى الله عليه وآله) أجدني مريحاً في عافية.

قال له: فاحمد الله على ذلك فإنه يحب أن تحمد وتشكره ليزيدك إلى ما أعطاك خيراً فإنه يحب أن يحمد ويزيد من شكر.

قال: وإنه نزل عليه في الوقت الذي كان ينزل فيه فعرنا حسه فقال علي (عليه السلام): فيخرج من كان في البيت غيري؟ فقال له

جبرائيل: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويسألك وهو أعلم بك كيف تجدك؟ فقال له النبي: أجدني ميتاً.

قال له جبرائيل: يا محمد أبشر فإن الله إنما أراد أن يبلغك بما تجد ما أعد لك من الكرامة.

قال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن ملك الموت استأذن علي فأذنت له، فدخل واستنظرته مجيئك فقال له: يا محمد إن ربك إليك مشتاق فما استأذن ملك الموت علي أحد قبلك ولا يستأذن علي أحد بعدك.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): لا- تبرح يا جبرائيل حتى يعود، ثم أذن للنساء فدخلن فقال لأبنته: أدنى مني يا فاطمة فأكبت عليه فناجها، فرفعت رأسها وعيناها تهملان دموعاً فقال لها: أدنى مني فدنت منه فأكبت عليه فناجها فرفعت رأسها وهي تضحك، فتعجبنا لما رأينا فسألناها فأخبرتنا أنه نعى نفسه فبكيت فقال: يا بنية لا تجزعي فإني سألت ربي أن يجعلك أول أهل بيتي لحاقاً بي فأخبرني أنه استجاب لي فضحكت، قال: ثم دعا النبي (صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين (عليهما السلام) فقبلهما وشمهما وجعل يترشفهما وعيناها تهملان.

في علل الشرائع: عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده (عليهم السلام) قال لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة دعا العباس بن عبدالمطلب وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال للعباس: يا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضى دينه وتنجز عداته؟ فرد عليه وقال: يا رسول الله: أنا شيخ كبير كثير العيال، قليل المال، من يطيقك وأنت تبارى الريح؟ قال: فأطرق هنيهة ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث رسول الله وتنجز عداته وتؤدي دينه.

فقال: بأبي أنت وأمي أنا شيخ كبير كثير العيال قليل المال، من يطيقك وأنت تبارى الريح؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما إنني سأعطيها من يأخذ بحقتها.

ثم قال: يا علي يا أخا محمد أتجزع عداة محمد وتقضى دينه وتأخذ تراثه؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي.

فجزع خاتمه من إصبه فقال: تختم بهذا في حياتي فوضعه علي (عليه السلام) في إصبه اليمنى فصاح رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بلال علي بالمغفر والدرع والراية وسيفي: ذي الفقار وعمامتي: السحاب والبرد والأبرقة والقضيب.

فقال: يا علي أن جبرائيل أتاني بها.

فقال: يا محمد إجعلها في حلقة الدرع واستوفر بها مكان المنطقة ثم دعا بزوجي نعال عربيين إحداهما مخصوفة والأخرى غير مخصوفة، والقميص الذي اسرى به فيه، والقميص الذي خرج فيه يوم أحد والقلائس الثلاث قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين وقلنسوة كان يلبسها.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بلال علي بالبعلة والبدل والناقطين: العصابة والصهباء والفرسين الجناح الذي كان يوقف بباب مسجد رسول الله لحوائج الناس، يبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الرجل في حاجته فيركبه وحيزوم وهو الذي يقول أقدم حيزوم. والحمار اليعفور.

ثم قال: يا علي إقبضها في حياتي حتى لا ينازعك فيها أحد بعدى.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مرضه الذي قبض فيه لفاطمة (عليها السلام) بأبي وأمي أنت!!! أرسلني إلى بعلك فادعني لي.

فقال فاطمة للحسين (عليه السلام): إنطلق إلى أبيك فقل: يدعوك جدى.

فانطلق إليه الحسين فدعاه فأقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفاطمة (عليها السلام) عنده وهي تقول: واكرباه لكربك يا أبتاه.

فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا كرب علي أبيك بعد اليوم يا فاطمة، إن النبي لا يشق عليه الجيب، ولا يخمش عليه الوجه،

ولا يدعى عليه بالويل ولكن قولى كما قال أبوك على إبراهيم: تدمع العينان وقد يوجع القلب ولا نقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ولو عاش إبراهيم لكان نبياً.
ثم قال يا على أذن منى.
فدنا منه فقال أدخل أذنك فى فى.
ففعل.

فقال: يا أخى ألم تسمع قول الله تعالى فى كتابه (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)؟ [١٣٥] قال: بلى يا رسول الله.

قال: هم أنت وشيعتك يجيئون غراً محجلين، شباعاً مرويين، أولم تسمع قول الله فى كتابه (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية)؟ [١٣٦].
قال: بلى يا رسول الله.

قال: هم أعدائك وشيعتهم، يجوزون يوم القيامة ظماء مظمئين، أشقياء معذبين، كفار منافقين، ذلك لك ولشيعتك، وهذا لعدوك ولشيعتهم.

ولما حضره الموت كان أمير المؤمنين (عليه السلام) حاضراً عنده فلما قرب خروج نفسه (صلى الله عليه وآله) قال له: ضع يا على رأسى فى حجرى فقد جاء أمر الله تعالى فإذا فاضت نفسى فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهنى إلى القبلة وتول أمرى وصل على أول الناس، ولا تفارقتى حتى توارينى فى رمسى، واستعن بالله تعالى.

فأخذ على (عليه السلام) رأسه فوضعه فى حجره فأغمى عليه فأكبت فاطمة (عليها السلام) تنظر فى وجهه وتندبه وتبكي وتقول:
وأبيض يستقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة الأرامل

ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينه، وقال بصوت ضئيل: يا بنيء هذا قول عمك أبى طالب لا تقولى ولكن قولى (وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم) [١٣٧] فبكت طويلاً وأوماً إليها بالذنو منه فدنت منه فأسر إليها شيئاً تهلل وجهها له.

ثم قبض (صلى الله عليه وآله) ويد أمير المؤمنين (عليه السلام) تحت حنكه ففاضت نفسه (صلى الله عليه وآله) فيها فرفعها إلى وجهه فمسح بها، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره واشتغل بالنظر فى أمره.

وقال جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى إلى على (عليه السلام) أن لا يغسلنى غيرك فقال على (عليه السلام): يا رسول الله من يناولنى الماء؟ إنك رجل ثقيل لا- أستطيع أن أقبلك؟ فقال: جبرائيل معك يعاونك، ويناولك الفضل الماء، وقل له فليغمض عينيه، فإنه لا أحد يرى عورتى غيرك إلا انفقت عيناه.

كان الفضل بن العباس يناوله الماء وجبرائيل يعاونه، وعلى يغسله، فلما أن فرغ من غسله وكفنه أتاه العباس فقال: يا على إن الناس قد اجتمعوا على أن يدفن النبى (صلى الله عليه وآله) فى بقيع المصلى، وأن يؤمهم رجل منهم، فخرج على إلى الناس فقال: يا أيها الناس: أما تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إمامنا حياً وميتاً؟ وهل تعلمون أنه (صلى الله عليه وآله) لعن من جعل القبور مصلى؟ ولعن من يجعل مع الله إلهاً؟ ولعن من كسر رباعيته وشق لثته؟ فقالوا: الأمر إليك فاصنع ما رأيت.

فقال: إنى أدفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى البقعة التى قبض فيها.

ثم قام على الباب فصلى عليه ثم أمر الناس عشرة عشرة يصلون عليه ثم يخرجون.

لما أراد أمير المؤمنين (عليه السلام) غسل الرسول (صلى الله عليه وآله) استدعى الفضل بن العباس فأمره أن يناوله الماء لغسله فغسله

بعد أن عصب عينيه، ثم شق قميصه من قبل جيبه حتى بلغ إلى سرتة وتولى (عليه السلام) غسله وتحنيطه وتكفينه والفضل يعطيه الماء ويعينه عليه فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فضلى عليه وحده، ولم يشترك معه أحد في الصلاة عليه، وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم بالصلاة عليه، وأين يدفن، فخرج إليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال لهم: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إمامنا حياً وميتاً فيدخل عليه فوج بعد فوج منكم فيصلون عليه بغير إمام، وينصرفون، وإن الله تعالى لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإنى لدافنه في حجرته التي قبض فيها.

فسلم القوم لذلك ورضوا به، ولما صلى المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبدالمطلب برجل إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح، وكان ذلك عادة أهل مكة، وأنفذ (أرسل) إلى زيد بن سهل وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد، فاستدعاهما وقال: اللهم خرنبيك.

فوجد أبوطلحة فقيلاً له: احفر لرسول الله.

فحفر له لحداً، ودخل أمير المؤمنين والعباس بن عبدالمطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد ليتولوا دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنادت الأنصار من وراء البيت: يا على إن نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يذهب، أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال ليدخل أنس بن خولى وكان بدرياً فاضلاً من بنى عوف من الخزرج، فلما دخل قال له على (عليه السلام) انزل القبر.

فتزل ووضع أمير المؤمنين رسول الله (صلى الله عليه وآله) على يديه ودلاه في حفرته، فلما حصل في الأرض قال له أخرج.

فخرج ونزل على (عليه السلام) إلى القبر، فكشف عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووضع خده على الأرض موجهاً إلى القبلة على يمينه ثم وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب.

وكان (عليه السلام) يرثى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقول:

الموت لا والدأ يبقى ولا ولد

هذا السبيل إلى أن لا ترى أحد

هذا النبي ولم يخلد لأمته

لو خلد الله خلقاً قبله خلد

اللموت فينا سهام غير خاطئة

من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

وكان (عليه السلام) يصلح قبر رسول الله بمسحاته، وكانت وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة العاشرة من الهجرة كما هو مشهور عند أهل بيته عليهم و(عليه السلام).

على في مصيبة الزهراء

كانت مصيبة وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) من أوجع الفجائع على قلب على (عليه السلام) ولولا إيمان على وصبره على المصيبة لمات حزناً في تلك المأساة، إذ ما فارق الحزن قلب على (عليه السلام) حتى فارق الحياة، فسرعان ما ابيضت لحيته الكريمة فقيلاً له: لو غيرت شبيك يا أمير المؤمنين.

فقال (عليه السلام): الخضاب زينته ونحن قوم في مصيبة.

يريد بها وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولم يختضب الإمام طيلة أيام حياته لهذا السبب ولأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبره بخضاب خاص، فقد روى ابن نباتة قال:

قلت لأمير المؤمنين (عليه السلام): ما منعك من الخضاب وقد اختضب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: أنتظر أشقاها أن يخضب لحيته من دم رأسى، بعهد معهود أخبرنى به حبيى رسول الله.

ولما فارق النبى الحياة وهو بعد لم يدفن اجتمع الناس فى موضع يقال له (السقيفة) وقد رشح سعد بن عبادة نفسه للإمارة وهو سيد الخزرج، وأسيد بن حصين أو بشير بن سعد قد رشح نفسه أيضاً لأنه سيد الأوس، وبين الأوس والخزرج عداة وتنافس قديم. ودخل أبوبكر وعمر وأبو عبيدة فى ذلك المجتمع واستمعوا إلى كلام المرشحين للإمارة والرئاسة، وتكلم أبوبكر ودعا الناس إلى عمر أو أبى عبيدة، وامتنع الرجلان أن يتقدما أبابكر لأنه صاحب الغار، وجرى كلام ونزاع طويل واصطدام عنيف فيما بين المهاجرين والأنصار وبين أبى بكر وأهل السقيفة، حتى آل الأمر إلى التهديد والشتيم.

وهنا انتهز رئيس الأوس الفرصة، وتضعيفاً لجانب سعد بن عبادة (منافسه) وافق على تأمير أبى بكر، وضم صوته إلى صوت عمر وأبى عبيدة وقال: أنا ثالثكم.

ولما رأى الأوس سيدهم انحاز إلى تلك الناحية اتبعوا رئيسهم، وأقبلوا إلى أبى بكر وبايعوه، وكاد سعد بن عبادة يموت تحت الأقدام، فصاح قتلتمونى.

فصاح عمر: اقتلوا سعداً قتله الله.

وهكذا وقع الانتخاب، وبويع لأبى بكر بالخلافة، وذهبت مساعى النبى (حول تعيين الخليفة) أدراج الرياح، وصارت تلك الجهود هباء منثوراً.

وحدثت حوادث مؤلمة مشجية لا نذكرها تحفظاً على العواطف أن تخدش، وإن كانت تلك الحوادث مذكورة فى الآلاف المؤلفة من كتب الحديث والتاريخ، ومشهورة عند المسلمين.

ونذكر جملة عن موقف الإمام فى ذلك العهد: فلقد أخذوا البيعة من الناس لأبى بكر، وجاؤا إلى على ليخرجه من البيت ليبيع لأبى بكر فلم تأذن لهم فاطمة بالدخول فى بيتها، فصدر الأمر بالهجوم فهجموا وأخذوا عليها بعد أن خلعوا عنه سلاحه وأخرجوه من البيت يريدون به المسجد، وخرجت فاطمة خلفهم وهى بأشد الأحوال، إذ إنها أجهضت جنينها فكانها نسيت آلامها فجعلت تعدو وتصيح: خلوا عن ابن عمى؟ خلوا عن بعلى! والله لأكشفن عن رأسى ولأضعن قميص أبى على رأسى وأدعوا عليكم!!!

ووصلت إلى باب المسجد فرأت منظراً مؤلماً لا نستطيع أن نصفه إلا إنها استطاعت أن تخلص زوجها من أيدى الناس وتحول بينهم وبين أخذ البيعة منه، ورافقت زوجها إلى البيت سالماً.

أظلمت الدنيا فى عين على (عليه السلام) وضاعت عليه الأرض بما رحبت، لأنه فقد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ومصيبة النبى أعظم مصيبة على قلب كل أحد، ولم تنته الكارثة، فقد خيمت الأحزان على بيت على، وانقلب البيت إلى مجلس عزاء وحزن وبكاء، فلقد كانت الصديقة الطاهرة لا تفارق البكاء على وفاة أبيها وعلى مصائبها ونوائبها التى استولت على قلبها المجروح، ولم تجد من الناس أى تعزية وتسلية.

ومما زاد فى حزنها إخراج أراضيتها (فدك) من يدها وهناك قضايا وقضايا ساعدت على انحراف صحة فاطمة، واشتداد علتها واستيلاء الهزال عليها، فكانت تبكى ليلها ونهارها، ومنعوها عن البكاء، فكانت تخرج إلى قبر حمزة سيد الشهداء أو إلى البقيع أو إلى بيت بناه لها أمير المؤمنين خارج المدينة وسماه (بيت الأحزان) وعاشت بعد أبيها مظلومة مهضومة باكية العين محترقة القلب منهدة الركن معصبة الرأس حليفة الفراش عليه مريضة.

ودخل عليها على (عليه السلام) قبل وفاتها فوجدها تغسل ثياب أولادها وتغسل رؤوسهم فسألها عما دعاها إلى العمل المجهد؟ فقالت: يا ابن عم إنه قد نعت إلى نفسى، وإننى لا أرى ما بى إلا أننى لاحقة بأبى، ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء فى قلبى.

قال لها على (عليه السلام): أوصينى بما أحببت يا بنت رسول الله.

فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثم قالت: يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني!!! قال على (عليه السلام): معاذ الله! أنت أعلم بالله، وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي، وقد عز على مفارقتك وفقدك، إلا إنه أمر لا بد منه، والله لقد جددت على مصيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها!! هذه والله مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً، وأخذ على رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أوصيني بما شئت، فإنك تجديني وفيأ، أمضى كل ما أمرتني به وأختار أمرك على أمري.

فقالت: جزاك الله عنى خير الجزاء، يا ابن عم أوصيك أولاً: أن تتزوج بعدى بإبنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدى مثلى، فإن الرجال لا بد لهم من النساء.

أوصيك يا ابن عم: أن تتخذ لى نعشاً فقد رأيت الملائكة صوروا لى صورته، فقال لها: صفيه لى. فوصفته، فاتخذها لها.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني فإنهم عدوى وعدو رسول الله، ولا تترك أن يصلى على أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار. إلى آخر وصاياها...

ثم فارقت روحها الحياة، وانتشر الخبر، فصاح أهل البيت صيحة واحدة، واجتمعت نساء بنى هاشم في دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهن.

وازدحم الناس على باب بيت الإمام ينتظرون خروج الجنازة، فخرج أبوذر ونادي: 'نصرفوا فإن ابنه رسول الله قد أُخر إخراجها هذه العشيّة.'

فتفرق الناس، وجن الليل، ومضى شطر منه، فقام على (عليه السلام) وغسل أبنة رسول الله من على ثيابها وحنطها بفاضل حنوط أبيها رسول الله وكنفها في أكنافها، ثم أرسل إلى عمار والمقداد وسلمان وأبي ذر وعقيل والزبير وبريدة ونفر من بنى هاشم فلما حضروا صلى عليها على ودفنوها، ولم يعلم أحد حتى اليوم أين دفنوها؟ ولا يعرف أحد موضع قبرها، ففي البقيع قبر ينسب إليها، وبين منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقبره قول عند المحدثين، والله العالم بموضع قبرها، وسيبقى قبرها مجهولاً عند الناس إلى يوم القيامة. ولعل في هذا الكتمان أسراراً تستدعي انتباه المسلمين للتحري عن السبب المبرر لتلك الوصية، ولعل هذا الإخفاء رمز يرمز إلى معاني وأمور يعرفها الفطن الذكي.

وقد اختلف المسلمون في المدة التي عاشت فيها فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقيل: عاشت بعد أبيها أربعين يوماً، أو خمساً وسبعين يوماً، أو خمساً وتسعين يوماً، أو ستة أشهر، وفارقت الحياة وكانت أول أهل البيت لحوقاً بالنبي (صلى الله عليه وآله).

انهد ركنا الإمام بفقد الزهراء سيده النساء وازدادت مصيبته بأطفاله الأربعة (الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم) الذين فقدوا أمهم في عنفوان شبابها بعد أن فجعوا بجدهم البار العطف الذي كان يمطر عليهم حنانه الأبوي ويشملهم عطفه النبوي.

ومما زاد في أحزان الإمام وبلغ به الاضطهاد أقصى درجة هو تنفيذ وصايا فاطمة بصورة سرية، كمباشرته تغسيلها وتحنيطها وتكفينها والصلاة عليها ودفنها سرّاً لا جهاراً وليلاً لا نهاراً، وإخفاء موضع قبرها، وغير ذلك من الأمور التي كان من الصعب المستصعب على قلب الإمام تنفيذها وإنجازها.

فقد ماتت فاطمة ودفنت كأنها امرأة غريبة لا يعرفها أحد، وكأنها ليست ببضعة رسول الله وحيبته، وأبنته الوحيدة!! وكان الإمام (عليه السلام) يتجلد في تلك المصيبة رعاية لتمامي فاطمة، إلى أن دفنها في تلك الساعة من تلك الليلة وهو يحاول أن لا يطلع عليه

أحد، فيكون سبباً للحيلولة دون تطبيق وصايا فاطمة وتنفيذها، إلى أن أدى جميع الوصايا كما ينبغي، فلما نفص يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقره عينك وزائرتك والباثئة في الثرى ببقعتك، النازلة بجوارك، المختار لها الله سرعه اللحاق بك قل يا رسول الله عن صفيتك صبرى وضعف عن سيده الناس تجلدى، إلا أن لى فى التأسى بستتك والحزن الذى حلّ بى لفراقك موضع التعزى ولقد وسدتك فى ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدرى، وغمضتكم بيدي، وتوليت أمرك بنفسى. نعم، وفى كتاب الله أنعم القبول، وإنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعه، وأخذت الرهينه، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء!! يا رسول الله: أما حزنى فسرمد، وأما ليلى فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبى، أو يختار الله لى دارك التى فيها أنت مقيم، كمدّ مقتيح وهمّ مهيج، سرعان ما فرق الله بيننا، إلى الله أشكوا، وستنبئك أبتك بتظاهر أمتك على، وعلى هضمها حقها، فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بته سبيلاً، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام عليك يا رسول الله، سلام مودّع لا سئيم ولا قال، فإن أنصرف فلا عن ملاله، وإن أقم فلا عن سوء ظنى بما وعد الله مع الصابرين، والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبه المستولين علينا، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، والتلبث عنده عكوفاً، ولأعولت إعوالم الشكلى على جليل الرزيه، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذكر، وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته.

ثم جعل يقول:

أرى علل الدنيا على كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذى دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل
وينسب إليه (عليه السلام) هذان البيتان:
نفسى على زفرتها محبوسه
يا ليتها خرجت مع الزفرت
لا خير بعدك فى الحياة وإنما
أبكى مخافة أن تطول حياتى

زواج على بعد فاطمة

إضطر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة سيده نساء العالمين أن يبادر إلى إختيار زوجة تقوم بشؤون أيتام الإمام الذين فقدوا أمهم فى عنفوان شبابها فقدوها وهم براعم صغار لم تتفتح بعد، إذ كان الإمام الحسن وهو أكبر أولاد الإمام عمره يومذاك سبع سنوات وشهوراً وكان الإمام الحسين أصغر منه بستة أشهر وأيام وكذلك السيدة زينب وأختها أم كلثوم هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت الزهراء قد أوصت يوم وفاتها أن يتزوج على (عليه السلام) بالسيدة أمامة وهى حفيده رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ أنها كانت بنت زينب بنت رسول الله، وتنفيذاً لهذه الوصيه بادر الإمام إلى الزواج بأمامه بعد تسعة أيام من وفاة الزهراء كما ذكر ذلك الشيخ المفيد وروى عنه المجلسى فى التاسع من البحار.

كلام حول أزواج الإمام وأولاده

وبالمناسبة لا بأس أن نذكر شيئاً مما يتعلق بعدد زوجات الإمام وأولاده فنقول: كان له (عليه السلام) سبعة وعشرون من الأولاد ذكوراً وإناثاً:

١-٤ الإمام الحسن والإمام الحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم، وأمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٥ محمد بن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر.

٦-٧ عمر ورقية، وكانا توأمين، وأمهما الصهباء، ويقال أم حبيب التغلبية.

٨-١٢ أبو الفضل العباس وجعفر وعثمان وعبدالله، وأمهم فاطمة أم البنين بنت حزام بن خالد الكلابية، استشهدوا يوم الطف في نصره الحسين (عليه السلام).

١٣-١٤ يحيى وعون وأمهما أسماء بنت عيسى الخثعمية.

١٥-١٦ محمد الأصغر المكنى أبابكر، وعبيدالله وأمهما: ليلي بنت مسعود الدارمية وقتلا يوم الطف.

١٧-٢٠ خديجة وأم هانى وميمونة وفاطمة وأمهن: أم ولد جارية.

٢١-٢٢ أم الحسن ورملة وأمهما: أم شعيب الدارمية وقيل: أم سعيد وقيل: أم مسعود المخزومية.

٢٣-٢٧ نفيسة وزينب الصغرى وأم سلمة وأم الكرام وجمانة لأمهات شتى.

وأما أولاده الذين أعقبوا فهم خمسة: الحسن والحسين (عليهما السلام) ومحمد بن الحنفية والعباس وعمر، ومات عدد من الأولاد والبنات في أيام حياة الإمام (عليه السلام).

ولم يتزوج على (عليه السلام) ما دامت الزهراء كانت على قيد الحياة كرامة لها، كما أن رسول الله لم يتزوج ما دامت خديجة على قيد الحياة، ولعل السبب في عدم تزويج على في حياة فاطمة الزهراء هو قول الرسول (صلى الله عليه وآله): من آذاها فقد آذاني.

هذا والمعروف: أن علياً تزوج بعد وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأربع حرائر وملك عشر إماء وقد روى في المناقب عن الشيخ المفيد (عليه الرحمة) أن أولاده خمسة وعشرون وربما يزيدون على ذلك إلى خمسة وثلاثين.

على جليس البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى على سيد أنبياء الله محمد وآله آل الله.

حدثنا الليلة حول الفترة التي انقضت على أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو جليس البيت، مسلوب الإمكانات، وقد ابتدأت تلك الفترة من يوم وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) واستيلاء أبي بكر على مسند الحكم، ولما انقضت أيام أبي بكر أوصى من بعده إلى عمر بن الخطاب فكانت أيام حكمه عشر سنوات وشهوراً، ولما طعن عمر وأحس بالوفاة جعل الخلافة شورى، وشرح ستة من الصحابة وأمرهم أن ينتخبوا واحد من أنفسهم وإليكم التفصيل: لما علم عمر بن الخطاب بأنه ميت استشار الناس حول تعيين الخليفة، فأشير عليه بابنه: عبدالله بن عمر، فقال عمر: لاها الله لا يليها رجلان من ولد الخطاب! حسب عمر ما احتقب، لاها الله! لا أتحملها حياً وميتاً.

ثم قال: عن رسول الله مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قريش: على، عثمان، طلحة، الزبير، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم إماماً.

ثم التفت عمر إلى هؤلاء الستة وقال: أكلكم يطمع في الخلافة؟ فسكتوا، فقال لهم ثانية فقالوا: وما الذى يبعثنا منها؟ وليتها أنت فقلت

بها ولسنا دونك في قريش، ولا في السابقة ولا في القرابة.

فقال عمر: أفلا أخبركم عن أنفسكم؟ قالوا: قل، فإننا لو استعفيناك لم تعفنا، فالتفت عمر إلى الزبير وذكر عيوبه ثم التفت إلى طلحة وذكر سوابقه السيئة ثم التفت إلى سعد بن أبي وقاص وذكره بنقائصه، وخاطب عبدالرحمن بن عوف قائلاً: إنك رجل عاجز تحب قومك!! ثم التفت إلى علي وقال: وأما أنت يا علي فلو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم، فقام علي وخرج فقال عمر: والله إنني لأعلم مكان الرجل، لو وليتموه أمركم لحملكم على المحجة البيضاء.

قالوا: من هو؟ قال: هذا المولى من بينكم.

قالوا فما يمنعك من ذلك؟ قال: ليس إلى ذلك من سبيل.

وفي رواية ابن أبي الحديد: ثم أقبل على علي (عليه السلام) فقال: لله أنت!! لولا دعاية فيك أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء.

ثم أقبل عمر على عثمان وقال: أما أنت يا عثمان فوالله لو روثه خير منك!! هؤلاء الذين مات رسول الله وهو راض عنهم!! وقد ذكرنا ما يتعلق بهذا الموضوع في الجزء الأول من شرح نهج البلاغة.

التفت عمر وقال: ادعوا لي بأطلحة الأنصاري.

فدعوه فقال له: أنظر يا بأطلحة إذا عدتم من حفرتي (دفني) فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء نفر الستة بامضاء هذا الأمر وتعجيله، واجمعهم في بيت واحد، فإن اتفق خمسة منهم وأبى واحد فاضرب عنقه! وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما! وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن بن عوف فارجع إلى ما اتفقت عليه!!! فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم!!! كان هذا هو القرار الصادر بحق الستة الذين مات رسول الله وهو راض عنهم!!! ومات عمر، ولما دفن، جمع أبو طلحة المرشحين للخلافة في بيت عائشة، ووقف هو على باب البيت في خمسين رجلاً حاملي سيوفهم ولما استقر المجلس بهؤلاء الستة وقبل الشروع في الكلام نادى عمار بن ياسر من وراء الباب: إن وليتموها علينا وأطعنا، وإن وليتموها عثمان سمعنا وعصينا، فقام الوليد بن عقبة وقال: يا معشر الناس: أهل الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا، وإن وليتموها علي سمعنا وعصينا.

فانتهره عمار وقال له: متى كان مثلك يا فاسق يعترض أمور المسلمين وشتات جمعها؟؟.

وتسابا جميعاً وتناوشا حتى حيل بينهما.

فقال المقداد من وراء الباب: يا معشر المسلمين إن وليتموها أحد من القوم فلا تولوها من لم يحضر بداراً، وانهزم يوم أحد ولم يحضر بيعة الرضوان، وولى الدبر يوم التقى الجمعان فقال عثمان: أما والله لئن وليتها لأردنك إلى ربك الأول!!! أما طلحة فإنه كان يعلم أن الخلافة لا تصل إليه مع وجود أمير المؤمنين (عليه السلام) وعثمان، فلهذا أشهد القوم على نفسه: أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان، وإنما فعل ذلك تقويةً لجانب عثمان.

وأما الزبير فكان ابن عم أمير المؤمنين ولما رأى ما صنعه طلحة لعثمان وهب هو حقه من الشورى إلى أمير المؤمنين فقال: أنا أشهدكم أنني قد وهبت حقي من الشورى لعلي.

فتساوى الجانبان ولكل منهما صوت واحد، فبقى عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، فوهب سعد حقه لعبد الرحمن بن عوف لأن سعداً كان يعلم أن الخلافة لا تتم له.

فقال عبدالرحمن لأمر المؤمنين وعثمان: أيكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟؟ فلم يتكلم منهما أحد، فقال عبدالرحمن: أشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدهما.

فبدأ بعلي (عليه السلام) وقال له: (أبايعك على كتاب الله وسنة النبي وسيرة الشيخين: أبي بكر وعمر) فقال علي بل على كتاب الله وسنة

النبي واجتهاد رأيي.

فعدل عبدالرحمن عنه، فعرض ذلك على عثمان فقال: نعم.

فعاد عبدالرحمن إلى علي، فأعاد علي قوله، فعل ذلك عبدالرحمن ثلاث مرات فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله وأن عثمان ينعم له بالإجابة صفق علي يد عثمان وقال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فقال علي (عليه السلام) لعبد الرحمن بن عوف: والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجي صاحبكما من صاحبه.

ثم دعى عليه وقال: دق الله بينكما عطر منشم.

أشار (عليه السلام) إلى سبب تقديم عبدالرحمن عثمان على علي (عليه السلام) وذكر أن السبب في بيعه عبدالرحمن لعثمان كالسبب في بيعه عمر لأبي بكر أي كما أن عمر بايع أبا بكر يوم السقيفة ليرد أبو بكر الخلافة إليه عند موته فدعى عليهما أن يفسد ما بينهما، لأن منشم بكسر الميم اسم امرأة عطارة بمكة وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم حتى صار يضرب به المثل فيقال أشأم من عطر منشم.

واستجاب الله دعاء الإمام (عليه السلام) ففسد بعد ذلك بين عبدالرحمن وعثمان فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبدالرحمن.

لأن عثمان بنى قصره (طمار) والزوراء، وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه فكان فيهم عبدالرحمن، فلما نظر إلى البناء والطعام قال: يا ابن عفان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك، وإنني أستعيذ بالله من بيعتك فغضب عثمان وقال: أخرجه عنى يا غلام، فأخرجوه، فأمر عثمان الناس أن لا يجالسوه..

وللإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) احتجاج مفصل في يوم الشورى المذكور في (كتاب الاحتجاج للطبرسي) يذكر فيه فضائله وفواضله ومناقبه وخصائصه وينشد الناس ذلك فيحلف له الناس على صدق كلامه وقد اشتهر بحديث المناشدة ورعايته للاختصار لم نذكره.

هذه خلاصة يوم الشورى وقد ذكرناها كما هي بدون أي تعليق ولما انتقلت الخلافة إلى عثمان بن عفان واشتروا عليه العمل بكتاب الله وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرة الشيخين فما مضت مدة وإذا به يخالف الكتاب والسنة والشيخين فكان من أعماله أنه ضرب عمار بن ياسر ضرباً شديداً، وضربه برجليه وهما في الخف على بطنه حتى أفتق عمار وأغمى عليه وما زال مغمى عليه حتى فاتته صلاة الظهر والعصر والمغرب، وأمر بتسيير أبي ذر إلى الشام ثم أمر بإرجاعه إلى المدينة فساروا به سيراً حثيثاً بلا نزول ولا راحة ولا نوم فلما وصل إلى المدينة، تناثر لحم فخذه ورجليه، وبعد ذلك أمر بتسفيره إلى الربدة وهي منطقة رديء الماء والهواء لا زرع فيها ولا كلاء فمات أبوذر هناك جوعاً ولم يحضره أحد سوى ابنته الصغيرة.

ومنها إحراقه المصاحف (القرائين) ومنها ضربه عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل وقطعه عطاءه مدة سنتين.

ومنها تسليط أقاربه وأرحامه على رقاب المسلمين يلعبون بدمائهم وأموالهم، ويصلون بالمسلمين في حالة السكر، ويتقيئون الخمر في المحراب.

ومنها أنه بذل من بيت مال المسلمين أربع ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار (٤.٣١٠.٠٠٠) ومائة وستة وعشرين مليون وسبع مائة وسبعين ألف درهم (١٢٦.٧٧٠.٠٠٠) كل ذلك من بيت مال المسلمين وهبها لأبن الزرقاء الزانية مروان بن الحكم ونظرائه من أقارب عثمان وبناته، إلى غير ذلك من المآسى التي يطول الكلام بذكرها.

فأحدثت أعماله في قلوب المسلمين ثورة ونقمة وفي طليعة الناقلين عليه عائشة وطلحة والزبير وغيرهم من المسلمين.

ولهذا كانت عائشة تحرض الناس على عثمان وتخرج قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله) على قصبه وتقول: أيها المسلمون إن عثمان غير سنة رسول الله وهذا ثوبه لم يبيل بعد!!

واجتمع المسلمون من مصر والبصرة والكوفة وقصدوا نحو المدينة يريدون مقابلة عثمان، فجاء إليهم مروان وقابلهم بالكلام الخشن وأجابوه بالسب والشتم، واستمر الثوار يحاصرون دار عثمان، وفي تلك الأيام خرجت عائشة إلى الحج وهي تقول: اقتلوا نعتلاً قتله الله،

أقتلوا نعتلاً فقد كفر.

لم يستطع الثوار أن يقبلوا عثمان إلا بعد أن تدخل على (عليه السلام) في القضية وبذل ما في وسعه للإصلاح بين عثمان والثوار. فذهبت المساعي أدراج الرياح وكتب عثمان إلى والي مصر يأمره بقطع الأيدي والأرجل من بعض الثائرين بعد أن وعدهم أن ينزل عند رغبتهم ويلبى طلباتهم القانونية وحقوقهم المشروعة، فرجع الثوار وتفرقوا راضين عن عثمان وفي أثناء الطريق وجدوا غلام عثمان ففتشوه فوجدوا عنده ذلك الكتاب فرجعوا وقد أخذ الغضب منهم مأخذاً عظيماً، ولما علم على (عليه السلام) بذلك انسحب عن الفتنة، واقترب الثوار من دار عثمان ومنعوا أحداً يدخل عليه أو يخرج من بيته، فصعد عثمان على السطح وقال: من يبلغ علياً ليرسل لنا الماء.

فوصل الخبر إلى على فأرسل ولديه الحسن والحسين وغلامه فنبر يحمل كل واحد منهم قربة من الماء. وأراد الثوار أن يمنعوهم من الدخول، ولكن كرامة لرسول الله أذنوا لهم بإيصال الماء إلى عثمان، وأمر على (عليه السلام) ولديه أن يقفا على باب عثمان يحرسانه من هجوم الثوار عليه. وأخيراً وجد المحاصرون طريقاً إلى دار عثمان من الدار المجاورة له وهجموا عليه يقدمهم محمد بن أبي بكر وقتلوا عثمان فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان موقف على (عليه السلام) مقابل أعمال عثمان موقف المصلح الناصح الشفيق، وكثيراً ما كان الإمام يحول بينه وبين تصرفاته غير المرضية، وخاصة في تلك الأيام الأخيرة استطاع الإمام بعد شق الأنفس أن يرفع سوء التفاهم بين عثمان والثوار المصريين والبصريين والكوفيين، ويلطف الجو، ووجد لهم حلاً صحيحاً يحسم نزاعهم ويعيد المياه إلى مجاريها.

ورجع الثوار إلى بلادهم راضين شاكرين لعلى (عليه السلام) موقفه الإصلاحى في قضيتهم ومشكلتهم، ولما وجدوا كتاب عثمان بيد غلامه رجعوا إلى المدينة فأرسل عثمان إلى على يطلب منه التدخل في القضية فخرج على والتقى بالثوار وسألهم عن سبب رجوعهم فأبروزا كتاب عثمان وفيه يأمر عثمان بقطع أيدي المصريين وأرجلهم وقتل جماعة آخرين! فجاء بهم على وأدخلهم على عثمان وأبرز له ذلك الكتاب، فلما نظر إليه عثمان قال: الخاتم خاتمي، والغلام غلامي، والخط خط كتابتي، ولا علم لي بالكتاب!! فقال له الإمام (عليه السلام): فمن تتهم؟ قال عثمان لعلى (عليه السلام) أتهمك وأتهم كاتبى!! فقام على مغضباً وقال: بل هو فعلك.

واعترل الإمام تلك الفتنة، ولما استسقاها عثمان أرسل على (عليه السلام) سيدي شباب أهل الجنة ابني رسول الله الحسن والحسين يحملان الماء إلى دار عثمان ويحرسانه من تلك الفتنة.

وقد تقدم كل هذا، ومع هذا كله وغير هذا مما لم نذكره هنا كان أعداء على يتهمونه بقتل عثمان ويطلبون منه الثأر، فأقاموا المجازر والمذابح التي أمطرت السماء فيها دماً، وكاد العرب أن ينقرض، ولقد بلغ عدد القتلى والضحايا في هذه الحرب أكثر من مائة وستين ألف رجل ولا تسأل عن عوائل هؤلاء وأيتامهم وما هناك من ويلات ومصائب والتفصيل في الليلة القادمة إن شاء الله تعالى.

على يوم الجمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

انتهى الكلام في الليلة الماضية حول وفاة عثمان، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً.

اجتمعت الصحابة بعد مقتل عثمان في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتشاوروا في أمر الإمامة، فأشار بعضهم بعلى (عليه السلام) وهم: عمار بن ياسر وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان وغيرهم، فذكروا سابقه على (عليه السلام) وفضله جهاده، فأجابهم الناس إليه، فقام كل واحد منهم خطيباً يذكر فضل على، فمنهم من فضله على أهل عصره، ومنهم من فضله على جميع

المسلمين عامة، فأتى الناس علياً ليبياعوه، فقال (عليه السلام): دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه، وله ألوان لا تقوم له القلوب.

فقالوا: ننشدك الله: ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ وقال الشعبي: أقبل الناس إلى علي (عليه السلام) ليبياعوه، ومالوا إليه، فمدوا يده فكفها، وبسطوها فقبضها حتى بايعوه.

قال (عليه السلام): لا حاجة لي في أمرتكم، فمن اخترتم رضيت به.

فقالوا: ما نختار غيرك.

وترددوا إليه مراراً، وقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

فقال (عليه السلام): ففي المسجد فإن بيعتني لا تكون خفية، ولا تكون إلا في المسجد وكان في بيته فخرج إلى المسجد، وعليه قميص وعمامة خز، ونعلاه في يده، متوكئاً على قوسه، فبايعه الناس، وكان أول من بايعه من الناس: طلحة، ثم الزبير ثم بايعه المهاجرون والأنصار وسائر المسلمين.

ولما أراد طلحة والزبير أن يبايعا قال لهما أمير المؤمنين: إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما؟ فقالا: بل نبايعك.

وجاءوا بسعد بن أبي وقاص فقال له علي: بايع.

قال: لا حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس.

فقال الإمام: خلوا سبيله.

وجاءوا بعبدة الله بن عمر فقالوا: بايع.

فقال: لا، حتى يبايع الناس فقال (عليه السلام): ائنتي بكفيل.

قال: لا أرى كفيلاً.

فقال الأشتر: دعني أضرب عنقه.

فقال الإمام: دعوه أنا كفيله!

كان الازدحام على الإمام على بصورة مدهشة، وكاد الناس أن يقتل بعضهم بعضاً من شدة الازدحام.

فبويح له بالخلافة يوم الجمعة لثمانية عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

ومن ذلك اليوم نهض علي (عليه السلام) بأعباء الخلافة، وأول خطوة تقدم بها الإمام إلى العدالة هو تقسيم بيت مال المسلمين بالسوية وذلك في اليوم الثاني من بيعته، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وكان مما قال: أما بعد، لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) استخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، فعمل بطريقه، ثم جعلها شوري بين سته، فأفضى الأمر إلى عثمان، فعمل ما أنكرتم وعرفتم، ثم حصر، ثم قتل، ثم جئتموني فطلبتم إلي، وإنما أنا رجل منكم، لي ما لكم وعلي ما عليكم.. إلخ.

ثم التفت يمينا وشمالاً فقال: ألا لا يقولن رجال منكم قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارسة، واتخذوا الوصائف الروفة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعملون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرمانا ابن أبي طالب حقوقنا!! ألا وأيما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا، ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل لأحد على أحد، وللمتقين غداً أحسن الجزاء وفضل الثواب.

وإذا كان غد إن شاء الله فاعدوا علينا، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم، عربي ولا عجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن، إذا كان مسلماً حراً إلا حضر، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم.

وعن عمار وابن عباس قالوا: إنه (عليه السلام) لما صعد المنبر قال لنا: قوموا فتخللوا الصفوف، ونادوا هل من كاره؟ فتصارخ الناس من كل جانب: اللهم قد رضينا وسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمه، فقال (عليه السلام): قم يا عمار إلى بيت المال، فأعط الناس، ثلاثة دنانير لكل إنسان وادفع لي ثلاثة دنانير!! فمضى عمار وأبو الهيثم وجماعة من المسلمين إلى بيت المال، ومضى أمير المؤمنين إلى مسجد قباء يصل في فيه، فوجدوا ثلاثمائة ألف دينار، ووجدوا الناس مائة ألف فقال عمار: جاء والله الحق من ربكم، والله ما علم بالمال ولا بالناس وإن هذه الآية وجبت عليكم بها طاعة الرجل.

أول شيء كرهه الناس من أمير المؤمنين تقسيمه العطاء بالسوية فقد قال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامى بالأمس وقد أعتقته اليوم فقال (عليه السلام): نعطيكم كما نعطيكم!! وأمر الإمام أن يبدأ في العطاء بالمهاجرين ثم يثون بالأنصار ثم من حضر من الناس كلهم الأحمر والأسود.

تخلف من هذه القسمة يومئذ طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش، ومن هنا بدأت التفرقة ونشب الخلاف، وتولدت الفتنة.

وأقبل هؤلاء وجلسوا في ناحية من المسجد، ولم يجلسوا عند علي (عليه السلام) ثم قام الوليد بن عقبه فجاء إلى الإمام فقال: يا أبا الحسن إنك قد وترتنا جميعاً، أما أنا: فقتلت أبي يوم بدر صبراً، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش، وأما مروان فسخت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه، ونحن إخوانك ونظراؤك من بني عبدمناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في يوم عثمان وأن تقتل قتله عثمان، وإنا إن خفناك تركناك والتحقنا بالشام.

فقال (عليه السلام): أما ما ذكرت من وترى إياكم فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وأما قتلي عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس، ولكن لكم على إن خفتموني أن أو منكم، وإن خفتكم أن أسيركم.

فقام الوليد إلى أصحابه فحدثهم، فافتروا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف، لأن عماراً وعبدالله بن رافع وغيرهما لما قسموا المال بين الناس بالسوية أخذ علي (عليه السلام) مكنته ومسحاته ثم انطلق إلى بئر الملك فعمل فيها فأخذ الناس ذلك القسم حتى بلغوا الزبير وطلحة وعبدالله بن عمر فأمسكوا بأيديهم، وامتنعوا عن القبول وقالوا: هذا منكم أو من صاحبكم؟ فقالوا: هذا أمره، ولا نعمل إلا بأمره، قالوا استأذنوا لنا عليه.

قالوا: ما عليه إذن، هو ببئر الملك يعمل، فركبوا دوابهم حتى جاءوا إليه فوجدوه في الشمس ومعه أجير له، فقالوا: إن الشمس حارة، فارتفع معنا إلى الظل.

فارتفع معهم إلى الظل، فقالوا: لنا قرابة من نبي الله، وسابقه وجهاد، وإنك أعطيتنا بالسوية، ولم يكن عمر وعثمان يعطونا بالسوية، كانوا يفضلوننا على غيرنا.

فقال (عليه السلام): فهذا قسم أبي بكر، وإلا تدعوا أبا بكر وغيره، وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه. قالوا: فسابقتنا.

قال: أنتم أسبق مني؟ قالوا: لا، فقرابتنا من النبي.

قال: أقرب من قرابتي؟ قالوا: لا، فجهادنا.

قال: أعظم من جهادي؟ قالوا: لا، قال: فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري إلا بمنزلة سواء.

وفي اليوم الثاني جاء طلحة والزبير وجلسا في ناحية المسجد.

وجاء مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبدالله الزبير وجلسوا عندهما، وكان هؤلاء قد امتنعوا عن أخذ قسمتهم من بيت المال وجعلوا يطعنون في أمير المؤمنين (عليه السلام) والتفت عمار بن ياسر إلى أصحابه وهم جلوس عنده في ناحية أخرى من المسجد قائلاً: هلموا إلى هؤلاء نفر من إخوانكم فإنه قد بلغنا عنهم ورأينا ما نكره من الخلاف والظعن لإمامهم، وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين

الزبير والأعسر العاق (طلحة).

قام عمار ومن معه حتى جلسوا عندهم فتكلم أبو الهيثم وقال: إن لكم لقدماً في الإسلام، وسابقه وقرايه من أمير المؤمنين، وقد بلغنا عنكم طعن وسخط لأمر المؤمنين، فإن يكن لكما خاصة، فعاتبنا ابن عمكما، وإمامكما؟ وإن تكن النصيحة للمسلمين فلا تؤخره عنه ونحن عون لكما فقد علمنا أن بنى أمية لن تنصحكما أبداً، وقد عرفتما..

فقال أحمد: قد عرفتما عداوتهم لكما، وقد شركتما في دم عثمان. وملاتما.

فسكت الزبير، وصاح طلحة بصوت عال: أفزعوا جميعاً مما تقولون، فإنني قد عرفت إن في كل واحد منكم خطبة.

فتدخل عمار وأبدي النصيحة، وتقدم ابن الزبير وتكلم بكلام خشن فأمر عمار بإخراج ابن الزبير من المسجد، فقام الزبير منزعاً من هذا العمل وخرج من المسجد، فقال عمار: لو لم يبق أحد إلا خالف على بن أبي طالب لما خالفته، ولا زالت يدي مع يده، وذلك أن علياً لم يزل مع الحق منذ بعث الله محمد (صلى الله عليه وآله) فإنني أشهد أن لا ينبغي لأحد أن يفضل عليه أحداً.

فقام عمار وجماعه وجاءوا إلى أمير المؤمنين، وأخبروه بانشقاق القوم وأنهم كرهوا الأسوة والقسمه بالسوية إلى آخر كلامهم.

فخرج الإمام ودخل المسجد وصعد المنبر وقال بعد الحمد والثناء على الله: يا معشر المهاجرين والأنصار: أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم؟ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين، أنا أبو الحسن وكان يقولها إذا غضب ألا إن هذه الدنيا التي أصبحتتم تمنونها، وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتكم له، فلا تغرنكم، وأما هذا الفيء (المال) فليس لأحد أثره.

فقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون وهذا كتاب الله، به أقررنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض فليتول كيف شاء، فإن العامل بطاعة الله الحاكم بحكم الله لا وحش عليه! نزل الإمام عن المنبر وصلى ركعتين ثم بعث بعمار بن ياسر إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد، فدعاهما، فجاء طلحة والزبير، وجلسا عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال الإمام: نشدتكما الله؟ هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتاني إليها وأنا كاره لها؟ فقال الرجلان: نعم.

فقال الإمام: غير مجبورين ولا معسورين، فأسلمتما لي بيعتكما أعطيتاني عهدكما؟؟ فقال الرجلان: نعم.

فقال الإمام: فما دعاكما إلى ما أرى؟ فقال الرجلان: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضى في الأمور، ولا تقطعها دوننا، وأن تستشيرنا في كل أمر، ولا تستبد بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت فأتت تقسم القسم وتقطع الأمور وتقضى الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا!! فقال الإمام غاضباً: لقد نعمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً، فاستغفرا الله يغفر لكما، ألا تخبراني! أدفعتكما عن حق واجب لكما فظلمتكما إياه؟ فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: فهل استأثرت من هذا المال بشيء؟ فقال الرجلان: معاذ الله، فقال الإمام: أفوقع حكم أوجد من المسلمين فجهلته أو ضعفت فيه؟ فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ فقال الرجلان: خلافتك عمر بن الخطاب في القسم، إنك جعلت حقنا في القسم، كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا- يماثلنا فيها ما أفاء الله تعالى بأسيافتنا ورماحنا، وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً وقهراً ممن لا يرى الإسلام إلا كرها.

فقال الإمام: أما ما ذكرتما من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتوني إليها وجعلتموني عليها، فخفت أن أردكم فتختلف الأمة فلما أفضت إلى نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت ما دلاني عليه واتبعته، ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه واحتجج إلى المشورة لشاررتكما فيه.

وأما القسم والأسوة: فإن ذلك لم أحكم فيه بادئ بدء، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأما قولكما: (جعلت فينا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا فقد يما سبق إلى الإسلام قوم، ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلا فضلهم رسول الله بالقسم، ولا أثر بالسبق، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة بأعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا- هذا، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر، رحم الله امرئ رأى حقاً فأعان عليه، ورأى جوراً فردّه، وكان عوناً للحق على من خالفه).

قام طلحة والزبير وانصرفا من عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وهما مغضبان ساخطان، وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما من رأيه وبعد يومين جاء واستأذنا عليه فأذن لهما، فقالا: يا أمير المؤمنين: قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً نصلح به أحوالنا ونقضى به حقوقاً علينا.

فقال أمير المؤمنين: قد عرفتما مالي ب(ينبع) فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر.

فقالا: لا حاجة لنا في مالك ب(ينبع) فقال أمير المؤمنين: ما أصنع؟ فقالا: اعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية.

فقال أمير المؤمنين: سبحانه الله وأى يد لي في بيت مال المسلمين؟ وأنا خازنهم أمين لهم، فإن شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك من الناس ما شئتما فإن أذنوا فيه فعلت، وأنى لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدهم وغائبهم؟ ولكنني أبدى لكما عذراً، فقالا: ما كنا بالذي نكلفك ذلك، ولو كلفناك لما أجابك المسلمون.

فقال أمير المؤمنين: فما أصنع؟ فقالا: سمعنا ما عندك.

ثم حرج الرجلان من دار أمير المؤمنين، وقد يئسا من بيت المال، فجعلوا يفكران في كيفية الخروج إلى مكة، والالتحاق بعائشة، إلى أن صار رأيهما على هذا وجاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقت خلوته وقالا: قد جئناك نستأذنك للخروج في العمرة، لأننا بعيدا العهد بها.

فأذن لنا فيها.

فنظر أمير المؤمنين في وجهيهما، وقرأ الغدر من فلتات لسانهما ودوران عيونهما، وقد احمر وجهه ولاح الغضب فيه فقال: والله ما تريدان العمرة، ولكنكما تريدان الغدرة، وإنكما تريدان البصرة.

فقال الرجلان: اللهم غفراً، ما نريد إلا العمرة.

فقال أمير المؤمنين: احلفا لي بالله العظيم أنكما لا تفسدان على أمر المسلمين، ولا تنكثان لي ببعه ولا تسعيان في فتنه.

فحلفا بالأيمان المؤكدة فيما استخلفهما عليه من ذلك فخرج الرجلان من عنده، فلقيهما ابن عباس سائلاً: أذن لكما أمير المؤمنين؟ فقالا: نعم.

ودخل ابن عباس على الإمام فابتدأ الإمام (عليه السلام) قائلاً: يا ابن عباس: أعندك الخبر؟ فقال ابن عباس: قد رأيت طلحة والزبير.

فقال أمير المؤمنين: إنهما استأذنا في العمرة، فأذنت لهما بعد أن أوثقت منهما بالأيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً وبعد هنيهة قال: والله يا بن عباس: إنى لأعلم أنهما ما قصدا إلا الفتنة، فكأنى بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربي، فإن يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك، وسيفسد هذان الرجلان على أمرى، ويسفكان دماء شيعتى وأنصارى، فقال ابن عباس: إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوماً، فلم أذنت لهما؟ هلا حبستهما، وأوثقتهما بالحديد، وكفيت المؤمنين شرهما؟ فقال أمير المؤمنين متعجباً: يا ابن عباس أتأمرنى بالظلم أبداً؟ وبالسيئة قبل الحسنه؟ وأعاقب على الظنة والتهمة؟ وأؤاخذ بالفعل قبل كونه؟ كلا- والله، لا عدلت عما أخذ الله على من الحكم والعدل، ولا ابتدأ بالفصل، يا ابن عباس: إننى أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما، ولكنى استظهرت بالله عليهما والله لأقتلنهما ولأخيين ظنهما، ولا يلقيان من الأمر مناهما، وإن الله يأخذهما بظلمهما لي، ونكثهما بيعتى وبغيهما على.

خرج الرجلان من المدينة متوجهين إلى مكة، فوجدا بنى أمية قد أحاطوا بعائشة، ولحق بها جماعة من منافقى قريش، ولحق بها عبدالله

بن عمر بن الخطاب وأخوه عبيدالله ومروان بن الحكم وأولاد عثمان وعبيده وخاصته من بنى أمية، وجعلوا عائشة ملجأ لهم فيما دبروه من كيد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وصار كل من يبغض علياً أو يكرهه أو يحسده أو يخاف منه استيفاء الحقوق منه، يلتحق بهذه الجماعة، وعائشة تنعى عثمان وتبرأ من قاتله وتحرض الناس على عداوة أمير المؤمنين، وتظهر بأن علياً قتل عثمان ظلماً.

وكانت عائشة لما وصلت إلى مكة، وأدت مناسك الحج، ولما فرغت بلغها خبر قتل عثمان استبشرت وقالت للناعي: قتلته أعماله، إنه أحرق كتاب الله، وأمات سنة رسول الله فقتله الله، ومن بايع الناس؟ فقال الناعي: لم أبرح من المدينة حتى أخذ طلحة بن عبيدالله نعاجا لعثمان، وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال ولا شك أن الناس بايعوه.

فقال عائشة وهي فرحانة: بعداً لنعثل وسحقاً! إيه ذا الأصعب! إيه أباشيل! إيه ابن عم! الله أبوك يا طلحة، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً، لكأني أنظر إلى إصبعة وهو يبائع أخوها لا بل دغدغوها! وجدوك لها محسنا ولها كافيا، شدوا رحلي فقد قضيت عمري، لأتوجه إلى منزلي.

سارت عائشة حتى إذا وصلت إلى موضع يقال له: (شرفاء) لقيها رجل يقال له: عبيد بن أم كلاب، فسألته عائشة: ما الخبر؟ فقال الرجل: قتل عثمان.

فقال عائشة قتل نعثل!!! أخبرني عن قصته وكيف كان أمره؟ فقال الرجل: لما أحاط الناس بالدار، رأيت طلحة بن عبيدالله قد غلب على الأمر، واتخذ مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن، وتهياً لبياع له، فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره، وخرجوا في طلب علي يقدمهم الأشتر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر حتى إذا أتوا علياً وهو في بيت سكن فيه فقالوا له: بايعنا على الطاعة لك، وكان علي (عليه السلام) يتفكر ساعة.

فقال الأشتر: يا علي إن الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن تختلف الناس.

وكان في الجماعة طلحة والزبير، فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي بن أبي طالب كلام قبل ذلك، فقام طلحة والزبير فبايعا، وأنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما بيئته.

ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر، فتكلم بكلام لا- أحفظ إلا- أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر وبايعوه من الغد، فكلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم.

فقال عائشة: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا!! أنظر ماذا تقول؟ فقال الرجل: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين.

فقال عائشة: إنا لله، أكره والله الرجل، وغضب علي بن أبي طالب أمرهم، وقتل خليفه الله مظلوما! ردوا بغالى ردوا بغالى!! فقال الرجل: ما شأنك يا أم المؤمنين؟ والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها من علي، ولا أحق، ولا أرى له نظيراً فلماذا تكرهين؟

عائشة لا- ترد جواباً، وعزمت على الرجوع إلى مكة، وفي طريقها رآها قيس بن حازم فقالت عائشة تخاطب نفسها: قتلوا ابن عفان مظلوما.

فقال قيس: يا أم المؤمنين ألم أسمعك أنفاً تقولين: أبعده الله؟ وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه، وأقبحهم فيه قولاً.

فقال عائشة: لقد كان ذلك، ولكن نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه.

فقال عبيد بن أم كلاب:

فمنك البداءة ومنك الغير

ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام

وقلت لنا: إنه قد كفر

فهنا أظناك في قتله

وقاتله عندنا من أمر

ولم يسقط السقف من فوقنا

ولم ينكسف شمسنا والقمر

وقد بايع الناس ذا ارتداء

يزيل الشبا ويقيم الصعر

وتلبس للحرب أوزارها

وما من وفي مثل من قد غدر

وصلت عائشة إلى مكة، وجاءها رجل يقال له: يعلى بن منبه، وكان من بني أمية وشيعة عثمان وقال لها: قد قتل خليفتك الذي كنت تحرضين على قتله.

فقالت عائشة: برأت إلى الله ممن قتله.

فقال الرجل: الآن أظهرى البراءة ثانيا من قاتله، فخرجت إلى المسجد، فجعلت تبرأ ممن قتل عثمان، وهنا وصل خبر عائشة إلى طلحة والزبير وهما في المدينة، فكتبوا إليها كتاباً مع ابن أختها عبدالله بن الزبير وكان مضمون الكتاب (خذلى الناس عن بيعه على، وأظهرى الطلب بدم عثمان).

قرأت عائشة ذلك الكتاب وكشفت عما فى ضميرها وجعلت تطلب بدم عثمان وجاءت ووقفت عند الحجر الأسود وقالت: أيها الناس: إن الغوغاء (السفلة) من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل فقتلوه ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال الأحداث، وقد استعمل أمثالهم من قبله، ومواضع الحمى حماها لهم، فتابعهم ونزل عنها، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام! والله، لإصيح من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم! والله، لو أن الذى اعتدوا عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبئه، والثوب من درنه، إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء.

فتقدم عبدالله بن عامر الحضرمى وكان عامل عثمان على مكة وقال: أنا أول طالب بدمه.

فكان أول مجيب.

فتبعه بنو أمية، وكانوا قد هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة فرفعوا رؤوسهم، فكان أول ما تكلموا فى الحجاز.

ولما وصل طلحة والزبير إلى مكة أرسلوا عبدالله بن الزبير إلى عائشة يطلبان منها الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان!! امتنعت عائشة من الإجابة لكنها ذهبت إلى أم سلمة تستشيرها فى الخروج، ولما دخلت على أم سلمة ونعت إليها عثمان وأنه قتل مظلوماً، صرخت أم سلمة صرخةً وهى متعجبة من كلام عائشة وقالت: يا عائشة بالأمس كنت تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً؟؟ ثم إن عائشة ذكرت لأم سلمة عزمها على الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان وطلبت من أم سلمة أن ترافقها وتشاركها فى تلك النهضة!! فجعلت أم سلمة تعاتب عائشة على تحريضها الناس بقتل عثمان ثم الطلب بدمه مع العلم أن عثمان من بنى عبدمناف وعائشة امرأة من تيم بن مرة، وليس بينهما قرابة، ثم ذكرت أم سلمة شيئاً من فضائل على وأنه لا- ينبغى لأحد أن يحارب علياً، ووعظتها وذكرتها بما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى فضل على (عليه السلام) وذكرتها بحديث النبى (صلى الله عليه وآله) يوم قال: أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبها كلاب الحوآب فتذكرت عائشة كل ذلك وقنعت بكلام أم سلمة ولكن التأثير كان مؤقناً، ثم عازمت على السفر إلى البصرة.

وأما يعلى بن منبه فقد اشترى أربعمائه بعير ونادى: أيها الناس من خرج لطلب دم عثمان فعلى جهازه.

ووصل الخبر إلى أم سلمة فقالت لعائشة: لقد وعظتكم فلم تتعظي..

ثم حذرتها عن تلك الفكرة وذكرت لها بأنها تهتك حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنها زوجته وعرضه إلى آخر كلامها. وخرجت عائشة بالجيش نحو البصرة وفي أثناء الطريق وصلوا إلى ماء الحوآب فنبحت الكلاب وقال قائل: ما أكثر كلاب الحوآب وما أشد نباها فأمسكت عائشة زمام بعيرها وصرخت: إنا لله وإنا إليه راجعون إني لهيه!! سمعت رسول الله وعنده نساؤه يقول: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذب، تخرج فتنبحها كلاب الحوآب، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة، تنجو بعد ما كادت تقتل؟؟.. ردوني، ردوني.

فأقبل جماعة وشهدوا وحلفوا أن هذا ليس بماء الحوآب فسارت عائشة لوجهها نحو البصرة.

فوصل الخبر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأمر المنادي فنادى: الصلاة جامعة، اجتمع الناس في مسجد رسول الله في المدينة وصعد الإمام المنبر وخطب فيهم خطبة ذكر فيها الخلافة وأطوارها وأدوارها...

إلى أن قال: وبايعني هذان الرجلان طلحة والزبير في أول من بايع، وتعلمون ذلك، وقد نكنا غدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم.

اللهم: فخذ بما عملا واحدا رايه، ولا تنعش لهما ضرعه، ولا تقلهما عثره، ولا تمهلما فواقا، فإنهما يطلبان حقا تركاه، ودما سفكاه، اللهم إني أقتضيك وعدك فإنك قلت وقولك الحق: (ثم بغى عليه لينصرنه الله) ... اللهم أنجز لي موعدى ولا تكني إلى نفسى إنك على كل شىء قدير.

ثم استشار الإمام أصحابه، فقال عمار بن ياسر: رأى عندي: أن تسير إلى الكوفة، فإن أهلها شيعة، وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة وأشار عليه عباس أن يأمر أم سلمة لتخرج معه تقوية لجانبه فقال الإمام: أما أم سلمة فإنى لا أرى إخراجها من بيتها كما أن الرجلان إخراج عائشة!! وأشار عليه جماعة أن يعتزل الفتنة ويذهب إلى ماله ب(ينبع) فلم يقبل منه وأخيرا نادى الإمام: تجهزوا للمسير، فإن طلحة والزبير نكنا البيعة ونقضا العهد، وأخرجا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة، وسفك دماء أهل القبلة ورفع يديه للدعاء قائلا: اللهم: إن هذين الرجلين قد بغيا على، ونكنا عهدي، ونقضا عقدى، وشقيانى بغير حق سومهما ذلك، اللهم حذهما بظلمهما وأظفرنى بهما، وانصرنى عليهما.

وجعل الإمام (عليه السلام) تمام بن العباس والياً على المدينة وخرج بمن معه إلى الربدة، وإذا بطلحة والزبير قد ارتحلوا منها. فأرسل الإمام محمد بن أبى بكر ومحمد بن الحنفية إلى الكوفة ليستنفرا أهل الكوفة، وكان والى الكوفة يومذاك أباموسى الأشعري وكان أبوموسى عثمانى الهوى، منحرفا عن على (عليه السلام).

وكانت عائشة قد كتبت كتابا إلى أبى موسى تأمره أن يخذل الناس عن نصره الإمام، وقام أبوموسى بتلييه طلبها، فخطب فيهم وأمرهم أن يجتنبوا الفتنة ويتعدوا عن سفك دماء المسلمين.

لم يستطع محمد بن الحنفية ومحمد بن أبى بكر مقاومة الأشعري فرجعا إلى الإمام، وكان الإمام قد كتب قبل ذلك كتابا إلى الأشعري يأمره أن يخرج لمؤازرة الإمام، ولكن الأشعري استمر على رأيه وامتنع عن البيعة، وأظهر العداة الكامن فى صدره، فأخبروا الإمام بذلك.

فكتب الإمام كتابا إلى الأشعري فيه خبر عزله عن الحكم والتهديد إن لم يعتزل، وكتاباً آخر إلى أهل الكوفة يذكر لهم فيه عما جرى على عثمان، ثم ذكر بيعه الناس له ومن جملتهم طلحة والزبير، ثم نكتهما البيعة وخروجهما ضد الإمام (عليه السلام).

وقبل وصول هذين الكتابين كان الإمام الحسن بن على (عليه السلام) وعمار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد جاءوا إلى الكوفة وخطبوا فى الناس الخطب المفصلة المطولة، يحثون الناس على نصره الإمام.

فكان الأشعري يقوم ويخطب وينقض كلامهم ويخذل الناس ويأمرهم باعتزال الفتنة وعدم الخوض فى المعركة.

وانقضت أيام وأيام والأمر هكذا في الكوفة وأمير المؤمنين ينتظر المدد وهو في أرض يقال لها: (ذوقار) واليوم يقال لها: (المقبرة) وهي قريب الناصرية في طريق البصرة.

وأخيرا خرج البطل الضرغام مالك الأشتر وأقبل إلى الكوفة ودخلها وهجم على دار الإمارة واستولى عليها، وأخرج غلمان أبي موسى منها.

كانت الحرب الباردة قائمة في المسجد بين الأشعري وبين أصحاب الإمام وإذا بغلمان الأشعري دخلوا المسجد، وهم ينادون يا أبا موسى هذا الأشتر.

ودخل أصحاب الأشتر وصاحوا: أخرج من المسجد، يا ويلك أخرج الله روحك، إنك والله من المنافقين.

خرج أبو موسى معزولاً خائباً مخذولاً، وأراد الناس أن يذهبوا أمواله فمنعهم الأشتر.

وأقبل الأشتر فصعد المنبر وقال: وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً، وأعظمهم في الإسلام سهماً، ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأفقه الناس في الدين، وأقرأهم كتاب الله، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد استنفركم، فما تنتظرون؟ أسعيدياً؟ أم الوليد؟ الذي شرب الخمر وصلى بكم على سكر؟ واستباح ما حرمة الله فيكم.

أى هذين الرجلين تريدون؟ قبح الله من له هذا الرأي!! فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم، ولا يختلف رجل له قوة، فو الله ما يدرى رجل منكم ما يضره وما ينفعه، وإنى لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون، أو تبصرون.

أصبحوا إن شاء الله غداً غادين مستعدين، وهذا وجهي إلى ما هناك بالوفاء.

ثم قام ابن عباس وعزل الأشعري عن الولاية وخلعه عنها، وجعل قرضه بن كعب، فلم يبرحوا من الكوفة حتى سيروا سبعة آلاف رجل والتحقوا بأمر المؤمنين في ذي قار.

والتحق به قبل ذلك ألفان من قبيلة طي، وخرج الإمام (عليه السلام) نحو البصرة.

وكانت عائشة وطلحة والزبير ومن معهم قد وصلوا إلى البصرة قبل ذلك، وتعجب الناس من قدومهم إلى البصرة للطلب بدم عثمان المقتول في المدينة.

وسمع عثمان بن حنيف (والي البصرة) بوصول القوم، فأرسل إليهم أبا الأسود الدؤلي وعمران بن حصين للتحقيق، فدخلوا على عائشة وقالوا لها: يا أم المؤمنين ما حملك على المسير؟ ما الذي أقدمك هذا البلد؟ وأنت حبيبة رسول الله وقد أمرك أن تقرى في بيتك؟ فجرى كلام وجدال طويل بين عائشة والرجلين، وكلما خوفها من إراقه دماء المسلمين وإفساد الأمر قابلتهم بكل صلابه وحده.

ودخلا على طلحة فلم يسمعا منه إلا الكلام القبيح والطرده، ثم السب لأمر المؤمنين (عليه السلام).

استعدت عائشة للحرب، وخرجت بمن معها إلى محلّة في البصرة يقال لها (المربد) وخطبت في أهل البصرة خطبة فغنت عثمان وتأسفت على قتله ثم ذكرت علياً وبيعتته وأفرطت في كلامها ثم طلبت من أهل البصرة نقض خلافة الإمام فصدقها ناس وكذبها ناس، واضطرب الناس بأقوالهم، واشتغلوا بالسب والشتم واللعن، وتوجهت عائشة إلى دار الإمارة وطلبوا من عثمان بن حنيف أن يسلم إليهم دار الإمارة فأبى عليهم، واشتعلت نار الحرب حتى الظهر وقتل في تلك الواقعة خمسمائة شيخ من بني عبد القيس من شيعة علي

وأنصار عثمان بن حنيف سوى الجرحى، واستمرت الحرب في البصرة وكثر القتلى والجرحى، ودخل بعض الناس وقرروا الهدنة، فتم القرار على: أن تكون دار الإمارة والمسجد وبيوت المال تحت اختيار عثمان بن حنيف، وتكون البصرة تحت حيازة طلحة والزبير وعائشة، وكتبوا على هذه المصالحة كتاباً وشهد الناس على ذلك، ولما أمن الناس واطمئنوا وألقوا سلاحهم أقبل طلحة والزبير وأصحابهما حتى أتوا دار الإمارة على حين غفلة وكان خمسون رجلاً يحرسون بيوت الأموال وهم من شيعة علي أحاط الزبير بهؤلاء

وقتل منهم أربعين رجلاً- صبراً ثم هجموا على عثمان بن حنيف فأوثقوه رباطاً، وعمدوا إلى لحيته فنتفوا لحيته حتى لم يبق منها شعرة واحدة وفتفوا حاجبيه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد.

وأصبح الصباح فجاء طلحة والزبير إلى المسجد الأعظم لأداء صلاة الصبح جماعة فأراد طلحة أن يتقدم ويصلي بالناس فدفعه الزبير، وأراد الزبير أن يصلي فمنعه طلحة، استمر النزاع والتدافع بين الإمامين!!! حتى كادت الشمس أن تطلع فصاح الناس: الله الله يا أصحاب رسول الله! في الصلاة نخاف فوثها!! فأمرت عائشة أن يصلي مروان بالناس وأخيرا تقدم ابن الزبير وصلى بالمسلمين.

انتشر خبر قتل الحرس وإلقاء القبض على عثمان، فأقبل حكيم بن جبلة إلى عشيرته فحثهم على النهوض وجاء طلحة والزبير وشببت النار مرة ثانية وقتل حكيم بن جبلة وأخوه وعدد من الناس، واستولى طلحة والزبير على بيوت الأموال ونصبا الأقفال على أبواب بيوت الأموال، فأمرت عائشة بختم بيت المال، وختم كل من طلحة والزبير وعائشة بختم على بيوت الأموال.

انقضت أيام وعائشة وطلحة والزبير يخطبون في الناس ويهيجونهم ويحذرونهم من علي (عليه السلام) وقد كان ينتهي كلامهم إلى ذم الإمام وسبه وأرسلت عائشة كتباً ورسائل إلى البلاد والأمصار كتبت فيها ما أرادت.

ووصل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بجيشه الجرار إلى البصرة، ؤبلغه الخبر عن المجزرة الرهيبة التي أقامها هؤلاء، فأرسل الإمام صعصعة بن صوحان للتفاهم أو لإتمام الحجّة على عائشة والرجلين والتقى بهم صعصعة فلم يسمع منهم إلا التهديد والخشونة في الكلام وأرسل الإمام (عليه السلام) عبدالله بن عباس وأمره أن يلتقى بطلحة والزبير، فلم تنجح مذكرات ابن عباس معهما.

كان وصول الجيش العلوي إلى البصرة على أحسن هيئة وأجمل نظام وفيهم المشايخ من أهل بدر المهاجرين والأنصار، وقواد الجيش ومعهم الألوية والرايات، والمواكب يترى بعضها بعضاً.

وفي الأخير: وصل موكب الإمام وهو موكب عظيم فيه خلق كثير عليهم السلاح والحديد، ومعهم الإمام وعليه الوقار والسكينة ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، والجنود خلفه كأن علي رؤوسهم الطير، والإمام الحسن عن يمينه والإمام الحسين عن شماله، وابنه محمد بن الحنفية بين يديه ومعه الراية.

أمر الإمام (عليه السلام) ابن عباس أن يرجع ثانياً إلى عائشة ويذكر لها خروجها من بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويخوفها من الخلاف على الله، والتبرج الذي نهاها الله عنه...

الخ.

دخل ابن عباس على عائشة وأدى رسالته وذكر فضل علي وسابقته ولكنها لم ترتدع ولم تقتنع ورجع ابن عباس إلى الزبير ووجدته وحده وجعل يلين له الكلام ويخوفه من عواقب أعماله، ويلومه على إسراعه في الخلاف فجاء عبدالله بن الزبير، وكان شاباً شرساً قليل الحياء متهوراً، وقابل ابن عباس بكل صلافة وكانت المباحثات بلا جدوى ولا فائدة، واستعد الفريقان للحرب.

كان كعب بن سور سيد الأزدي قد امتنع عن الخوض في المعركة فجاء طلحة والزبير إلى عائشة وطلبا منها أن تتوجه بنفسها إلى كعب وتطلب منه المؤازرة والتعاون معها، فأرسلت عائشة إليه تطلب منه الحضور فلم يجبهها كعب، فركبت بغلاً وأحاط بها نفر من أهل البصرة وسارت إلى كعب وسألته عن سبب امتناعه فقال: يا أمه لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة.

فاستعبرت عائشة باكية وطلبت منه أن ينصرها، فرق لها كعب وأجابها وعلق المصحف في عنقه وخرج معها.

اشتركت العشائر والقبائل من المدينة إلى الكوفة إلى طي إلى أهل البصرة في نصره الإمام.

وكان خطباء الفريقين يخطبون في قومهم ويحرضونهم على الحرب.

ساحة القتال: كانت ساحة القتال في الخريبة، وهي اليوم بين الزبير والبصرة ويقال لها: (الخر) وهناك قبر طلحة.

اصطف الفريقان للقتال، وكتب كل منهما الكتاب وخرج علي (عليه السلام) وعليه عمامة سوداء وقميص ورداء وهو راكب على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الشهباء.

وجاءت عائشة وهي في هودج على بعير وعن يمينها وشمالها طلحة والزبير وعبدالله بن الزبير وخلفها الذين رافقوها من مكة وانضموا إليها في البصرة.

كان النشاط في أصحاب على أكثر، وكانوا يريدون الهجوم على العدو، لكن الإمام كان يمنعهم ويقول لهم: لا تعجلوا على القوم حتى أذدر فيما بيني وبين الله وبينهم، فقام إليهم وقال: يا أهل البصرة هل تجدون على جورا في حكم؟ قالوا: لا. قال: فحيفا في قسم؟ قالوا: لا.

قال فرغبة في دنيا أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم، فنقمتم على فنكتمم بيعتي؟ قالوا: لا.

قال: فما بال بيعتي تنكث وبيعه غيري لا تنكث؟ إنني ضربت الأمر أنفه وعينه ولم أجد إلا الكفر أو السيف، ثم التفت إلى أصحابه وقال: إن الله تعالى يقول في كتابه: (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون). [١٣٨].

ثم قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة واصطفى محمدا بالنبوة إنهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا منذ نزلت هذه الآية، ثم التفت إلى ابن عباس وقال له: امض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه.

جاء ابن عباس فبدأ بالزبير وقال له: إن أمير المؤمنين يقول ألم تبايعني طائعا؟ فبم تستحل دمي؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فإن شئت تحاكمنا إليه؟ فقال الزبير: ارجع إلى صاحبك، فإننا بايعنا كارهين وما لي حاجة في محاكمته.

انصرف ابن عباس إلى طلحة، فوجد فيه الاستعداد للشر والحرب، فقال له ابن عباس: والله ما أنصفتم رسول الله إذ حبستم نساءكم وأخرجتم حبيسة رسول الله؟! ونادى طلحة: ناجزوا القوم، فإنكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب.

رجع ابن عباس وأخبره بالنتيجة السلبية وقال للإمام: ما تنتظر؟ والله لا يعطيك القوم إلا السيف، فأحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك.

فقال أمير المؤمنين: نستظهر بالله عليهم، وهناك خرج أمير المؤمنين بين الصفيين ونادى بأعلى صوته: أين الزبير؟ فليخرج ثم نادى ثانيا، وكان طلحة والزبير واقفين أمام صفيهما، فخرج الزبير، وخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) إليه، فصاح به أصحابه يا أمير المؤمنين: أخرج إلى الزبير الناكث بيعته وأنت حاسر؟ وهو على فرس شاكي السلاح، مدجج في الحديد وأنت بلا سلاح؟ فقال أمير المؤمنين: ليس على منه بأس، إن على منه جنه واقية، لن يستطيع أحد فرارا من أجله، وإني لا أموت، ولا أقتل إلا بيد أشقاها، كما عقر ناقة الله أشقى ثمود.

فخرج إليه الزبير فقال (عليه السلام): أين طلحة؟ ليخرج.

فخرج طلحة.

وقربا منه (عليه السلام)، حتى اختلفت أعناق دابتهما، فقال أمير المؤمنين للزبير: ما حملك على ما صنعت؟ فقال الزبير: الطلب بدم عثمان.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيد من نفسك.

ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله): أما تذكر يوما قال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا زبير: أتحب عليا؟ فقلت: وما يمنعني عن حبه وهو ابن خالي؟ فقال لك رسول الله: أما أنت فستخرج عليه يوما وأنت له ظالم؟ فقال له الزبير: اللهم بلى قد كان ذلك.

فقال أمير المؤمنين: فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) أما تذكر يوما جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عند ابن عوف، وأنت معه، وهو آخذ بيدك، فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي، فضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبدا.

فقال لك النبي (صلى الله عليه وآله): مهلا- يا زبير، فليس به زهوه، ولتخرجن عليه يوما وأنت ظالم له؟! فقال الزبير: اللهم بلى، ولكن نسيت، فأنا إذا ذكرتني ذلك فلاأنصرفن عنك ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

ثم التفت إليهما معا وقال: نشدتكما الله أتعلمان وأولوا العلم من أصحاب محمد وعائشة بنت أبي بكر: أن أصحاب الجمل، وأهل

النهر وان ملعونون على لسان محمد (صلى الله عليه وآله) وقد خاب من افترى؟ فقال الزبير: كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجنة؟ فقال أمير المؤمنين: لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم.

فقال الزبير: أما سمعت رسول الله يقول يوم أحد: أوجب طلحة الجنة؟ ومن أراد أن ينظر إلى الشهيد يمشى على الأرض حيا فلينظر إلى طلحة؟ أو ما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: عشرة من قريش في الجنة؟ فقال أمير المؤمنين: فسمهم.

فجعل الزبير يعد تسعة منهم، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن عمرو بن نفيل.

فقال أمير المؤمنين: عددت تسعة منهم فمن العاشر؟ فقال الزبير: أنت.

فقال أمير المؤمنين: أما أنت فقد أقررت أني من أهل الجنة، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فإنني به لمن الجاحدين، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد عهد النبي الأمي إلى أن بعض من سميت في تابوت في جب في أسفل درك من جهنم، وفي نسخة: إن في جهنم جبا، فيه ستة من الأولين وستة من الآخرين، على رأس ذلك الجب صخرة، إذا أراد الله تعالى أن يسعر جهنم على أهلها أمر بتلك الصخرة فرفعت، وإن في ذلك الجب من سميت، وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي بيدك، وإلا فأظفرك الله بك وبأصحابك.

فقال أمير المؤمنين: دع هذا، أفلست بايعتني طائعا؟ فقال الزبير: بلى.

فقال أمير المؤمنين: أفوجدت مني حدثا يوجب مفارقتي؟ فسكت الزبير ثم قال: لا جرم والله لأقاتلنك! ثم التفت (عليه السلام) إلى طلحة وقال:

يا طلحة: معكما نساؤكما؟ فقال طلحة: لا.

فقال أمير المؤمنين: عمدت ما إلى امرأه موضعها في كتاب الله القعود في بيتها، فأبرزت ماها! وصنمت ما حلالتكما في الخيام والحجال؟ ما أنصفتما رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أمر الله أن لا يكلمن إلا من وراء حجاب.

أخبرني عن صلاة ابن الزبير بكما، أما يرضى أحدكما بصاحبه؟ أخبرني عن دعائكما الأعراب إلى قتالي؟ ما يحملكما على ذلك؟ فقال طلحة: يا هذا، كنا في الشورى ستة، مات منا واحد، وقتل آخر، فنحن اليوم أربعة، كلنا لك كاره.

فقال أمير المؤمنين: ليس ذلك علي، قد كنا في الشورى والأمر في يد غيرنا، وهو اليوم في يدي أرايت لو أردت بعد ما بايعت عثمان أن أرج هذا الأمر شورى أكان ذلك لي؟ فقال طلحة: لا.

فقال أمير المؤمنين: ولم؟ فقال طلحة: لأنك بايعت عثمان طائعا.

فقال أمير المؤمنين: وكيف ذلك؟ والأنصار معهم السيوف مخترطة، يقولون: لئن زغتم وبايعتم واحدا منكم، وإلا- ضربنا أعناقكم أجمعين؟؟ فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئا من هذا وقت ما بايعتني؟ وحجتي في الاستكراه في البيعة أوضح من حجتك وقد بايعتني أنت وأصحابك طائعين غير مكرهين، وكنتم أول من فعل ذلك ولم يقل أحد: لتبايعان أو لنقتلكما؟ ثم انصرف الرجلان إلى صفهما، فأراد الزبير الخروج من الحرب، والانصراف إلى البصرة، فقال له طلحة: ما لك يا زبير؟ ما لك تنصرف عنا؟ سحرك ابن أبي طالب؟ فقال الزبير: لا، ولكن ذكرني ما كان أنسانيه الدهر، واحتج علي بيعتي له.

فقال طلحة: لا، ولكن جبت وانتفخ سحرك!! فقال الزبير: لم أجبن، ولكن أذكرت فذكرت.

فقال عائشة: ما ورائك يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: والله ورائي؟ إني ما وقفت موقفا في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة وأنا اليوم على شك من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي.

فقال عائشة: لا والله، بل خفت سيوف ابن أبي طالب، أما إنها طوال حداد، تحملها سواعد أمجاد، ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبلك.

فقال عبد الله بن الزبير: جبا جبا!! فقال الزبير: يا بني قد علم الناس إني لست بجبان، ولكن ذكرني علي شيئا سمعته من رسول الله، فحلفت أن لا أقاتله.

فقال عبدالله بن الزبير: يا أبة أجئت بهذين العسكرين العظيمين حتى إذا اصطفا للحرب، قلت: أتركهما وأنصرف فما تقول قريش غدا بالمدينة؟ الله الله يا أبة: لا تشمت بنا الأعداء، ولا تشن نفسك بالهزيمة قبل القتال.

فقال الزبير: ما أصنع يا بني وقد حلفت أن لا أقاتله؟ فقال عبدالله بن الزبير:

كفر عن يمينك، ولا تفسد أمرنا!! فقال الزبير: عبدى مكحول حر لوجه الله، كفارة ليميني!! ثم عاد معهم للقتال.

فعند ذلك أخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) المصحف بيده، وطلب من يقرأ عليهم هذه الآية: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله). [١٣٩].

فقام غلام حدث السن وأخذ المصحف ووقف أمام الصفوف وقال هذا كتاب الله، وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه، فأمرت عائشة بإعدامه فقطعوا يديه ثم أحاطوا به وطعنوه بالرمح من جانب وكانت أمه واقفة تنظر فصاحت وطرحت نفسها على ولدها.

كان الإمام ينتظر وقت الظهر لنزول الملائكة وكان يقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وكفكم عنهم حجة أخرى فإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترا، ولا تدخلوا دارا، ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمت أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعفاء القوى والأنفس والعقول...

الخ.

كانت السهام تترى على الإمام وأصحابه كالمطر!! فصاح الناس: حتى متى يا أمير المؤمنين ندلى نحورنا للقوم يقتلون رجلا رجلا والله قد أعذرت أن كنت تريد الإعدار!!! هناك دعا الإمام ابنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية وهي راية سوداء كبيرة وهي راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال (عليه السلام) له: يا بني هذه الراية ما ردت قط ولا ترد قط!! ثم لبس الإمام درع رسول الله، وحزم بطنه بعصابة أسفل من سترته، ثم قال الإمام لولده محمد بن الحنفية: يا أبا القاسم قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوى! وذلك أنى لم أبارز أحدا إلا حدثني نفسى بقتله، فحدث نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم! وأعطاه تعاليم حربية.

وزحف أصحاب الجمل نحو معسكر الإمام فصاح الإمام بابنه محمد: امض، فمضى.

وتبعه أصحابه واشتعل القتال.

وأقبل الإمام يهرول ويده السيف يصعد وينزل فتطير الرؤوس وتطيح الأيدي ولا يتلطح السيف بالدم لسرعة اليد وسبق السيف الدم!! وزحف الجيش خلفه.

وحمل عمار بن ياسر على الميسرة، ومالك الأشتر على الميمنة وحملوا حملة رجل واحد، ونادى الإمام: عليكم بالسيوف.

فجعلوا يضربون بالسيوف على الرؤوس ثم نادى المنادى: عليكم بالأقدام.

كان للفريقين أراجيز كثيرة جداً مذكورة في محلها وقد ذكرنا شيئاً منها في الجزء الأول من شرح نهج البلاغة.

وقتل طلحة في ذلك اليوم ولم يعرف قاتله، قيل: إن مروان بن الحكم رماه بسهم فقتله يطلب بذلك ثار عثمان وكان أهل البصرة كل من أراد منهم القتال أخذ بخطام الجمل وارتجز وقاتل حتى قتل.

فخرج كعب بن سور فأخذ بخطام الجمل وهو يرتجز ويقول:

يا معشر الأزد عليكم أممكم

فإنها صلاتكم وصومكم

والنعمة العظمى التي تعممكم

فأحضروها جدكم وحزمكم

لا يغلبن سم العدو سمكم

إن العدو إن علاكم رمكم
وخصكم بجوره وعمكم
لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم
فقاتل حتى قتل.

فخرج رجل آخر فأخذ بخظام الجمل وقال: يا أم يا أم خلا منى الوطن لا أبتغي القبر ولا أبغى الكفن من هيهنا محشر عوف بن قطن
إن فاتنا اليوم على فالغبن أو فاتنا ابنه حسين وحسن إذن أمت بطول هم وحزن.

وغير ذلك من الأراجيز المذكورة في كتب التاريخ، واشتعلت النار، واستعر القتال، فاقتلوا قتالا شديدا فصاح على (عليه السلام) ما أراه
بقاتلكم غير هذا اليهودج، إغقروا الجمل أو عرقبوه، فإنه شيطان، أو: اعقروه وإلا فنيث العرب لا يزال السيف قائما وراكعا حتى يهوى
هذا البعير إلى الأرض.

فضرب عجز الجمل فوق لجنبه، وضرب بجرانه الأرض وعج عجيجا لم يسمع بأشد منه فما هو إلا أن صرع حتى فرت الرجال كما
يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب، وسقط اليهودج، فصاح الإمام إقطعوا البطن.

فقطع محمد بن الحنفية البطن وأخرج اليهودج فقالت عائشة من أنت؟ فقال محمد: أبغض أهلك إليك.

فقالت عائشة: ابن الخنعمية؟ فقال محمد: نعم، ولم تكن دون أمهاتك! فقالت عائشة: لعمري بل هي شريفة، دع عنك هذا، الحمد لله
الذي سلمك.

فقال محمد: قد كان ذلك ما تكرهين.

فقالت عائشة: يا أخى لو كرهته ما قلت ما قلت فقال محمد: كنت تحبين الظفر وأنى قتلت؟ فقالت عائشة: قد كنت أحب ذلك ولكنه
لما صرنا إلى ما صرنا إليه أحببت سلامتكم لقرايتي منك فاكفف، ولا تعقب الأمور، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عدلة، فإن أباك
لم يكن لومة ولا عدلة.

وجاء على فقرع اليهودج برمحه وقال: يا شقيراء بهذا أوصاك رسول الله؟ فقلت عائشة: يا ابن أبي طالب ملكت فاصفح وظفرت فاسجح.
فقال أمير المؤمنين والله ما أدرى متى أشتفى غيظي؟ أحين أقدر على الانتقام فيقال لى: لو عفوت أم حين أعجز من الانتقام فيقال لى:
لو صبرت!! بلى أصبر فإن لكل شيء زكاة، وزكاة القدرة والمكنة: العفو والصفح.

ثم التفت (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر وقال: شأنك بأختك فلا يدنو منها أحد سواك.

فأمر (عليه السلام) فاحتملت عائشة يهودجها إلى دار عبدالله بن خلف في البصرة، وأمر بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح وقال
(عليه السلام) إشارة إلى الجمل: لعنه الله من دابة، فما أشبهه بعجل بنى إسرائيل ثم تلى: (وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا
لنحرقنه ثم لنسفنه فى اليم نسفا). [١٤٠].

ركبت عائشة وهى تقول: فخرتم وغلبتم، وكان أمر الله قدرا مقدورا، ونادى أمير المؤمنين: يا محمد بن أبي بكر سلها هل وصل إليها
شئ من الرماح و السهام؟ فسألها فقالت: نعم وصل إلى سهم، خدش رأسى وسلمت من غيره، الله بينى وبينكم.

فقال محمد: والله ليحكمن عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حين تخرجين عليه؟ وتولين الناس على قتاله؟ وتبذرين
كتاب الله وراء ظهرك؟ فقالت عائشة: دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسنى.

فأمر الإمام أن يحملها أخوها إلى دار ابن خلف في البصرة، فحملها وهى لا تفتر عن سب الإمام وسب أخيها محمد بن أبي بكر والترحم
على أصحاب الجمل.

ومر الإمام على القتلى وجعل يخاطبهم ويعاتبهم، وخاطب كعبا وطلحة بعد قتلها فقيل له: أتكلم هؤلاء بعد القتل؟ فقال: والله لقد
سمعا كلامى كما سمع أهل القليب كلام رسول الله يوم بدر.

ثم نادى منادى الإمام: من أحب أن يوارى قتيله فليواره.

وأمر أصحابه وقال لهم: قتلانا في ثيابهم التي قتلوا فيها فإنهم يحشرون على الشهادة وإنى لشاهد لهم بالوفاء.

فجاء ابن عباس يطلب الأمان لمروان بن الحكم فأمره الإمام بإحضار مروان فلما حضر قال له الإمام أتبايع؟ فقال مروان: نعم وفي النفس ما فيها!! فقال الإمام: الله أعلم بما في القلوب.

فلما بسط يده لبياعه أخذ كفه من كف مروان وجذبها، وقال: لا حاجة لي فيها، إنها كف يهودية، لو بايعني بيده عشرين مرة لنكت بإسته، ثم قال: هيه يا بن الحكم: خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة؟ كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأمة خسفاً ويسقونهم كأساً مصيرةً.

أما الزبير فإنه خرج من المعركة ووصل إلى منطقة في ضواحي البصرة يقال لها (وادى السباع) فقتله عمر بن جرموز وأخذ رأسه وسيفه وخاتمه وجاء بها إلى معسكر الإمام واستأذن ودخل وإذا به يرى القائد الأعلى للمسلمين جالسا وبين يديه ترس عليه أقراص من الطعام الشعير، فسلم عليه، وهناه بالفتح عن الأحنف، لأن الحرب كانت قد وضعت أوزارها حينئذ، وقال: أنا رسول الأحنف، وقد قتلت الزبير، وهذا رأسه وسيفه، فألقاهما بين يديه، فقال (عليه السلام) كيف قتلته؟ وما كان من أمره؟ فحدثنا كيف كان صنعك به؟ فقص عليه ما جرى فقال: ناولني سيفه.

فناوله سيفه، فاستلّه وهزه.

وقال: سيف أعرفه، سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ثم التفت على (عليه السلام) إلى ابن جرموز قائلاً: والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لثيماً، ولكن الحين ومصارع السوء.

ثم تفرس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك برسول الله (صلى الله عليه وآله) صحبة ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرق فأوردك هذا المورد.

فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين.

فقال (عليه السلام): أما إنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار.

وقبض أمير المؤمنين (عليه السلام) ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع فقسمه بين أصحابه، فقال بعض أصحابه: أقسم بيننا أهل البصرة، فاجعلهم رقيقاً.

فقال: لا.

فقالوا: كيف تحل لنا دماؤهم وتحرم علينا سيهم؟ فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام؟ وأما ما جلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله، ولا نصيب لكم في شيء منه.

فلما أكثروا عليه قال: فأقرعوا على عائشة لأدفعها إلى من تصيبه القرعة!! فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين ثم انصرفوا.

فلما دخل (عليه السلام) بيت المال في نفر من المهاجرين والأنصار، ونظر إلى كثرة ما فيه قال: غرى غيرى: مرارا، ثم نظر إلى المال، وصعد وصوب بصره، وقال: أقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة، فقسم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهما ولا زاد درهما، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان مقدار المال ستة ملايين، وعدد أصحابه اثني عشر ألف رجل.

وأخذ هو خمسمائة درهم كواحد منهم، فجاءه رجل لم يحضر الواقعة فقال: يا أمير المؤمنين: كنت شاهداً بقلبي، وإن غاب عنك جسمي فأعطني من الفيء شيئاً، فدفع إليه الذي أخذه لنفسه، ولم يصب من الفيء شيئاً.

وفي رواية أخرى: جاء رجل فقال: إن اسمي سقط من كتابك فقال (عليه السلام): ردوها عليه، ثم قال: الحمد لله الذي لم يصل إلى من هذا المال شيء.

ولما فرغ من تقسيم بيت المال قام خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنى أحمد الله على نعمه، قتل طلحة

والزبير وأيم الله لو كانت عائشة طلبت حقاً، وهانت باطلاً، لكان لها في بيتها مأوى، وما فرض الله عليها الجهاد، وأن أول خطأها في نفسها، وما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة، وما ازداد عدوكم إلا حقداً وما زادهم الشيطان إلا طغياناً ولقد جاءوا مبطلين وأدبروا ظالمين إن إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله، وإننا لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل ويجمعنا الله وإياهم يوم الفصل واستغفر الله لى ولكم.

أرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) ابن عباس إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل، وقله العرجة الإقامة فجاءها ابن عباس وهي في قصر بنى خلف في جانب البصرة، فطلب الإذن عليها فلم تأذن له، فجاء ابن عباس ودخل عليها بغير إذنها فإذا بيت قفار لم يعد له فيه مجلس، فإذا هي من وراء ستريين، نظر ابن عباس إلى ما في الحجرة، فوقع بصره على طنفسة على رحل، فمد الطنفسة وجلس عليها، فقالت عائشة من وراء الستريين يا بن عباس أخطأت السنة: دخلت بيتنا بغير إذننا، وجلست على متاعنا بغير إذننا.

فقال ابن عباس: نحن أولى بالسنة منك، ونحن علمناك السنة وإنما بيتك الذى خلفك فيه رسول الله فخرجت منه ظالمة لنفسك، غاشة لدينك، عاتية على ربك، عاصية لرسول الله، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلا بإذنك، ولم نجلس على متاعك إلا بأمرك، إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب بعث يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقله العرجة.

فقال ابن عباس: رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب.

فقال ابن عباس: هذا والله أمير المؤمنين، وإن تربدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس، أما والله لهو أمير المؤمنين، وأمس برسول الله رحماً، وأقرب قرابة، وأقدم سبقاً وأكثر علماً، وأعلى مناراً، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر.

فقال ابن عباس: أما والله إن كان إباؤك عدم قبولك فيه لتقصير المدة، عظيم التبعة، ظاهر الشؤم، بين النكر، وما كان إباؤك فيه إلا حلب شاء حتى صرت ما تأمرين ولا تنهين ولا تعرفين ولا تضعين، وما كان مثلك إلا كمثل ابن الحضرمي ابن يحماني أخى بنى أسد حيث يقول:

ما ذاك إهداء القصائد بيننا

شتم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركتهم كأن قلوبهم

فى كل مجمع طنين ذباب

سمعت عائشة فأراقت دمعها، وبدا عويلها ثم قالت: أخرج والله عنكم، فما فى الأرض بلد أبغض إلى من بلد تكونون فيه.

فقال ابن عباس: فلم؟ والله ماذا بلاؤنا عندك، ولا يضعنا إليك، إنا جعلناك للمؤمنين أمماً، وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبى قحافة: حامل قصاص الودك لابن جذعان إلى أضيافه.

فقال ابن عباس: يا بن عباس تمنون على رسول الله؟!

فقال ابن عباس: ولم لا نمن عليك بمن لو كان منك قلامه منه منتنتا به؟

ونحن لحمه ودمه ومنه، وما أنت إلا حشية من حشايا تسع، خلفهن بعده، لست بأبيضهن لونا ولا بأحسنهن وجهاً ولا بأرشدهن عرفاً، ولا بأنضرهن ورقاً، ولا بأضهرهن أصلاً، صرت تأمرين فتطاعين وتدعين فتجابين وما مثلك إلا كما قال أخو بنى فهر:

منتت على قومي فابدوا عداوة

فقلت لهم: كفوا العداوة والشكرا

ففيه رضا من مثلكم لصديقكم

وأحجى بكم أن تجمعوا البغى والكفرا

ثم نهض ابن عباس وأتى أمير المؤمنين فأخبره بمقاتلتها، وما رد عليها فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أما لو كنت أعلم بك حيث بعثتك.

استمرت الحرب من الزوال إلى الغروب، وقيل استمرت ثلاثة أيام.

وعلى كل فقد بلغ عدد القتلى خمسة وعشرين ألف قتيل.

ستة آلاف من أصحاب الإمام والباقون من أصحاب الجمل، وأما الأيدي والأرجل التي قطعت فقد بلغ عددها أربعة عشر ألفاً.

هكذا تروت الأرض بالدماء، وهكذا زهقت الأرواح ولا تسأل عن الجرحى ولا تسأل عن أرامل القتلى ويتأمامهم.

هذا والكلام طويل وفي هذا المقدار كفاية.

على في صفين

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا الليلة حول الحرب الثانية التي وقعت في أيام أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي واقعة صفين، تلك المجزرة الرهيبة، التي تقشعر الجلود من استماع الحوادث، والفجائع التي وقعت في تلك المعركة، وضياح الحق وغلبة الباطل عن طريق الخدعة والغدر والمكر والتزوير، وتتجلى صحيفة أمير المؤمنين نقيه بيضاء متألئته، وتتمثل فيها العدالة والتقوى والورع، نذكرها في صورة موجزة: لما انتهت غزوة الجمل في البصرة ووضعت الحرب أوزارها، ورجع الإمام (عليه السلام) إلى الكوفة مظفراً منصوراً، بعث كتاباً إلى معاوية يأمره بأخذ البيعة له (عليه السلام)، وبعث الكتاب بيد رجل إلى الشام، وجمع معاوية بعض مشاهير الشام وأمرهم بإشاعة هذا الخبر وإذاعته فيما بين الناس: (أن علياً قتل عثمان، ومعاوية ولي دم عثمان، فيجب الطلب بثار عثمان ودمه) ٩ وأعانه على هذه الفكرة عمرو بن العاص واشترط على معاوية أنه إذا بايعه وأعانه على حرب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخرجوا مصر من تحت سلطة أمير المؤمنين (عليه السلام) يكون عمرو بن العاص والياً وأميراً على مصر، فبايعه على ذلك وبايع أهل الشام معاوية أيضاً. فنهض معاوية بجيشه الجرار وأقبل إلى (صفين)، وهو اسم أرض كبيرة واسعة، مستعداً للقتال ونهض الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعسكره إلى ذلك المكان وبعد أيام من وصوله استعرت نار الحرب فيما بين الفريقين وجرت أنهار من الدماء، وتكونت أتلال وجبال من الأجساد المضرجة من القتلى من الفريقين.

فقد وصل أبو الأعور السلمي وهو على مقدمة جيش معاوية إلى منطقة صفين، الكائنة بالقرب من مدينة الرقة في سوريا، ونزلاً منزلاً اختاروه واسعا واستولوا على شريعة الفرات.

فوصل مالك الأشتر ومعه أربعة آلاف رجل وهم مقدمة الجيش العلوي، فاصطدموا بأبي الأعور وأزالوهم عن الفرات، فوصل معاوية مع الجيش الجرار، فانسحب الأشتر عن الفرات، فاستولى معاوية وأصحابه على شاطئ الفرات وصار الماء لديهم فوصل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعه مائة ألف إنسان ويزيدون، فأمر الإمام الجيش أن ينزلوا ويضعوا أثقالهم وأحمالهم، وتسرع بعضهم إلى ناحية معاوية واقتتلوا قتالاً قليلاً.

وتقدم طائفة من الناس إلى الفرات ليستقوا فمنعهم أهل الشام فأرسل الإمام (عليه السلام) صعصعة بن صوحان إلى معاوية رسولا يعاتبه على تسرعه بالاستيلاء على الماء وجرى هنا كلام طويل.

كان عمرو بن العاص ينصح معاوية ويأمره أن يفسح المجال لأصحاب على ليشربوا، ولكن غرور معاوية منعه عن قبول النصيحة، وخاصة بعد أن استولى أصحابه استيلاء تاماً على الفرات، حتى قال معاوية: يا أهل الشام هذا أول الظفر، لا سقاني الله ولا أباسفيان إن شربوا منه حتى يقتلوا بأجمعهم.

وتباشر أهل الشام من هذه البشرية السارة وهي التغلب على العدو عن طريق حبس الماء، فقام رجل من أهل الشام همداني متعبد وقال:

يا معاوية سبحان الله سبقتم القوم إلى الفرات وتمنعونهم الماء؟ أما الله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه، أليس أعظم ما تناولون من القوم أن تمنعوهم الفرات؟ أما تعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له؟؟ هذا والله أول الجور. فأغلط له معاوية في الكلام وقال لعمرو: اكفني صديقك، فأتاه عمرو وقابله بالكلام الخشن، فسار الهمذاني في سواد الليل حتى لحق بعلي (عليه السلام).

ومكث أصحاب علي (عليه السلام) يوماً وليلاً بغير ماء، واغتم الإمام (عليه السلام) من عطش أصحابه، لأنهم باتوا في البر عطاشاً، قد حيل بينهم وبين الورد إلى الماء، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إن علياً لا يموت عطشاً، هو وتسعون من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم، ولكن دعهم يشربون وتشرب. فقال معاوية: لا والله أو يموتون عطشاً كما مات عثمان.

وخرج الإمام في تلك الليلة يدور في عسكره فسمع قائلاً يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات؟

وفينا على وفينا الهدى

وفينا الصلاة وفينا الصيام

وفينا المناجون تحت الدجى

ثم مر بآخر فسمعه يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات؟

وفينا الرماح وفينا الحجف

وفينا على له صولة..

إذا خوفوه الردى لم يخف

ونحن غداة لقينا الزبير

وطلحة خضنا غمار التلف

فما بالنا أمس أسد العرين

وما بالنا اليوم شاء عجف

وألقى على الأشعث رقعة فيها شعر، فلما قرأها هاجت فيه الحمية، ودخل على الإمام.

فقال: يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا والسيوف في أيدينا؟ خل عنا وعن القوم، فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت.

فقال الإمام: ذلك إليكم.

فرجع الأشعث فنادى في الناس: من يريد الماء أو الموت فميعاده موضع كذا، فإني ناهض.

فخرج اثنا عشر ألف رجل من قبيلة كنده وغيرهم، واضعى سيوفهم على عواتقهم، وأقبل الأشر بخيله فحملوا على الفرات حملة رجل واحد وأخذت السيوف أهل الشام، فولوا مدبرين حتى غمست خيل أمير المؤمنين سناكبها في الفرات واستولوا على الماء، وأزالوا بالأعور عن الشريعة وغرقوا منهم بشرا وخيلاً، وارتحل معاوية عن ذلك الموضع، ولما صار الماء بأيديهم قالوا: لا والله لا نسقيهم، فأرسل إليهم أمير المؤمنين: أن خذوا حاجتكم من الماء وارجعوا إلى معسكركم، وخلوا بينكم وبين الماء فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم، وقالوا له: أمنعهم الماء كما منعوك، فقال: لا، خلوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون، واستأذنه معاوية في وروده المشرعة فأباح الإمام له ذلك.

كان الإمام (عليه السلام) يحاول المحافظة على السلم والسلام والأمان كما فعل يوم الجمل فلم يزل يرسل الأفراد إلى معاوية لتفاهم

وحسم النزاع وكان معاوية مصرا على الحرب والقتال.

وأخيرا اشتعلت نار الحرب واصطدم العسكران، فزحف بعضهم على بعض، وتراموا بالنبال والحجارة حتى فئيت، ثم تطاعنوا بالرمح حتى تكسرت ومشى بعضهم إلى بعض السيوف وعمد الحديد، فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض، وانكسفت الشمس وأمطرت السماء دما، وحملت الأفواج على الأفواج.

وحيث أن الحرب كانت قد طالت على الفريقين أراد كل جانب إنهاء الأمر وسئموا البقاء هناك، ولهذا تبادروا إلى القتال واستمرت الحرب ستة وثلاثين ساعة، واقترب الجيش العلوي من مقر قيادة الجيش الأموي وطلب معاوية فرسا لينهزم، وكان أهل الشام ينادون: يا معشر العرب: الله الله في الحرمات من النساء والبنات، الله الله في البقية، لقد فئيت العرب ... الخ.

اقترب الجيش العلوي من الفتح، ولاح لهم الظفر والنصر وتوجه الخطر إلى معاوية ولم يستطع المقاومة إلا عن طريق الخدعة والمكر، فأمر معاوية أصحابه في جوف الليل أن يربطوا المصاحف على رؤوس الرماح، وأصبح الصباح وإذا بأهل العراق يشاهدون خمسمائة مصحف على رؤوس الرماح وأهل الشام ينادون بما تقدم من كلامهم، ويستعطفون أهل العراق ويطلبون منهم ترك الحرب، وكان آخر كلامهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال الإمام: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون.

ومن هنا اختلف أصحاب على، فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب.

فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها، وكان عدى بن حاتم يرى أن الفتح والنصر قد اقترب، ويطلب من الإمام إدامه الحرب، وقام عمرو بن الحمق وطلب من الإمام أم يعمل بما يرى، فقام الأشعث بن قيس وقابل هؤلاء بالكلام الخشن وطلب كف القتال. فقال الإمام: إني أحق من أجب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وإني أعرف بهم منكم، صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال!!

ويحكم! إنها كلمة حق يراد بها الباطل، إنهم ما رفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيده، أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

استمرت الحرب من يوم شروعها إلى صبيحة ليلة الهرير مائة وعشرة أيام وبلغ عدد القتلى من أهل الشام تسعين ألفا ومن أهل العراق عشرين ألفا والمجموع مائة وعشرة آلاف كما ذكره المسعودي.

فجاء الإمام من أصحابه زهاء عشرين ألفا مقنعين في الحديد حاملي سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من كثرة السجود، وهم الذين صاروا بعد ذلك خوارج، فنادوا الإمام باسمه لا بإمرة المؤمنين وقالوا: يا على أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلها إن لم تجبهم.

فقال الإمام (عليه السلام): ويحكم!! أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجب ...

ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

كان مالك الأشتر في تلك الساعة يقاتل ويتقدم لحظة بعد لحظة، وجيش معاوية كان ينسحب وينقرض ساعة بعد ساعة ولو أمهلوا الأشتر ساعة واحدة لانتهدت الحرب.

فصاح هؤلاء: يا أمير المؤمنين ابعث إلى الأشتر ليأتيك.

فبعث الإمام رجلا إلى الأشتر: أن اتنى.

فقال الأشتر: ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تريلني عن موقفي، إني قد رجوت الفتح فلا تعجلني.

رجع الرسول فأخبر الإمام، وحمل الأشتر على أهل الشام وظهرت علامات الفتح، ولكن القوم قالوا: يا أمير المؤمنين ما نراك إلا أمرته

بالبقتال.

فقال الإمام: أرأيتموني شاورت رسولي إليه؟ أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟ فقالوا: ابعث إليه، وإلا فوالله اعترناك!! فذهب الرسول إلى الأشتر وأخبره عن اختلاف القوم، وما كان الأشتر يحب مغادرة جبهة القتال في تلك الساعة الحرجة فقال له الرسول: أتحب أنك ظفرت ههنا، وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه؟؟، فقال الأشتر: سبحان الله!! لا- والله، لا- أحب ذلك فقال الرسول: فإنهم قد حلفوا عليه لترسلن إلى الأشتر فليأتيك أو لقتلنك بأسيا فإنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمك إلى عدوك!! أقبل الأشتر مغضبا وصاح بالقوم: يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها...

فلا تجيبوهم، أمهلوني فإنني قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا نمهلك.

جرى كلام طويل وعتاب بين الأشتر والقوم وآل الأمر إلى السب والشتم والصياح، فصاح بهم الإمام، فكفوا، فصاح القوم: أم أمير المؤمنين قد رضى المحاكمة بحكم القرآن.

كان الإمام ساكتا لا يتكلم، والقوم يتكلمون، ولما سكتوا قال الإمام: أيها الناس إن أمرى لم يزل معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب...

إلا: إنى أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت منهيها، وقد أحببتكم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون.

اضطرب أقوال الرجال وقام الرؤساء وتكلموا بما تكلموا من الموافقة على رأى الإمام ورفض المحاكمة، ولكن المهرجين نشروا هذه الكلمة: إن أمير المؤمنين رضى التحكيم.

ودخل الأشعث بن قيس رأس الفساد واستأذن من الإمام ليكون رسولا إلى معاوية فأذن له الإمام، فجاء الأشعث ودخل على معاوية وقال: لأى شىء رفعتم هذه المصاحف؟ فقال معاوية: لرجع إلى ما أمر الله به فيها، فابعثوا رجلا منكم ترضون به، ونبعث رجلا منا، ونأخذ عليهما أن يعملما بما فى كتاب الله، ولا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقنا عليه.

فرجع الأشعث.

فأقبل جماعة من أصحاب الإمام وجماعة من أصحاب معاوية واجتمعوا بين الصفيين وتذاكروا حول انتخاب (الحكم) فانتخب أهل الشام عمرو بن العاص، وانتخب الأشعث ونظراؤه أبا موسى الأشعري فرفض الإمام أبا موسى ولم يرض به، وقال الأشعث وجماعة: لا نرضى إلا به، فلم يوافق الإمام وانتخب ابن عباس ليكون (حكما) فلم يرض الأشعث بابن عباس لأنه من أقارب الإمام فاختر الأشتر فلم يرضوا به.

جادل الأشعث بكل وقاحة وصلافه، ورد على الإمام جميع مقترحاته وبقي مصرا على الأشعري، فقال الإمام: فاصنعوا ما شئتم! وكان يصفق بيديه ويقول: يا عجبا! أعصى ويطاع معاوية؟!!

أرسلوا إلى أبى موسى وكان فى الشام فجاء إلى معسكر الإمام، فجاء الأشتر ورشح نفسه ليكون هو الحكم، وجاء الأحنف بن قيس وحذر الإمام من الأشعري وعجزه وضعف نفسه ورشح نفسه للحكم فوافق الإمام على ذلك، ولكن الناس رفضوا وقالوا: لا يكون إلا أبا موسى.

وكتبوا كتاب المواعدة وهذه صورته: هذا ما تقاضى عليه على أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان...

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: بنس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته!! أعيد الكتاب إلى الإمام وأخبروه فأمر الإمام بمحو كلمة (أمير المؤمنين) فنهاه الأحنف عن ذلك، فقال الأشعث: أمح هذا الاسم!! ... فقال الإمام: إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب

الكتاب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو... فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إني إذن لظالم لك... ولكن أكتب: محمد بن عبد الله.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا على إني لرسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ولن يمحو عنى الرسالة كتابي لهم. إن ذلك الكتاب أنا كتبه بيننا وبين المشركين، واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شيها ومثلا. فقال عمرو بن العاص: سبحان الله! أشبهنا بالكفار ونحن مسلمون؟ فقال الإمام: يا بن النابغة ومتى لم تكن للكافرين وليا وللمسلمين عدوا؟ ولما أرادوا تنظيم الكتاب سألو الإمام: أقرر أنهم مسلمون مؤمنون؟ فقال الإمام: ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما شاء ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمى نفسه بما شاء وأصحابه. فكتبوا الكتاب، وكان في أعلى الكتاب خاتم أمير المؤمنين وفي أسفله خاتم معاوية وشهد الشهود عليها وخرج الأشعث بالكتاب وقرأه على أهل العراق فهاج الناس وظهرت الفتنة والانقسام والتفرقة وتكونت الخوارج وصاحوا: لا حكم إلا لله. فأين قتلانا يا أشعث؟ وحمل بعضهم على الأشعث ليقته.

وأقبل الناس إلى الإمام مستنكرين للحكومة وطلبوا من الإمام نقض العهد والرجوع إلى الحرب فقال الإمام: ويحكم! أبعده الرضا والميثاق والعهد نرجع؟ أليس الله تعالى قد قال: أوفوا بالعقود؟ وقال: (أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً). [١٤١].

فبرأ الخوارج من الإمام وبرأ منهم، وأقبل الجيش يستأذنون الإمام بالهجوم على معاوية فقال الإمام (عليه السلام): لو كان هذا قبل المعاهدة وطر الصحيفة لأرلتهم عن عسكرهم.

توجه الأشعري للاجتماع بابن العاص للمحاكمة، فحذره الناس عن ابن العاص وغدره ومكيدته وسوء سوابقه حتى يتخذ التدابير اللازمة ويكون على بصيرة من أمره، ولكن كان كل هذا بلا جدوى بلى كانت النتيجة معكوسة. اجتمع الحكمان في المكان المعد لهما فقال عمرو: تكلم يا أبا موسى فقال الأشعري: بل أنت تكلم. فقال عمرو: ما كنت لأفعل وأقدم نفسي قبلك، ولك حقوق كلها واجبة...

فتكلم أبو موسى فقال عمرو: إن للكلام أولاً وآخرأ ومتى تنازعنا الكلام لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله، فاجعل ما كان من كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا؟ فقال أبو موسى: اكتب، دعى عمرو بصحيفة وكتب.

وبعد سؤال وجواب وخداع وتزوير قال الأشعري: قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً، وأن أهل الشام لا يحبون علياً أبداً، فهلم نخلعهما ونستخلف عبد الله بن عمر بن الخطاب.

فقال عمرو: أيفعل ابن عمر؟ قال: نعم، إذا حملة الناس على فعل ذلك فعل.

فقال عمرو: فهل لك في سعد بن أبي وقاص؟ قال: لا.

فذكر ابن العاص جماعة والأشعري لا يرضى بهم.

فقال عمرو: قم واخطب.

فقال الأشعري: قم أنت واخطب فامتنع ابن العاص وقام الأشعري وخرج من الخيمة وقد اجتمع أربعمائه رجل من أصحاب الإمام ومثلهم من أصحاب معاوية.

فقام الأشعري وخطب خطبة وقال: أيها الناس إنا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الألفه خلعتنا علياً ومعاوية، وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتى هذه، وخلع عمامته...

وقام عمرو وقال: أيها الناس إن أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع علياً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب، وهو أعلم به، ألا وأنى

خلعت علياً وأثبت معاويةً علياً وعليكم...

فقال الأشعري كذب عمرو ولم نستخلف معاويةً ولكننا خلعنا معاويةً وعلياً! فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع علياً ولم أخلع معاويةً.

فقال الأشعري: ما لك؟ لا وفقك الله غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

فقال عمرو: بل إياك يلعن الله، كذبت وغدرت إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا.

فضرب عمرو أبا موسى فسقط وضرب شريحاً عمراً بالسوط، فركب الأشعري راحلته وتوجه إلى مكة وحلف أن لا ينظر في وجه علي.

على والخوارج

بسم الله الرحمن الرحيم

لما تقرر التحكيم غادر الإمام (عليه السلام) صفين وقصد نحو الكوفة، وبقي في الكوفة، فوقع تحكيم الحكيم، وأنتج ذلك التحكيم

خلع الإمام (عليه السلام) عن الإمامة وتثبيت معاوية، ومن هنا تكون مذهب الخوارج وكان الإمام (عليه السلام) ينتظر انقضاء السنة...

وهي مدة الهدنة التي بينه وبين معاوية ليرجع إلى المقاتلة والحرب، وإذا بأربعة آلاف فارس من أصحابه العباد والنساک قد تكتلوا

كتلة واحدة ضد الإمام فخرجوا من الكوفة لإعلان المخالفة، وقالوا: لا حكم إلا لله، ولا طاعة لمن عصى الله!! وانضمت إليهم جماعة

أخرى وهم ثمانية آلاف ممن يرى رأيهم فصاروا اثني عشر ألفاً، من أهل الكوفة والبصرة وغيرها وساروا إلى أن نزلوا الحروراء،

ونادى مناديهم: إن أمير القتال شيبث بن ربعي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله على الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر.

فدخل زرع الطائي وحر قوص بن زهير ذو الثدي فقلنا: لا حكم إلا لله.

فقال علي (عليه السلام): كلمة حق يراد بها الباطل.

قال ذو الثدي: فتب من خطيتك، وارجع عن قصتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا.

فقال (عليه السلام): قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً، وأعطينا عليها عهداً ومواثيق، وقد قال

الله تعالى: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم). [١٤٢].

قال ذو الثدي: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه.

فقال (عليه السلام): ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي وضعف في العقل، وقد تقدمت فنهيتكم عنه.

فقال ابن الكوا: الآن صح عندنا أنك لست بإمام، ولو كنت إماماً لما رجعت.

فقال (عليه السلام) ويلكم قد رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عام الحديبية عن قتال أهل مكة.

وقال زرع: أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه! فقال (عليه السلام): بؤساً لك! ما

أشقاك! كأنى بك قتيلاً، تسفى عليه الرياح، قال زرع: وددت أنه كان ذلك.

بعث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) صعصعة بن صوحان مع زياد بن نضر وعبد الله بن العباس إلى القوم فلم يرتدعوا، فدعى الإمام

صعصعة وقال له: بأى القوم رأيتم أشد طاعة؟ فقال صعصعة: بيزيد بن قيس الأرحبي، فركب (عليه السلام) إلى حروراء حتى وصل

إلى خيمة يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج، فاتكأ على قوسه، وأقبل على الناس فقال: هذا مقام من فلج فيه فلج إلى يوم

القيامة، ثم كلمهم وناشدهم فقال لهم: ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم: إن هذه مكيدة ووهن، ولو أنهم

قصدوا إلى حكم المصاحف لأتونى وسألونى التحكيم؟ أتعلمون أن أحداً أكره إلى التحكيم منى؟ قالوا: صدقت.

قال: فهل تعلمون أنكم استكرهتمونى على ذلكم حتى أجبتمكم، فأشرفت أن حكمهما: نافذ ما حكما بحكم الله، فمتى خالفاه فأنا

وأنتم من ذلك براء، وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني؟

فقال ابن الكواء: حكمت في دين الله برأينا، ونحن مقرون بأنا كفرنا ولكن تائبون فأقرر بمثل ما أقررنا به، وتب نهض معك إلى الشام. فقال (عليه السلام): أما تعلمون أن الله قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامرأته؟ فقال: (فابعثوا حكما من أهله وحكماً من أهلها)، [١٤٣] وفي صيد (كأرب) يساوي نصف درهم فقال: (يحكم به ذوا عدل منكم).

فقالوا: فإن عمرو بن العاص لما أبي عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبدالله على أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت على بن أبي طالب، فقد خلعت نفسك.

فقال (عليه السلام): لي أسوء برسول الله (صلى الله عليه وآله) حين أبي عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: هذا ما كتبه محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسهيل بن عمرو وقال: لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك، ولكني أقدمك لفضلك، فاكذب محمد بن عبدالله فقال لي: يا علي، امح رسول الله.

فقلت: يا رسول الله لا تشجعي نفسي على محو اسمك من النبوة.

ففضي عليه فمحا بيده ثم قال: اكتب محمد بن عبدالله.

ثم تبسم إلى وقال: إنك لتسام مثلها فتعطى.

فقالوا: إنا أذنبنا ذنبا عظيما، وقد تبنا، فب إلى الله كما تبنا نعد لك.

فقال علي (عليه السلام): أستغفر الله من كل ذنب.

فرجعوا معه منهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا: أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا، وقالوا: إنما ينتظر أن يسمن الكراع ويجيء المال ثم ينهض بنا إلى الشام.

فأتى الأشعث عليا (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس قد تحدثوا: أنك رأيت الحكومة تحكيم الحكيمين ضلالاً والإقامة عليها كفرًا.

فقام علي (عليه السلام) فخطب فقال: من زعم أني رجعت عن الحكيمين فقد كذب، ومن رآها ضلالة فقد ضل.

فخرجت الخوارج من المسجد، ثم توجهت إلى النهروان.

ووقعت لهم في طريقهم إلى النهروان طرائف عجيبة وقضايا مبكية ومضحكة، فمنها: أنهم وجدوا مسلما ونصرانيا في طريقهم، فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر إذ كان علي خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم.

ووثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فمه فصاحوا به، فلفظها تورعا.

ورأى أحدهم خنزيرا فضربه وقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض وأنكروا قتل الخنزير.

وساوموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بالثمن، فقال النصراني: واعجابه أقتلون مثل عبدالله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة إلا بالثمن؟! وأما عبدالله بن خباب الأزدي، فإنه كان راكبا على حمار ومعه زوجته وهي حامل فقالوا له: حدثنا.

قال سمعت أبي يقول: قال رسول الله: ستكون بعدى فتنة، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فكن عند الله المقتول ولا تكن القاتل.

قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيرا.

قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم؟ وفي عثمان في السنين الست الأخيرة؟ فأثنى خيرا.

قالوا: فما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة؟ قال: إن عليا أعلم بالله وأشد توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة.

قالوا: إنك تتبع الهوى، إنما تتبع الرجال على أسمائهم، ثم قربوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه وذبحوه، ثم عمدوا إلى امرأته فشقوا بطنها وهي حامل! وصل القوم إلى النهروان وتوجه الإمام (عليه السلام) بجيشه إليهم، فقال (عليه السلام): يا ابن عباس امض إلى هؤلاء القوم،

فانظر ما هم عليه، ولماذا اجتمعوا؟ فلما وصل إليهم، دار بينهم ما يلي: الخوارج.

ويحك يا ابن عباس: كفرت بربك كما كفر صاحبك على بن أبي طالب! وخرج خطيبهم عتاب بن الأعرور التغلبي فسأله ابن عباس:

ابن عباس: من بنى الإسلام؟

عتاب: الله ورسوله.

ابن عباس: النبي أحكم أموره وبين حدوده أم لا؟

عتاب: بلى.

ابن عباس: فالنبي بقي في دار الإسلام أم ارتحل؟

عتاب: بل ارتحل.

ابن عباس: فأمر الشرع ارتحلت معه أم بقيت؟

عتاب: بل بقيت بعده.

ابن عباس: فهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه؟

عتاب: نعم الذرية والصحابة.

ابن عباس: فعمروها أو خربوها.

عتاب: بل عمروها.

ابن عباس: فالآن هي معمورة أم خراب؟

عتاب: بل خراب.

ابن عباس: خربها ذريته أم أمته؟

عتاب: بل أمته.

ابن عباس: أنت من الذرية أم من الأمة؟

عتاب: من الأمة.

ابن عباس: أنت من الأمة وخربت دار الإسلام فكيف ترجو الجنة؟

فقالوا: ليخرج إلينا على بنفسه لنسمع كلامه عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه فرجع ابن عباس فأخبره، فركب (عليه السلام) في

جماعة، ومضى إليهم فركب ابن الكوا في جماعة منهم، فلما التقوا قال الإمام (عليه السلام): يا بن الكوا إن الكلام كثير، فأبرز إلى من

أصحابك لأكلمك.

فقال: وأنا آمن من سيفك؟ قال (عليه السلام): نعم.

فخرج إليه في عشرة من أصحابه فقال له على (عليه السلام): ألم أقل لكم إن أهل الشام إنما يخدعونكم بها الحكومة ورفع المصاحف

وغير ذلك فإن الحرب قد عضتكم فذروني أناجزهم فأبيتم؟ ألم أرد نصب ابن عمي ابن عباس وقلت: إنه لا ينخدع فأبيتم إلا

أباموسى؟ وقلتم: رضينا به حكما.

فأجبتكم كارها؟ ولو وجدت في ذلك الوقت أعوانا غيركم لما أجبتكم، وشرطت على الحكيمين بحضوركم.

أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته.

والسنه الجامعة، وإنهما إن لم يفعلا فلا طاعة لهما على؟ كان ذلك أو لم يكن؟ قال ابن الكوا: صدقت، كان هذا كله، فلم لا نرجع

الآن إلى حرب القوم؟ قال الإمام (عليه السلام): حتى تنقضى المدة التي بيننا وبينهم.

قال ابن الكوا: وأنت مجمع على ذلك؟ قال (عليه السلام): نعم، لا يسعني غيره، فعاد ابن الكوا والعشرة الذين معه إلى أصحاب على

(عليه السلام) راجعين عن دين الخوارج وتفرق الباكون وهم يقولون: لا حكم إلا لله.

وأمروا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي وذا الثدية، وعسكروا بالنهروان، وخرج الإمام (عليه السلام) حتى بقى على فرسخين منهم، وكاتبهم وراسلهم، فلم يرتدعوا، فأمر الإمام ابن عباس أن يركب إليهم، وقال: سلهم ما الذي نتموه؟ وأنا ردفك فلا تخف منهم.

فلما جاءهم ابن عباس قال: ما الذي نتمتم من أمير المؤمنين؟ قالوا: نتمنا أشياء لو كان حاضرًا لكفرناه بها!! والإمام يسمع كلامهم فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين قد سمعت كلامهم وأنت أحق بالجواب.

فتقدم (عليه السلام) وقال: أيها الناس أنا علي بن أبي طالب، فتكلموا بما نتمتم علي.

قالوا: نتمنا عليك أولاً: إنا قاتلنا بين يديك بالبصرة، فلما أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية، فكيف حل لنا ما في المعسكر ولم يحل لنا النساء؟ فقال (عليه السلام): يا هؤلاء، إن أهل البصرة قاتلونا بالقتال، فلما ظفرتهم بهم قسمتم سلب من قاتلكم، ومنعتكم من النساء والذرية، فإن النساء لم يقاتلن، ولدوا على الفطرة، ولم ينكثوا ولا ذنب لهم، ولقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من علي المشركين، فلا تعجبوا إن مننت على المسلمين فلم أسب نساءهم ولا ذريتهم.

قالوا: نتمنا عليك يوم صفين كونك محوت اسمك من إمرة المؤمنين فإذن لم تكن أميرنا، ولست أميرنا لنا!! قال (عليه السلام): يا هؤلاء إنما اقتديت برسول الله (صلى الله عليه وآله) حين صالح سهيل بن عمرو وقد تقدمت عنهم في ذلك الوقت.

قالوا: نتمنا عليك.

أنك قلت للحكمين: انظروا كتاب الله، فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة.

فإذا كنت شاكا في نفسك فنحن فيك أشد وأعظم شكا! قال (عليه السلام): إنما أردت بذلك النصفه الإنصاف فإني لو قلت: أحكما لي دون معاوية لم يرض ولم يقبل، ولو قال النبي (صلى الله عليه وآله) لنصارى نجران لما قدموا عليه: تعالوا نبتهل فأجعل لعنة الله عليكم.

فلم يرضوا، ولكن أنصفهم من نفسه كما أمره الله فقال: (فنجعل لعنة الله على الكافرين) [١٤٤] فأنصفهم من نفسه، فكذلك فعلت أنا ولم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خدعة أبي موسى.

قالوا: فإنا نتمنا عليك أنك حكمت حكما في حق هو لك.

فقال (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حكم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل، وأنا اقتديت به، فهل بقى عندكم شيء؟ فسكتوا وصاح جماعة منهم من كل جانب: التوبة التوبة يا أمير المؤمنين فأعطى أمير المؤمنين رايه أمان مع أبي أيوب الأنصاري، فناداهم أبو أيوب من جاء إلى هذه الراية أو خرج من الجماعة فهو آمن.

فرجع منهم ثمانية آلاف، فأمر (عليه السلام) المستأمنين بالاعتزال وبقى أربعة آلاف منهم مستعدين للقتال، فخطبهم الإمام ووعظهم فلم يرتدعوا، وصاح مناديتهم فيهم: دعوا مخاطبة علي وأصحابه، وبادروا إلى الجنة.

وصاحوا: الرواح إلى الجنة!! وتقدم حرقوص ذو الثدية وعبدالله بن وهب وقالوا: ما نريد بقتلنا إياك إلا وجه الله والدار الآخرة، فقال (عليه السلام): (هل أنبتكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) [١٤٥] فكان أول

من خرج أخنس بن العزيز الطائي، فقتله الإمام (عليه السلام) وخرج عبدالله بن وهب ومالك بن الوضاح، وخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) وقتل الوضاح وضرب ضربه على رأس الحرقوص وقتله، وأمر أصحابه بالهجوم على العدو. عند ذلك استعرت الحرب

والتهبت نيرانها، وأما عبدالله بن وهب الراسبي فصاح: يا ابن أبي طالب: والله لا نبرح من هذه المعركة حتى تأتي علي أنفسنا ونأتي علي نفسك، فأبرز إلى وأبرز إليك، وذر الناس جانبا، فلما سمع الإمام كلامه تبسم وقال: قاتله الله من رجل ما أقل حياءه، أما أنه ليعلم إنني

حليف السيف وخدين الرمح، ولكنه قد يئس من الحياة، وإنه ليطمع طمعا كاذبا، ثم حمل عليه الإمام فضربه وقتله وألحقه بأصحابه في النار، واختلط الجيشان فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف، ولم ينج منهم إلا تسعة أنفس: رجلان هربا إلى

خراسان إلى أرض سجستان وبها نسلهما، ورجلان صارا إلى اليمن وفيهما نسلهما (وهم الإباضية)، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف بالسن والبوارخ نواحي تكريت في شمال العراق والباقون تفرقوا في البلاد. وقتل من أصحاب علي (عليه السلام) بعدد من سلم من الخوارج.

الغارات الثلاث على بلاد الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

لما وقع التحكيم في صفين وحصل الانشقاق والافتراق في أصحاب الإمام وتكونت الخوارج انتهز معاوية الفرصة فكان يرسل الجيوش إلى بلاد الإمام (عليه السلام) ويفتك بالناس ويهاجمهم غدرا وصبرا.

وقد تكررت منه هذه الجريمة والجناية، ونقتطف ثلاث غارات شنها معاوية على المسلمين وأقام المجازر والمذابح وبلغ أقصى مراتب القساوة والوحشية والهمجية، نذكر لكم كل غارة بشيء من التفصيل: الغارة الأولى روى ابن أبي الحديد عن ابن الكنوز قال: حدثني سفيان بن عوف الغامدي قال: دعاني معاوية فقال: إني باعثك في جيش ذي أداة وجلادة، فالزم لي جانب الفرات حتى تمر ب(هيت) فتقطعها، فإن وجدت بها جندا فأغر عليهم، وإلا فامض حتى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جندا فامض حتى توغل المدائن ثم أقبل إلى: واتق أن تقرب الكوفة واعلم: أنك إن أغرت على الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة إن هذه الغارات يا سفيان: على أهل العرق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فينا هوى منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، واخر ب كل ما مررت به من القرى، وصرب الأموال شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلب.

هذه وصايا معاوية، هكذا يأمر عميله بالقتل والحرق والهدم والسلب والنهب بقوم مسلمين مؤمنين، ومع ذلك هو أمير المؤمنين!! قال سفيان: فخرجت من عنده فعسكرت، وقام معاوية في الناس فخطبهم فقال: أيها الناس، انتدبوا مع سفيان بن عوف فإنه وجه عظيم فيه أجر، سريعه فيه أوبتكم إن شاء الله.

ثم نزل.

فو الله الذي لا إله غيره ما مرت ثالثة حتى خرجت في ستة آلاف، ثم لظمت شاطئ الفرات، فأغذذت (أسرعت) السير حتى أمر بهيت فبلغهم أنى قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها وما بها غريب، كأنها لم تحلل قط، فوطأتها حتى أمر بصدوراء ففروا، فلم ألق بها أحدا، فأمضى حتى أفتتح الأنبار، وقد أنذروا بي، فخرج صاحب المسلحة إلى، فوقف فلم أقدم عليه حتى أخذت غلمانا من أهل القرية فقلت لهم: أخبروني كم بالأنبار من أصحاب علي؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنهم تددوا ورجعوا إلى الكوفة، ولا ندرى الذي يكون فيها، قد يكون مائتي رجل.

فنزلت فكتبت أصحابي كتاب، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلهم والله ويصبر لهم ويطاردهم، ويطاردونه في الأرقه، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحو من مائتين، وأتبعتهم الخيل، فلما حملت الخيل وأمامها الرجال تمشى لم يكن شيء حتى تفرقوا، وقتل صاحبهم في نحو ثلاثين رجلا، وحملا ما كان من الأنبار من الأموال، ثم انصرفت، فوالله ما غزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون، ولا أسر للنفوس منها وبلغني أنها رعبت الناس، فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه فقال: كنت عند ظني بك.

ولا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه مثل ما يقضى فيه أميره، وإن أحببت تولية وليتك، وليس لأحد من خلق الله عليك أمر دوني

...

الخ.

وصلت هذه الأخبار إلى الإمام (عليه السلام) فصعد المنبر فخطب الناس وقال: إن أخاكم البكري عامل الأنبار قد أصيب، وهو اختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفاً أنكتموهم عن العراق أبدا ما بقوا.

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيئوه أو يتكلم منهم متكلم، فلم ينيس أحد منهم بكلمة، فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشى حتى أتى النخيلة والناس خلفه حتى أحاط به القوم من أشرفهم، فقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين: نحن نكفيك فقال: ما تكفونني، ولا تكفون أنفسكم!! فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله، فرجع وهو واجم ساكت كئيب، ودعى سعيد بن قيس الهمداني.

فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف وذلك أنه أخبر أن القوم جاءوا في جمع كثيف فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفيان بن عوف حتى إذا بلغ عانات سرح أمامه هاني بن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم حتى أدنى قسرين، فقد فاتوه فانصرف.

ولبث الإمام (عليه السلام) ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم سعيد بن قيس، وكان (عليه السلام) تلك الأيام عليلاً، فلم يقو على القيام في الناس بما يريده من القول، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد، ومعه ابناه الحسن والحسين (عليهما السلام) وعبدالله بن جعفر، ودعا سعدا مولاه فدفع إليه الكتاب وأمره أن يقرأ على الناس، فقام سعد بحيث يستمع أمير المؤمنين صوته، ثم قرأ الخطبة: أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشملته البلاء، وديث بالصغار والقمار، وضرب على قلبه بالأسداد وأدب الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف.

ألا:

وإني قد دعوتكم إلى قتال القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا.

فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحتها.

ولقد بلغني: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع منها حجلها وقلبها وقلائدها ورعاها ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلاً منهم كلم ولا أريق لهم دم، فلو أن امرءاً مسلماً مات بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً.

فيا عجباً، عجباً والله يميم القلب، ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حركم، فقبحا لكم وترحاً! حين صرتم غرضاً يرمى! يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر.

وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد.

كل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر.

يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال! وعقول ربات الحجال! لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفةً والله جرت ندما وأعقت سدماً! قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدرى غيظاً، وجرعتموني نعب التهمام على أنفاسا، وأفسدتم على رأبي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب!! لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد مراساً وأقدم فيها مقاماً مني؟ ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأى لمن لا يطاع!! الغارة الثانية وهذه جنانية أخرى قام بها أحد عملاء معاوية وهو بسر بن أرطأة أو ابن أبي أرطأة.

روى ابن أبي الحديد: أن قوماً بصنعاء اليمن كانوا من أتباع عثمان يعظمون قتله، لم يكن لهم نظام ولا رأس، فبايعوا لعلي (عليه السلام) على ما في أنفسهم، وعامل أمير المؤمنين على صنعاء يومئذ عبيدالله بن العباس وعامله على الجند سعيد بن نمران، فلما اختلف الناس على علي (عليه السلام) بالعراق وقتل محمد بن أبي بكر بمصر، وكثرت غارات أهل الشام، تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان، فبلغ ذلك عبيدالله بن العباس فأرسل إلى الناس من وجوههم، ما هذا الذي بلغني عنكم؟ قالوا: إنا نفكر في قتل عثمان، ونرى مجاهدة من

سعى عليه.

فحبسهم، فكتبوا إلى من في الجند من أصحابهم فساروا بسعيد بن نمران وأخرجوه من الجند، وأظهروا أمرهم، وخرج إليهم من كان بصنعاء وانضم إليهم كل من كان على رأيهم، ولحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم، إرادة أن يمنعوا الصدقة، فالتقى عبيدالله بن العباس يسعيد بن نمران ومعهما شيعة علي (عليه السلام)، فقال ابن العباس لابن نمران: والله لقد اجتمع هؤلاء، وإنهم لنا لمقاربون وإن قاتلناهم لا نعلم علي من تكون الدائرة؟ فهل لنكتب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بخبرهم.

فكتب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام): أما بعد.

فإننا نخبر أمير المؤمنين أن أتباع عثمان وثبوا بنا، وأظهروا أن معاوية قد شيد أمره، واتسق له أكثر الناس وإنا سرنا بشيعة أمير المؤمنين، ومن كان على طاعته، إلخ.

فلما وصل كتابهما ساء عليا (عليه السلام) وأغضبه، وكتب إليهما: من علي أمير المؤمنين إلى عبيدالله بن العباس وسعيد بن نمران.

سلام الله عليكم، فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد.

فإنه لما أتاني كتابكما تذكرا في خروج هذه الخارجة وتعظمان من شأنها صغيرا، وتكثران من عددها قليلا، وقد علمت أن نخب جين أفئدتكما وصغر أنفسكما، وشتات رأيكما وسوء تدبيركما هو الذي أفسد عليكم من كان عن لقائكما جيانا، فإذا قام رسولي عليكم فامضيا إلى القوم حتى تقرئا عليهم كتابي إليهم، وتدعوهم إلى حظهم، وتقوى ربهم، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم، وإن حاربوا استعنا بالله عليهم ونابذناهم على سواء إن الله لا يحب كيد الخائنين.

فكتب (عليه السلام): من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء.

أما بعد: فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا يعقب له حكم ولا يرد له قضاء، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين، وقد بلغني تجرؤكم وشقاؤكم وإعراضكم عن ديتكم بعد الطاعة، وإعطاء البيعة، فسألت أهل الدين الخالص والورع الصادق واللب الراجح عن بدء مخرجكم وما نويتهم به وما أحمشكم له فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيء عذرا منه مينا، ولا مقالا جميلا ولا حجة ظاهرة، فإذا أتاكم رسولي فتنفروا، وانصرفوا إلى رحابكم، أعف عنكم، وأصفح عن جاهلكم وأحفظ قاصيكم، وأعمل فيكم بحكم الكتاب، فإن لم تفعلوا فاستعدوا لقدم جيش جم الفرسان، عظيم الأركان يقصد لمن طغى وعصى، فتظنحوا كطحن الرحي، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

وأرسل الكتاب مع رجل من همدان، فقدم عليهم بالكتاب، فلم يجيبوه إلى خير، فقال لهم: إنني تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي في جيش كثيف، فلم يمنعه إلا انتظار جوابكم.

فقالوا: نحن سامعون إن عزل عنا هذين الرجلين عبيدالله وسعيدا.

فرجع الهمداني إلى علي (عليه السلام) فأخبره خبر القوم، وكتبت تلك العصابة حينئذ إلى معاوية يخبرونه، فلما قدم كتابهم دعا معاوية بسر بن أرطأة، وكان قاسي القلب، فظا سفاكا للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة فأمره أن يأخذ طريق الحجاز ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا- تنزل على بلد على طاعة علي إلا- بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاه لهم، وأنك محيط بهم ثم اكفف عنهم، وادعهم إلى البيعة لي! فمن أبي فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا!! سار بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف، وكان إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها، وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر فيردون تلك الإبل، ويركبون إبل هؤلاء لئلا يصل الخبر إلى البلاد التي يقصدونها فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب المدينة فاستقبلتهم قضاة ينحرون لهم الجزر حتى دخلوا المدينة، وعامل علي (عليه السلام) على المدينة يومئذ: أبوأيوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فخرج عنها هاربا، ودخل بسر المدينة فخطب الناس وشتهم وتهددهم يومئذ وتوعدهم، وقال: شامت الوجوه، إن الله تعالى ضرب مثلا: (قرية كانت آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغدا فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف). [١٤٦].

وقد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله، كان بلدكم مهاجر النبي ومنزله، وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده، فلم تشكروا نعمة ربكم ولم ترعوا حق نبيكم، وقتل خليفة الله بين أظهركم، فكنتم بين قاتل وخاذل، ومتربص وشامت، إن كان للمؤمنين قلتم: ألم نكن معكم؟! وإن كان للكافرين نصيب قلتم: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين؟!.

ثم شتم الأنصار فقال: يا معشر اليهود! وأبناء بني زريق! وبني النجار، وبني سالم وبني عبد الأشهل! والله لأوقعن بكم وقعة تشفى غليل صدور المؤمنين، وآل عثمان، أما والله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة!!.

فتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم، ففزعوا إلى حويطب بن عبد العزى، ويقال إنه زوج أمه.

فصعد إليه المنبر وناشده، وقال: عترتك وأنصار رسول الله، وليست بقتله عثمان.

فلم يزل به حتى سكن ودعا الناس إلى بيعه معاوية فبايعوه ونزل، فأحرق دورا كثيرة.

منها دار زرارة بن حرون، ودار أبي أيوب الأنصاري، وفقد جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: ما لي لا أرى جابرا؟ يا بني سلمة. لا أمان لكم عندي أو أن تأتونى بجابر.

فعاذ جابر بأمر سلمة زوجة النبي، فأرسلت إلى بسر بن أرطأة فقال: لا آمنه حتى يبيع.

فقال أم سلمة اذهب فبيع.

وقالت لابنها عمر: اذهب فبيع، فذهبا فبايعاه.

ثم خرج إلى مكة، فلما قرب منها هرب قثم بن العباس، وكان عامل على (عليه السلام) ودخلها بسر، فشتم أهل مكة وأنبهم، ثم خرج عنهم واستعمل عليهم شيبه بن عثمان، وفي طريقه من المدينة قتل رجلا وأخذ أموالا، ثم دخل الطائف وشتم وقتل، ثم دخل نجران وشتم وقتل، حتى دخل صنعاء، وقد خرج عنها عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران، وقد استخلف عبيد الله عليها عمرو بن أراكه، فمنع بسرا عن دخولها، وقاتله فقتله بسر ودخل صنعاء فقتل منها قوما، وأتاه وفد مأرب فقتلهم فلم ينج منهم إلا رجل واحد.

ثم خرج بسر من صنعاء، فأتى أهل جلسان وهم شيعه على (عليه السلام) فقاتلهم وقاتلوه فهزمهم، وقتلهم قتلا ذريعا، ثم رجع إلى صنعاء فقتل بها مائة شيخ من أبناء فارس، لأن ابني عبيد الله بن العباس كانا مستترين في بيت امرأة من أبناءهم وذبح بسر ابني عبيد الله بمدية كانت معه، (وكانا طفلين صغيرين وهما: عبدالرحمن وقثم) فلما أراد ذبحهما قيل: وكانا عند رجل من بني كنانة، فقال له الكناني: ولم تقتل هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلتهما فاقتلني معهما. قال: أفعل.

فقتله، ثم ذبحهما (!!)، فخرجت نسوة من بني كنانة، فقالت امرأة: يا هذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين؟ والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والإسلام!!

والله يا بن أرطأة إن سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير، والشيخ الكبير، ونزع الرحمة، وعقوق الأرحام لسطان سوء!! فلما سمعت أم الطفلين خبر ذبح ولديها أصابها وله على ابنيها، فكانت لا تعقل ولا تصغى إلا قول من أعلمها أنهما قد قتلا، ولا تزال تطوف في الموسم تنشد الناس ابنيها بهذه الأبيات:

ها من أحس بابني اللذين هما

كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بابني اللذين هما

سمعى وقلبي اليوم مردهف

يا من أحس بابني اللذين هما

مخ العظام فمخى اليوم مختطف

نبث بسرا وما صدقت ما زعموا
من قولهم، ومن الإفك الذى اقترفوا
أنحى على ودجى ابنى مرهفة
مشحودة، وكذاك الإفك يقترف
حتى لقيت رجالاً من أرومته
شم الأنوف فى قومهم شرف
فالآن ألعن بسراً حق لعنته
هذا لعمر أبى بسر هو السرف
من دل والهة حرى مولهة
على حبيبن ضلا إذ غدى السلف
ولما بلغت هذه الأخبار إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) جزع جزعا شديدا، ودعا على بسر لعنه الله وقال: اللهم أسلبه دينه، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله.

فأصابه ذلك وفقد عقله، وكان يهذى بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ، فلا يزال يضربه حتى يسأم أو يغشى عليه إلى أن مات عليه لعنة الله.

وبلغ عدد القتلى الذين قتلهم بسر فى الحجاز واليمن ثلاثين ألفا، سوى الذين أحرقتهم بالنار، وعدا الدور التى هدمها. والخطب الأفظع الذى ارتكبه عميل معاوية بسر بن أرطأة هم أنه لما أغار على قبيلة همدان، وهم شيعة على أمير المؤمنين (عليه السلام): قتل رجالهم وسبى نساءهم، فكن أول مسلمات سبين فى الإسلام، ولقد أشار سيدنا أبوذر الغفارى إلى هذه الجناية التى تقشع منها الجلود جلود أهل الغيرة والحمية والإيمان بقوله: وأما يوم العورة: فإن نساء من المسلمات سبين، فيكشف عن سوقهن جمع ساق فأيتهن كانت أعظم ساقا اشترت على عظم ساقها، فدعوت الله أن لا يدركنى هذا الزمان. فصدرت هذه الجناية من بسر بن أرطأة.

أنه بعد أن سبى نساء الشيعة من همدان وذهب بهم إلى الشام فأقامهن فى السوق، وعرضهن للبيع كما ذكرنا. ووصلت هذه الأخبار الفجيعة إلى أمير المؤمنين وهو فى الكوفة وكان (عليه السلام) يجلس كل يوم فى موضع من المسجد الأعظم يسبح به بعد الغداة إلى طلوع الشمس، فلما طلعت نهض إلى المنبر فضرب بإصبعه على راحته وهو يقول: ما هى إلا الكوفة، ما هى إلا الكوفة، أقبضها وأبسطها، إن لم تكونى إلا أنت، تهب أعاصيرك، فقبحك الله، ثم تمثل بقول الشاعر:

لعمر أبىك الخير يا عمرو: إننى

على وضر من ذا الإناء قليل

ثم قال:

أنبث بسرا قد اطلع على اليمن، وإنى والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقتكم عن حقاكم، وبمعصيتكم إمامكم فى الحق، وطاعتهم إمامهم فى الباطل وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخياتكم صاحبكم، وبصلاحهم فى بلادهم وفسادكم، فلو أتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته: اللهم: إنى قد مللتهم وملونى، وسئمتهم وسئمونى، فأبدلنى بهم خيرا منهم، وأبدلهم شرا منى، اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح فى الماء.

أما والله لوددت أن لى بكم ألف فارس من بنى فراس بن غنم:

هنالك لو دعوت أتاك منهم

فوارس مثل أرمية الحميم

ثم نزل (عليه السلام) من المنبر. الغارة الثالثة ذكر ابن أبي الحديد أنه أرسل معاوية النعمان بن بشير وآباهريه إلى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يسألانه أن يدفع قتله عثمان إلى معاوية ليقصص منهم، لعل الحرب أن تطفأ ويصطلح الناس، وإنما أراد معاوية أن يرجع مثل النعمان وأباهريه من عند علي (عليه السلام) وهم لمعاوية عاذرون ولعلي لاثمون، لأن معاوية كان يعلم أن عليا لا يدفع قتله عثمان إليه، فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك، وأن يظهر عذره.

فقال لهما معاوية: اثبتا عليا فانشده الله وسلاه (أسألاه) بالله لما دفع إلينا قتله عثمان، فإنه قد آواهم أو منعهم، ثم لا حرب بيننا وبينه، فإن أبي فكونوا شهداء لي عليه وأقبلا على الناس وأعلماهم ذلك.

فأتيا عليا (عليه السلام) فدخلوا عليه فقال أبوهريرة: يا أبا الحسن، إن الله قد جعل لك في الإسلام فضلا وشرفا: أنت ابن عم محمد رسول الله وقد بعثنا إليك ابن عمك معاوية يسألك أمرا تسكن به هذه الحرب، ويصلح الله تعالى به ذات البين.

أن تدفع إليه قتله عثمان ابن عمه فيقتلهم به، ويجمع الله تعالى أمرك وأمره، ويصلح بينكم وتسلم هذه الأمة من الفتنة والفرقة. ثم تكلم النعمان بنحو من هذا، فقال (عليه السلام): دعا الكلام في هذا، حدثني يا نعمان: أنت أهدى قومك سيلا؟ (يعني الأنصار) فقال: لا.

قال فكل قومك تبعني إلا شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة أفتكون أنت من الشذاذ؟ فقال النعمان: أصلحك الله إنما جئت لأكون معك والأزمك، وقد كان معاوية سألني أن أؤدى هذا الكلام، ورجوت أن يكون لي موقف أجمع فيه معك، وطمعت أن يجرى الله بينكما صلحا، فإذا كان غير هذا رأيك فأنا ملازم وكائن معك.

فأما أبوهريرة فلحق بالشام، وأقام النعمان عند علي (عليه السلام)، فأخبر أبوهريرة معاوية بالخبر فأمره أن يعلم الناس ففعل، وأقام النعمان بعده، ثم خرج فارا من علي (عليه السلام) حتى إذا مر بعين التمر، أخذه مالك بن كعب الأرحبي وكان عامل علي عليها، فأراد حبسه وقال له: ما مر بك ههنا؟ قال: إنما أنا رسول، بلغت رسالة صاحبي ثم انصرفت. فحبسه مالك وقال: كما أنت حتى أكتب إلى علي فيك.

فناشده، وعظم عليه أن يكتب إلى علي فيه، فأرسل النعمان إلى قرطبة بن كعب الأنصاري وهو كاتب عين التمر يجبي خراجها لعلي (عليه السلام)، فجاءه مسرعا فقال لمالك: خل سبيل ابن عمي يرحمك الله.

فقال يا قرطبة اتق الله ولا تتكلم في هذا فإنه إن كان من عباد الأنصار ونساکهم كيف يهرب من أمير المؤمنين إلى أمير المنافقين؟ فلم يزل يقسم عليه حتى خلى سبيله وقال له: يا هذا الأمان اليوم والليله وغدا، والله لئن أدرتتك بعدها لأضربن عنقك.

فخرج مسرعا لا يلوى على شيء، وذهبت به راحلته فلم يدر أين تتكع من الأرض ثلاثة أيام لا يعلم أين هو، ثم قدم إلى معاوية فخره بما لقي، ولم يزل معه مصاحبا له، يجاهد عليا ويتبع قتله عثمان حتى غزى الضحاک بن قيس أرض العراق ثم انصرف إلى معاوية، فقال معاوية: أما من رجل أبعث معه بجريده خيل حتى يغير علي شاطئ الفرات فإن الله يربع بها أهل العراق؟ فقال له النعمان: فابعثني فإن لي في قتالهم نية وهوى وكان النعمان عثمانيا قال: فانتدب علي اسم الله.

فانتدب وندب معه ألفي رجل وأوصاه أن يتجنب المدن والجماعات، وأن لا يغير إلا على مسلحة، وأن يعجل الرجوع. فأقبل النعمان حتى دنى من عين التمر، وبها مالك بن كعب الأرحبي الذي جرى له ما ذكرناه ومع مالك ألف رجل، وقد أذن لهم، فقد رجعوا إلى الكوفة، فلم يبق معه إلا مائة أو نحوها، فكتب مالك إلى علي (عليه السلام): أما بعد: فإن النعمان بن بشير قد نزل بي في جمع كثيف، فمر رأيك سددك الله تعالى وثبتك والسلام.

فوصل الكتاب إلى علي (عليه السلام)، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم، فإن النعمان بن بشير قد نزل في جمع من أهل الشام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفا.

ثم نزل، فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمر أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئاً. واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة فارس أو دونها فقام (عليه السلام) فقال: (منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أباً لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحمضكم؟ أقوم فيكم مستصرخاً، وأنا ديككم متغوثناً فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثأر، ولا يبلغ بكم مرام، دعوتكم إلى نصره إخوانكم، فخرجتم جرجرة الجمل الأسر، وتناقلتم تناقل الأديب، ثم خرج إلى منكم جنيد متدائب ضعيف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون).

على بقلمه ولسانه

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يحب أن يحمد، وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير البرية.

قال الله تعالى: (بل الإنسان على نفسه بصيرة). [١٤٧].

أيها الإخوان: لقد ذكرنا في الليالي الماضية شيئاً من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) حول نفسه ومواهبه ومزاياه ومواقفه، الليلة: نستمع إلى شيء من خطبه (عليه السلام) المشتملة على فضائله وفواضله، وخصائصه، ومكارم أخلاقه، وبعبارة أخرى نستمع إلى تاريخ حياته من لسانه، ونقرأ كتاباً خاصاً كتبه (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف وإلى البصرة وهو من جلائل كتبه ورسائله ومشاهيرها، وقد رأيت ترجمته بلغات عديدة، ويمتاز هذا الكتاب عن غيره لأنه بقلم رئيس حكومة كان يحكم على نصف الكرة الأرضية، وحياة الناس ومماتهم بين شفتيه، وكنوز الذهب والفضة تحت يده، ومع ذلك كله ومع تلك الإمكانيات اختار لنفسه أبسط معيشة وأزهد حياة لا يستطيع أي فرد من أفراد البشر أن يسلك طريقته ويكون مثله، ضع يدك على من شئت وقارن بين حياته وحياة أمير المؤمنين فيظهر لك صدق هذا الكلام، وتعرف أن الإمام هو الرجل الوحيد في مواهبه ومزاياه.

نستمع إلى كلامه ونقرأ كتابه بقلمه، فإنه أعرف بنفسه من غيره، ومهما ظهرت نفسيات الإنسان وصفاته واطلع عليها الناس ومع ذلك فإن في حياة الإنسان الداخلية والخارجية أسراراً وسرائراً وخفايا ونوايا لا يطلع عليها أحد إلا الله تعالى والإنسان نفسه، فالإنسان أبصر بنفسه من غيره وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (بل الإنسان على نفسه بصيرة). [١٤٨].

لم يقصد الإمام (عليه السلام) من بيان هذه الأمور تزيئة نفسه بل بيان حقائق عن شخصيته لا يستطيع أحد أن يناقشه فيها أو يكابر. وهنا نقتطف من خطبه الشيء اليسير ومن رسائله رسالة واحدة وفيها الكفاية.

الخطبة الشقية

أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير فسدت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتأى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم منها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها المؤمن حتى يلقي ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده (ثم تمثل بقول الأعشى):

شتان ما يومى على كورها

ويوم حيان أخى جابر

فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها [١٤٩] ويخشن مسها.

ويكثر العثار فيها.

والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشق لها خرم.

وإن أسلس لها تقحم، فمضى الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أنى أحدهم فيا لله وللشورى! متى اعتراض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكنى أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا.

فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصوره، مع هن وهن، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حزنه بين ثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة [١٥٠] الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله.

وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته، فما راعنى إلا والناس كعرف الضبع إلى ينتالون على من كل جانب. حتى لقد وطئ الحسان.

وشق عطفای، مجتمعين حولي كريضه الغنم، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفه ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين). [١٥١].

بلى والله لقد سمعوها ووعوها.

ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها.

أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر.

وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها.

ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز...

(قالوا) وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه قال له ابن عباس رضی الله عنه: يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت.

فقال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت!!

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفى على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين (عليه السلام) بلغ منه حيث أراد.

قوله: (كراكب الصعبة إن أشق لها خرم وإن أسلس لها تقحم)، يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها

وإن أرخى عليها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها، يقال: أشق الناقة إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه وشنقها أيضاً، ذكر ذلك

ابن السكيت في إصلاح المنطق.

خطب أخرى له

ومن كلام (عليه السلام)

ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله) أنى لم أردّ على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسى فى

المواطن التى تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمنى الله بها.

ولقد قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإن رأسه على صدرى، ولقد سألت نفسه فى كفى فأمرتها على وجهى.

ولقد وليت غسله (صلّى الله عليه وآله) والملائكة أعوانى، فضجت الدار، والأفنية ملأً يهبط وملأً يعرج، وما فارقت سمعى هينمة منهم

(الهينمة: الصوت الخفى) يصلون عليه حتى واريناه فى ضريحه.

فما أحق به منى حياً وميتاً؟ فأنفذوا بصائرکم، ولتصدق نياتکم فى جهاد عدوکم.

فوالذى لا إله إلا هو إنى لعلى جادة الحق وإنهم لعلى مزلة الباطل أقول ما تسمعون وأستغفر الله لى ولكم.

ومن كلام له (عليه السلام)

والله لأئن أبیت على حسك السعدان مسهداً، وأجرّ فى الأغلال مصفداً، أحب إلی من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيءٍ من الحطام.

وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلی البلى قفولها، ويطول فى الثرى حلولها، والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحنى من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غير الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظم، وعاودنى مؤكداً وكرر على القول مردداً، فأصغيت إلیه سمعى، فظن أنى أبيع دينى، وأتبع قياده مفارقاً طريقى فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذى دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها.

فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه؟ وتجرنى إلی نار سجرها جبارها لغضبه؟ أئن من الأذى؟ ولا أئن من لظى؟ وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة فى وعائها، ومعجونه شنتتها، كأنما عُجنت بريق حية أو قيئها، فقلت: أصله أم زكاه أم صدقة؟ فذلك محرم علينا أهل البيت.

فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية.

فقلت: هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتنى لتخدعنى؟ أمخبط أنت؟ أم ذو جنه أم تهجر؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نمله أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وإن دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها! ما لعلى ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى؟ نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين.

ومن خطبة له (عليه السلام)

أما بعد أيها الناس.

فأنا فقأت عين الفتنة، ولم تكن ليحراً عليها أحد غيرى، بعد أن ماج غيبها، وأشدت كلبها، فاسألونى قبل أن تفقدونى فوالذى نفسى بيده لا-تسألونى عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئه تهدى مائه وتضل مائه إلا أنأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ويموت منهم موتاً، ولو قد فقدتمونى ونزلت بكم كرائه الأمور وحواذب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثيراً من المسؤولين. ومن خطبه له (عليه السلام) أيها الناس إنى قد بثت لكم المواعظ التى وعظ الأنبياء بها أممهم.

وأدبت إليكم ما أدت الأوصياء إلی من بعدهم.

وأدبتكم بسوطى فلم تستقيموا.

وحدوتكم بالزواج فلم تستوتقوا.

الله أئنتم! أتوقعون إماماً غيرى يظأ بكم فى الطريق، ويرشدكم السبيل؟

ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبراً وأزمع الترحال عباد الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى، بكثير من الآخرة لا يفنى.

ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء؟ يسيغون الغصص ويشربون الرنق.

قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن، بعد خوفهم؟ أين إخوانى الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاهدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلی الفجرة؟ (قال ثم ضرب بيده على لحيته الشريفه الكريمة فأطال البكاء).

ثم قال (عليه السلام): أوه على إخواني الذين تلاوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه أحيوا السنه وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فأتبعوه (ثم نادى بأعلى صوته): الجهاد...
الجهاد عباد الله.

ألا وإنى معسكر فى يومى هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج.
ومن كلام له (عليه السلام)

لم تكن بيعتكم إياى فلتة، وليس أمرى وأمركم واحداً، إنى أريدكم لله وأنتم تريدونى لأنفسكم، أيها الناس، أعينونى على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزائمه، حتى أوردنه منهل الحق وإن كان كارهاً. ومن كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصارى وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: أما بعد يا بن حنيف فقد بلغنى أن رجلاً من فتيه أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه.

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به ويستضىء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه ألا: وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينونى بورع واجتهاد، وعفة وسداد.

فوالله ما كنت من دنياكم تيراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالى ثوبى طمراً.

بلى كانت فى أيدينا فذك من كل ما أظلمته السماء، فشخت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين.

ونعم الحكم الله وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها فى غد حدث تنقطع فى ظلمته آثارها وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد فى فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغظها الحجر والمدر، وسدّ فدجها التراب المتراكم؟، وإنما هى نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنه يوم الخوف الأكبر، وثبت على جوانب المزلق.

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبنى هواى ويقودنى جشعى إلى تخير الأطمعة.

ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص ولا عهد له بالشعب.

أو أبيت مبطاناً وحولى بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت بيطنة

وحولك أكباد تحن إلى القد

أفقع من نفسى بان يقال أمير المؤمنين؟ ولا أشاركهم فى مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم فى جشوبة العيش.

فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله شغلها تقمها، تكثرش من أعلافها وتلهو عما يراد بها.

أو أترك سدى أو أهمل عابئاً، أو أجر جبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة.

وكأنى بقائلكم يقول: إذا كان (هذا) قوت ابن أبى طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان.

ألا: وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً، وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.

والله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد فى أن اطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدره من بين حب الحصيد.

إليك عنى يا دنيا فجلبك على غاربك، قد انسلت من مخالبك، وأفلت من حباتك، واجتنت الذهاب فى مداحضك.

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك؟ أين الأمم الذين فنتتهم بزخارفك؟ ها هم رهائن القبور ومضامين اللحد. والله لو كنت شخصاً مرثياً وقالياً حسياً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمانى وأمم ألقيتهم فى المهاوى، وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر.

هيهات من وطئ دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن ازورّ حباثك وُفق.

والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه عنى.

فو الله لا أذل لك فتستذلى، ولا أسلس لك فتقودينى.

وأيم الله يميناً أستثنى فيها بمشيئة الله لأروضن نفسى رياضته تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعن مقلتى كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها.

أتمتلى السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل على من زاده فيهجج؟ قرت إذا عينه! إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية.

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها! وعركت بجنبها بؤسها.

وهجرت فى الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها، فى معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاقت عن مضاجعهم جنوبهم.

وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) [١٥٢] فاتق الله يا ابن حنيف وتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك.

فى كتاب الأنوار النعمانية عن كتاب المناقب مسنداً إلى صعصعة بن صوحان: أنه دخل على أمير المؤمنين (عليه السلام) لما ضرب فقال: يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم آدم أبو البشر؟ قال على (عليه السلام) تركية المرء نفسه قبيح.

لكن قال الله تعالى لآدم: (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)، [١٥٣] وأنا أكثر الأشياء أباحها لى وتركتها وما قاربته.

ثم قال: أنت أفضل يا أمير المؤمنين أم نوح؟ قال على: إن نوحاً دعا على قومه، وأنا ما دعوت على ظالمى حقى، وابن نوح كان كافراً، وابنائى سيد شباب أهل الجنة.

وقال: أنت أفضل أم موسى؟ قال (عليه السلام): إن الله تبارك وتعالى أرسل موسى إلى فرعون فقال: (إنى أخاف أن يقتلون) حتى قال الله تعالى: (لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون) [١٥٤] قال: (رب إنى قتلت منهم نفساً وأخاف أن يقتلون) [١٥٥] وأنا ما خفت حين أرسلنى رسول الله بتبليغ سورة البراءة أن أقرأها على قريش فى الموسم مع إنى كنت قتلت كثيراً من صناديدهم، فذهبت بها وقرأتها عليهم وما خفتهم.

ثم قال: أنت أفضل أم عيسى بن مريم؟ قال على: عيسى كانت أمه فى بيت المقدس فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: أخرجى، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وأنا أمى فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت فى الحرم فانشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول: أدخلنى فدخلت فى وسط البيت، وأنا ولدت فيه، وليس لأحد هذه الفضيلة، لا قبلى ولا بعدى.

على ينعى نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين على المصيبة وصلى الله على محمد وآله المظلومين.

قال الله تعالى: (من المؤمنين رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً). [١٥٦].

نبدأ حديثنا من هذه الليلة حول شهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلقد سبق أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبر علياً بأنه يفوز بالشهادة في سبيل الله، ففي يوم أحد تأسف الإمام أمير المؤمنين على حرمانه الشهادة في ذلك اليوم فقال له النبي: إنها من ورائك.

ويوم الخندق لما ضربه عمرو بن عبدود على رأسه كانت الدماء تسيل على وجهه الشريف فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشد جرحه ويقول له: أين أنا يوم ضربك أشقى الآخرين على رأسك ويخضب لحيتك من دم رأسك؟؟
وخطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في آخر جمعه من شهر شعبان وذكر ما يتعلق بشهر رمضان، فقام على (عليه السلام) وقال: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل، ثم بكى النبي فقال (عليه السلام): ما يبكيك؟ فقال: يا علي أبكى لما يستحل منك في هذا الشهر! كأنى بك وأنت تصلى لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك، قال الإمام: وذلك في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك... الخ.

وكان الإمام (عليه السلام) كثيراً ما يخبر الناس بشهادته واختصاب لحيته الكريمة بدم رأسه، وحينما أتاه عبدالرحمن بن ملجم ليبيعه نظر على في وجهه طويلاً ثم قال: أرأيتك إن سألتك عن شيء وعندك منه علم هل أنت مخبر عنه؟ قال: نعم، وحلفه عليه فقال: أكنت تواضع الغلمان وتقوم عليهم وكنت إذا جئت فأوك من بعيد قالوا: قد جاءنا ابن راعية الكلاب؟؟ فقال: اللهم نعم.
فقال له: مررت برجل وقد أيفعت (صرت يافعاً) فنظر إليك نظراً حاداً فقال: أشقى من عاقر ناقة ثمود؟ قال: نعم قال: قد أخبرتك أمك أنها حملت بك في بعض حيضها؟ فتتعتع هنيئاً ثم قال: نعم.

فقال الإمام: قم فقام، قال (عليه السلام): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (قاتلك شبه اليهودي بل هو اليهودي).
وقد تكرر منه (عليه السلام) أن رأى ابن ملجم فقال: أريد حياته ويريد قتلي، وفي تلك السنة الأخيرة من حياته والشهر الأخير من حياته كان يخبر الناس بشهادته فيقول: ألا وإنكم حاجوا العام صفاً واحداً، وآية (علامة) ذلك أنى لست فيكم.
فعلم الناس أنه يعنى نفسه، ولم يكنف (عليه السلام) بذلك بل كان يدعو على نفسه ويسأل من الله تعالى تعجيل الوفاة، وتارة كان يكشف عن رأسه وينشر المصحف على رأسه ويرفع يديه للدعاء قائلاً: اللهم إني قد سئمتهم وسئمونى ومللتهم وملونى، أما أن تخضب هذه من هذا ويشير إلى هامته ولحيته.

وقبل الواقعة أخبر (عليه السلام) أخته أم كلثوم بأنه رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يمسح الغبار عن وجهه ويقول: يا على لا عليك، قضيت ما عليك.

وكان الإمام قد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة، وفي شهر رمضان من تلك السنة كان الإمام يفطر ليلة عند ولده الحسن وليلة عند ولده الحسين وليلة عند ابنته زينب الكبرى زوجة عبدالله بن جعفر وليلة عند ابنته زينب الصغرى المكناة بأم كلثوم.
وفي الليلة التاسعة عشر كان الإمام (عليه السلام) في دار ابنته أم كلثوم فقدمت له فطوره في طبق فيه: قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن حامض، فأمر الإمام ابنته أن ترفع اللبن، وأفطر بالخبز والملح، ولم يشرب من اللبن شيئاً لأن في الملح كفاية، وأكل قرصاً واحداً، ثم حمد الله وأثنى عليه، وقام إلى الصلاة، ولم يزل راکعاً وساجداً ومبتهاً ومتضرعاً إلى الله تعالى، وكان يكثر الدخول والخروج وينظر إلى السماء ويقول: هي، هي والله الليلة التي وعدنيها حبيبي رسول الله.

ثم رقد هنيئاً وانتبه مرعوباً وجعل يمسح وجهه بثوبه، ونهض قائماً على قدميه وهو يقول: اللهم بارك لنا في لقائك.
ويكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ثم صلى حتى ذهب بعض الليل، ثم جلس للتعقيب، ثم نامت عيناه وهو جالس، ثم انتبه من نومته مرعوباً، وقالت أم كلثوم: قال لأولاده: إني رأيت في هذه الليلة رؤيا هالتي وأريد أن أقصها عليكم قالوا: وما هي؟ قال: إني رأيت الساعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منامى وهو يقول لى: يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب، يجىء إليك

أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك، وأنا والله مشتاق إليك، وإنك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان، فهلم إلينا فما عندنا خير لك وأبقى.

قال: فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل، فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا، ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر قالت أم كلثوم: لم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ثم يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت، وإنها الليلة التي وعدت بها، ثم يعود إلى مصلاه ويقول: اللهم بارك لي في الموت.

ويكثر من قول: (أنا لله وأنا إليه راجعون) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويصلى على النبي (صلى الله عليه وآله) ويستغفر الله كثيراً قالت أم كلثوم فلما رأته في تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت: يا أبتاه ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟ قال: يا بني إن أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفاً، وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ثم قال: (أنا لله وأنا إليه راجعون).

فقلت يا أبا ما لك تنعى نفسك منذ الليلة؟ قال: بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل قالت أم كلثوم: فبكيت فقال لي يا بني لا تبكي فإني لم أقل ذلك إلا بما عهد إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ثم إنه نعس وطوى ساعة ثم استيقظ من نومه، وقال: يا بني إذا قرب الأذان فأعلميني.

ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى قالت أم كلثوم: فجعلت أرقب الأذان فلما لاح الوقت أتيتته ومعى إناء فيه ماء، ثم أيقظته فأسبغ الوضوء، وقام ولبس ثيابه وفتح بابه ثم نزل إلى الدار وكان في الدار إوز قد أهدى إلى أخى الحسين (عليه السلام) فلما نزل خرجن وراءه ورفرن، وصحن في وجهه.

وكان قبل تلك الليلة لم يصحن فقال (عليه السلام): لا إله إلا الله، صوائح تتبعها نوائح، وفي غداة غد يظهر القضاء.

فقلت: يا أبتاه هكذا تطير؟ فقال: بنية ما منا أهل البيت من يتطير ولا يتطير به.

ولكن قول جرى على لساني ثم قال: يا بني بحقك عليك إلا ما أطلقتيه، وقد حبست ما ليس له لسان، ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه واسقيه وإلا خلى سبيله يأكل من حشائش الأرض.

فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فتعلق الباب بمزوره فانحل مزوره حتى سقط فأخذه وشده وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت

فإن الموت لا يقيك

ولا تجزع من الموت

إذا حل بناديكا

كما أضحك الدهر

كذاك الدهر يبيكيك

ثم قال: اللهم بارك لنا في الموت اللهم بارك لنا في لقاءك قالت أم كلثوم: وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك قلت: واغوثاه يا أبتاه أراك تنعى نفسك منذ الليلة قال: يا بني ما هو بنعاء ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضاً، فامسكى عن الجواب، ثم فتح الباب وخرج قالت أم كلثوم: فجئت إلى أخى الحسن (عليه السلام) فقلت: يا أخى قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا وهو قد خرج في هذا الليل الغلس فالحقه فقام الحسن بن على (عليه السلام) وتبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فأمره الإمام بالرجوع فرجع.

وأما عدو الله: عبدالرحمن بن ملجم فكان على رأى الخوارج وكانت بينه وبين قطام حب وغرام، وقطام قد قتل أبوها وأخوها وزوجها

في النهروان، وقد امتلأ قلبها غيظاً وعداءً لأمير المؤمنين وأراد ابن ملجم أن يتزوجها فاشترطت عليه أن يقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) فاستعظم هذا الأمر وطلبت منه ثلاثة آلاف دينار وعبداً وقينةً (جارية) وينسب إليه هذه الأبيات:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة

كمهر قطام من فصيح وأعجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة

وضرب على بالحسام المصمم

وقيل إنه تعاهد هو ورجلين على قتل معاوية وعمرو بن العاص واختار الثالث قتل معاوية، فقصد البرك بن عبدالله التميمي مصر ليقتل ابن العاص، ولم يخرج ابن العاص تلك الصبيحة فأرسل رجلاً يقال له: خارجة بن تميم، فلما وقف في المحراب صربه البرك ظناً منه أنه ابن العاص فمات خارجة من تلك الضربة.

وأما الآخر ويقال له: العنبري فإنه قصد الشام يقصد قتل معاوية وتعرف بمعاوية وجعل يدخل عليه ويلطف له في الكلام وينشده الأشعار حتى صارت صبيحة يوم التاسع عشر من شهر رمضان وجاء معاوية للصلاة وثار إليه العنبري ورفع السيف ليضرب عنقه فأخطأ الضربة فوق السيف على إلية معاوية، ولم يقتل من ضربته بل جرح جرحاً براء بالمعالجة.

وأما عبدالرحمن بن ملجم فقد جاء تلك الليلة وبات في المسجد ينتظر طلوع الفجر ومجيء الإمام للصلاة وهو يفكر حول الجريمة العظمى التي قصد ارتكابها ومعه رجلان: شبيب بن بحرة ووردان بن مجالد يساعده على قتل الإمام.

وسار الإمام إلى المسجد فصلى في المسجد، ثم صعد المأذنة ووضع سبابتة في أذنيه وتحنح، ثم أذن، فلم يبق في الكوفة بيت إلا اخترقه صوته، ثم نزل عن المأذنة وهو يسبح الله ويقده ويكبره، ويكثر من الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان يتفقد النائمين في المسجد ويقول للنائم: الصلاة، يرحمك الله، قم إلى الصلاة المكتوبة ثم يتلو: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر). لم يزل الإمام يفعل ذلك حتى وصل إلى ابن ملجم وهو نائم على وجهه وقد أخفى سيفه تحت إزاره فقال له الإمام: يا هذا قم من نومك هذا فإنها نومة يمقتها الله، وهي نومة الشيطان، ونومة أهل النار بل نم على يمينك فإنها نومة العلماء، أو على يسارك فإنها نومة الحكماء، أو نم على ظهرك فإنها نومة الأنبياء.

نعم، الشمس تشرق على البر والفاجر والكلب والخنزير وكل رجس وقذر، والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يفيض من علومه على الأخيار والأشرار وينصح السعداء والأشقياء ولا يبخل عن الخير حتى لأشقى الأشقياء، ويرشد كل أحد حتى قاتله!! ثم قال له الإمام: لقد هممت بشيء تكاد السماوات أن يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً، ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك ثم تركه، واتجه إلى المحراب، وقام قائماً يصلي، وكان (عليه السلام) يطيل الركوع والسجود في صلاته، فقام المعجزة الشقى لإنجاز أكبر جريمة في تاريخ الكون!! وأقبل مسرعاً يمشى حتى وقف بازاء الاسطوانة التي كان الإمام يصلي عليها، فأملهه حتى صلى الركعة الأولى وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها فتقدم اللعين وأخذ السيف وهزه ثم ضربه على رأسه الشريف فوقع الضربة على مكان الضربة التي ضربه عمر بن عبدود العامري.

فوقع الإمام على وجهه قائلاً: بسم الله وعلى ملء رسول الله ثم صاح الإمام: قتلني ابن ملجم قتلني ابن اليهودية، أيها الناس لا يفوتكم ابن ملجم.

أخبر الإمام عن قاتله كيلا يشبهه الناس بغيره فيقتلون البريء، كما قتل في حادثه قتل عمر بن الخطاب جماعة من الأبرياء المساكين الذين هجم عليهم عبيدالله بن عمر وقتلهم.

حتى في تلك اللحظة يحافظ الإمام على النظام وعلى حياة الناس، نبع الدم العييط من هامة الإمام وسال على وجه المنير، وخضب لحيته الكريمة وصدق كلام الرسول ووقع ما أخبر به، لم يفقد الإمام وعيه وما انهارت أعصابه بالرغم من وصول الضربة إلى جبهته

وبين حاجبيه، فجعل يشد الضربة بمئزره ويضع عليها التراب، ولم يمهل الدم فقد سال على صدره وأزياقه، وعضاً من التأوه والتألم والتوجع كان يقول (صلوات الله عليه): فزت ورب الكعبة! هذا ما وعد الله ورسوله! وصدق الله ورسوله! استولت الدهشة والذهول على الناس، وخاصة على المصلين في المسجد، وفي تلك اللحظة هتف جبرائيل بذلك الهتاف السماوي.

لم نسمع في تاريخ الأنبياء أن جبرائيل هتف يوم وفاة نبي من الأنبياء أو وصى من الأوصياء، ولكنه هتف ذلك الهتاف لما وصل السيف إلى هامة الإمام وهو بعد حي، هتف بشهادته كما هتف يوم أحد بفتوته وشهامته يوم قال: لا فتى إلا على ولا سيف إلا ذو الفقار.

فاصطفت أبواب الجامع وضجت الملائكة في السماء بالدعاء وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة ونادى جبرائيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى وانفصمت والله العروة الوثقى قتل ابن عم محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) قتل الوصي المجتبي قتل على المرتضى، قتل والله سيد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء. فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرائيل لطمت على وجهها، وخدها وشقت جيها وصاحت: وأبتاه واعلياه وامحمداه واسيدها. وخرج الحسن والحسين فإذا الناس ينوحون وينادون: وإماماه وأمير المؤمنين، قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم قط وكان أشبه الناس برسول الله.

فلما سمع الحسن والحسين (عليهما السلام) صرخات الناس ناديا: وأبتاه واعلياه ليت الموت أعدمنا الحياة، فلما وصلا إلى الجامع ودخلا وجدا أباجعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلي بالناس. فلم يطق على النهوض، وتأخر عن الصف وتقدم الحسن (عليه السلام) فصلى بالناس، وأمير المؤمنين (عليه السلام) صلى إيماء من جلوس وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمته يميل تارة ويسكن أخرى والحسن (عليه السلام) ينادى: وانقطع ظهراه! يعز والله على أن أراك هكذا ففتح الإمام (عليه السلام) عينه.

وقال: يا بني لا جزع على أبيك بعد اليوم! هذا جدك محمد المصطفى وجدتك خديجة الكبرى وأمك فاطمة الزهراء والهور العين محدقون فينتظرون قدوم أبيك، فطب نفساً وقر عيناً وكف عن البكاء، فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء. ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدرهن إلى الجامع ينظرون إلى الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام) فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن (عليه السلام) ورأس أبيه في حجره وقد غسل الدم عنه، وشد الضربة وهي بعدها تشخب دمًا ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بطرفه، ولسانه يسبح الله ويوحده، وهو يقول أسألك يا رب الرفيع الأعلى.

فأخذ الحسن (عليه السلام) رأسه في حجره فوجدته مغشياً عليه فعندها بكى بكاء شديداً وجعل يقبل وجه أبيه وما بين عينيه وموضع سجوده فسقط من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين (عليه السلام) ففتح عينيه فرآه باكياً.

فقال له الإمام (عليه السلام): يا بني يا حسن ما هذا البكاء؟ يا بني لا روع على أبيك بعد اليوم! يا بني أتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدى مسموماً مظلوماً؟ ويقتل أخوك بالسيف هكذا؟ وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما؟ فقال له الحسن (عليه السلام): يا أبتاه ما تعرفنا من قتلك؟ ومن فعل بك هذا؟ قال (عليه السلام): قتلني ابن اليهودية: عبدالرحمن بن ملجم المرادي فقال: يا أباه من أي طريق مضى؟ قال لا يمضى أحد في طلبه فإنه سيطلع عليكم من هذا الباب.

وأشار بيده الشريفة إلى باب كنده.

ولم يزل السم يسرى في رأسه وبدنه ثم أغمى عليه ساعة والناس ينتظرون قدوم الملعون من باب كنده، فاشتغل الناس بالنظر إلى الباب ويرتقبون قدوم الملعون وقد غص المسجد بالعالم ما بين باكي ومحزون فما كان إلا ساعة وإذا بالصيحة قد ارتفعت، من الناس وقد جاءوا بعدو الله ابن ملجم مكتوفاً هذا يلعنه وهذا يضربه.

فوقع الناس بعضهم على بعض ينظرون إليه فأقبلوا باللعين مكتوفاً وهم ينهشون لحمه بأسنانهم، ويقولون له: يا عدو الله ما فعلت؟ أهلك أمه محمد (صلى الله عليه وآله) وقتلت خير الناس.

وإنه لصامت وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي بيده سيف مشهور وهو يرد الناس عن قتله وهو يقول هذا قاتل الإمام على (عليه السلام) حتى أدخلوه إلى المسجد.

وكانت عيناه قد طارتا في أم رأسه كأنهما قطعنا علق وقد وقعت في وجهه ضربة قد هشمت وجهه وأنفه والدم يسيل على لحيته وعلى صدره، وهو ينظر يميناً وشمالاً وعيناه قد طارتا في أم رأسه وهو أسمر اللون وكان على رأسه شعر أسود منشوراً على وجهه كأنه الشيطان الرجيم.

فلما جاءوا به أوقفوه بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما نظر إليه الحسن (عليه السلام): قال له: يا ويلك يا لعين! يا عدو الله! أنت قاتل أمير المؤمنين ومثكلنا بإمام المسلمين؟ هذا جزاؤه منك حيث آواك وقربك وأدناك وأتركك على غيرك؟ وهل كان بس الإمام لك حتى جازيته هذا الجزاء يا شقي؟ فلم يتكلم بل دمعت عيناه.

فقال له الملعون: يا أبا محمد أفأنت تنقذ من في النار؟ فعند ذاك ضج الناس بالبكاء والنحيب.

فأمر الحسن (عليه السلام) بالسكوت ثم التفت الحسن (عليه السلام) إلى الذي جاء به حذيفة فقال له: كيف ظفرت بعدو الله وأين لقيته؟ فقال: يا مولاي كنت نائماً في داري إذ سمعت زوجتي الزعقة، وناعياً ينعي أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يقول: تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله أعلام التقى قتل ابن عم محمد المصطفى قتل على المرتضى قتله أشقى الأشقياء. فأيقظتني وقالت لي: أنت نائم؟ وقد قتل إمامك على بن أبي طالب.

فانتبعت من كلامها فرعاً مرعوباً وقلت لها: يا ويلك ما هذا الكلام؟ رض الله فاك! لعل الشيطان قد ألقى في سمعك هذا أن أمير المؤمنين ليس لأحد من خلق الله تعالى قبله تبعه ولا ظلامه، فمن ذا الذي يقدر على قتل أمير المؤمنين؟ وهو الأسد الضرغام والبطل الهمام والفارس القمقام فأكثر على وقالت: إنى سمعت ما لم تسمع وعلمت ما لم تعلم، فقلت لها: وما سمعت فأخبرتني بالصوت. ثم قالت: ما أظن أن بيتاً في الكوفة إلا وقد دخله هذا الصوت.

قال: وبينما أنا وهي في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وجلبة وقائل يقول: قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) فحس قلبي بالشر فمددت يدي إلى سيفي وسللته من غمده، وأخذته ونزلت مسرعاً، وفتحت باب داري وخرجت، فلما صرت في وسط الجادة نظرت يميناً وشمالاً فإذا بعدو الله يجول فيها، يطلب مهرباً فلم يجد، وإذا قد انسدت الطرقات في وجهه، فلما نظرت إليه وهو كذلك رابني أمره فناديته: من أنت وما تريد؟ لا أم لك! في وسط هذا الدرب؟ فتسمى بغير اسمه، وانتمى إلى غير كنيته فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: من منزلي قلت: وإلى أين تريد لأن تمضي في هذا الوقت؟ قال إلى الحيرة، فقلت: ولم لا- تعقد حتى تصلى مع أمير المؤمنين (عليه السلام) صلاة الغدة وتمضي في حاجتك؟ فقال: أخشى أن أقعد للصلاة فتفتوتني حاجتي.

فقلت: يا ويلك إنى سمعت صيحة وقائلاً يقول قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) فهل عندك من ذلك خير؟ قال: لا علم لي بذلك.

فقلت له: ولم لا تمضي معي حتى تحقق الخبر وتمضي في حاجتك؟ فقال: أنا ماض في حاجتي وهي أهم من ذلك.

فلما قال لي مثل ذلك القول قلت: يا لكع الرجال حاجتك أحب إليك من الجسس لأمر المؤمنين وإمام المسلمين؟ وإذا والله يا لكع ما لك عند الله من خلاق.

وحملت عليه بسيفي وهممت أن أعلو به، فراغ عني فبينما أنا أخاطبه وهو يخاطبني إذ هبت ريح فكشفت إزاره وإذا بسيفه يلمع تحت الإزار وكأنه مرآة مصقولة.

فلما رأيت بريقه تحت ثيابه قلت: يا ويلك ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك؟ لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين فأراد أن يقول: لا.

فأنطق الله لسانه بالحق فقال: نعم، فرفعت سيفي وضربته فرفع هو سيفه وهم أن يعلنوني به فانحرفت عنه فضربته على ساقه فأوقعته ووقع

لجينه ووقعت عليه وصرخت صرخةً شديدةً وأردت أخذ سيفه فمانعني عنه، فخرج أهل الحيرة فأعانوني عليه حتى أوثقتته وجثتتك به، فهو بين يديك جعلني الله فداك فاصنع به ما شئت.

فقال الحسن (عليه السلام): الحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه ثم انكب الحسن (عليه السلام) على أبيه يقبله وقال: يا أباه هذا عدو الله وعدوك قد أمكن الله منه.

ففتح عينيه (عليه السلام) وهو يقول: أرفقوا بي يا ملائكة ربي.

فقال له الحسن (عليه السلام): هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك.

ففتح أمير المؤمنين (عليه السلام) عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه معلق في عنقه.

فقال له بضعف وانكسار صوت ورافة ورحمة: يا هذا لقد جئت عظيماً، وارتكبت أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً، أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء؟ ألم أكن شقيقاً عليك وآثرتك على غيرك وأحسنيت إليك وزدت في عطائك؟ ألم أكن يقال لي فيك كذا وكذا، فخليت لك السبيل ومنحتك عطائي؟ وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محالة ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك يا لكع فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء؟ فدمعت عينا ابن ملجم وقال يا أمير المؤمنين: أفأنت تنقذ من في النار. قال له: صدقت ثم التفت (عليه السلام) إلى ولده الحسن (عليه السلام) وقال له: إرفق يا ولدي بأسيرك.

وارحمه وأحسن إليه واشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً وفزعاً؟ فقال له الحسن (عليه السلام) يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به؟ فقال: نعم يا بني نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلا كرمًا وعتوًّا والرحمة والشفقة من شيمتنا! بحقى عليك فاطمه يا بني مما تأكله! واسقه مما تشرب! ولا تقيد له قدماً ولا تغل له يداً! فإن أنتا مت فاقصص منه بأن تقتله وتضربه ضربه واحدة ولا تحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل فإنني سمعت جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور، وإن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو عنه وأنا أعلم بما أفعل به.

ولقد أحسن وأجاد المرحوم السيد جعفر الحلبي (ره):

لبس الإسلام أبراد السواد

يوم أردى المرتضى سيف المرادى

ليلة ما أصبحت إلا وقد

غلب الغي على أمر الرشاد

والصلاح انخفضت أعلامه

وغدت ترفع أعلام الفساد

ما رعى الغادر شهر الله في

حجة الله على كل العباد

وببيت الله قد جد له

ساجداً ينشج من خوف المعاد

يا ليال أنزل الله بها

سور الذكر على أكرم هادي

مُحيت فيك على رغم العلي

آية في فضلها الذكر ينادي

قتلوه وهو في محرابه

طاوى الأحشاء عن ماء وزاد
 سل بعينيه الدجى هل جفتا
 عن بكا أو ذاقنا طعم الرقاد؟
 وسل الأنجم هل أبصرنه
 ليله مضطجعاً فوق الوساد؟
 وسل الصبح هل صادفه
 ملّ من نوح مذيّب للجماد؟
 عاقر الناقة مع شقوته
 ليس بالأشقى من الرجس المرادى
 فلقدم عمم بالسيف فتى
 عمّ خلق الله طراً بالأيدى
 فبكته الأنس والجن معاً
 وطيور الجومع وحش البوادى
 وبكاه الملاء الأعلى دمماً
 وغدى جبريل بالويل ينادى
 هدمت والله أركان الهدى
 حيث لا من منذر فينا وهادى

على طريق الفراش

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوان: فى مثل صبيحة هذا اليوم وقعت الحادثة الكبرى التى ذكرنا عنها اليسير ليله أمس، لا يملك القلم واللسان بياناً لشرح الواقعة والدهشة التى استولت على الناس إثر استماع الصيحة السماوية وانتشار الخبر فى الكوفة بأسرع ما يكون، وأقبلت الجماهير تتراكم إلى المسجد (محل الحادثة) حتى المخدرات خرجن من خدورهن، وغص المسجد الجامع بالناس، فلا ترى إلا صفق الأيدي على الرؤوس ولا- تسمع إلا- أصوات النياحة وصرخات الناس، وقد أزدحم الناس حول الإمام ينظرون إلى ذلك البطل الذى كان يخوض غمار الموت، وكانت الأسود تخاف من باسه واسمه، ينظرون إليه وقد أبيض وجهه من نرف الدم، وصلى الإمام صلاة الصبح من جلوس، ثم قال احملونى إلى منزلى.

فحملوه والناس حوله يبكون وينتحبون، وكان الحسن والحسين أشد الناس بكاءً وحزناً، فكان الحسين (عليه السلام) يبكى ويقول: يا أبتاه من لنا بعدك؟ لا يوم كيومك إلا يوم رسول الله، من أجلك تعلمت البكاء، يعز والله على أن أراك هكذا. فعزاه الإمام وسلاه، ومسح دموع ولده ووضع يده على قلب ولده وقال: يا بنى ربط الله على قلبك وأجزل لك ولأخوتك عظيم الأجر. أقبلت بنات رسول الله وسائر بنات الإمام وجلسن حول فراشه ينظرن إلى أسد الله وهو بتلك الحالة، فصاحت زينب الكبرى وأختها: أبتاه من للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملاء؟ يا أبتاه حزنا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقا! فضج الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب، وشاركهم الإمام وفاضت عيناه بالدموع.

اجتمع الأطباء والجراحون فوصفوا للإمام اللبن، لأن سيف ابن ملجم كان مسموماً، فكان اللبن طعامه وشرابه، ودعى الإمام بولديه

وجعل يقبلهما ويحصنهما لأنه علم أنه سيفارقهما وكان يغمى عليه ساعة بعد ساعة، فناوله الحسن قدحاً من اللبن فشرب منه قليلاً، ثم نحاه عن فمه وقال: احمولوه إلى أسيركم! ثم قال للحسن: يا بني بحقك عليك إلا ما طيبتم مطعمه ومشربه وارفقوا به إلى حين موتي! وتطعمه مما تأكل، وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه!! وكان اللعين ابن ملجم محبوساً في بيت، فحملوا إليه اللبن وأخبروه بعطف الإمام وحنانه على قاتله، فشرب اللعين اللبن.

قال محمد بن الحنفية: بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل السم إلى قدميه، وكان يصلى تلك الليلة من جلوس ولم يزل يوصينا بوصاياهم ويعزينا عن نفسه، ويخبرنا بأمره إلى طلوع الفجر، فلما أصبح استأذن الناس عليه، فأذن لهم بالدخول، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلمون عليه وهو يرد (عليهم السلام) ثم يقول: أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني، وخففوا سؤلكم لمصيبة إمامكم!! فبكى الناس بكاء شديداً، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه فقام إليه حجر بن عدى الطائي وقال:

فيا أسفى على المولى النقى

أبى الأطهار حيدرة الزكى

قتله كافر حنث زنيم

لعين فاسق نغل شقى

إلى آخر أبياته، فلما بصر الإمام وسمع شعره قال له: كيف بك إذا دعيت إلى البراءة منى؟ فما عساک أن تقول؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً، وأضرم لى النار وألقت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك!! فقال (عليه السلام): وفقت لكل خير يا حجر، جزاك الله عن أهل بيت نبيك.

ثم قال هل من شربة لبن؟ فأتوه بلبن فشربه كله، فذكر (عليه السلام) ابن ملجم وأنه لم يترك له من اللبن شيئاً فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، أعلمونى أنى شربت الجميع، ولم أبق لأسيركم شيئاً من هذا! ألا: وإنه آخر رزقى من الدنيا! فبالله عليك يا بنى إلا ما سقيته مثل ما شربت، فحمل إليه اللبن فشرب.

كان الناس متجمهرين على باب الإمام ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام فى حق ابن ملجم، فخرج إليهم الإمام الحسن وأمرهم عن قول أبيه بالانصراف، فانصرف الناس، وكان الأصبغ بن نباته جالساً فلم ينصرف، فخرج الإمام الحسن مرة ثانية وقال: يا أصبغ أما سمعت قولى عن أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولكنى رأيت حاله، فأحببت أن أنظر إليه فاسمع من حديثاً، فاستأذن لى رحمك الله. فدخل الحسن ولم يلبث أن خرج فقال له: أدخل.

قال الأصبغ فدخلت فإذا أمير المؤمنين معصب بعصابه، وقد علت صفرة وجهه على تلك العصابة، وإذا هو يرفع فخذاً ويضع أخرى من شدة الضربة وكثرة السم.

فقال لى: يا أصبغ أما سمعت قول الحسن عن قولى؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، ولكنى رأيتك فى حالة فأحببت النظر إليك، وأن أسمع منك حديثاً.

فقال لى: أفعد، فما أراك تسمع منى حديثاً بعد يومك هذا!! أعلم يا أصبغ: أنى أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عائداً كما جئت الساعة فقال: يا أبا الحسن أخرج فناد فى الناس: الصلاة جامعة، واصعد المنبر وقم دون مقامى بمرقاة، وقل للناس: ألا: من عق والديه فلعهن الله عليه، ألا:

من أبق مواليه فلعهن الله عليه، ألا: من ظلم أجيراً أجرته فلعهن الله عليه! يا أصبغ: ففعلت ما أمرنى به حبيبي رسول الله، فقام من أقصى المسجد رجل فقال: يا أبا الحسن تكلمت بثلاث كلمات أوجزتهن (اختصرتهن) فلم أرد جواباً حتى أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت ما كان من الرجل.

قال الأصبغ: ثم أخذ بيدي وقال: يا أصبغ أبسط يدك، فبسطت يدي، فتناول أصبع من أصابع يدي وقال: يا أصبغ كذا تناول رسول الله

الحسن ألا: وإنني وأنت أبوا هذه الأمة، فمن عقنا فلعنة الله عليه، ألا وإنني وأنت موليا هذه الأمة فعلى من أبق عنا لعنة الله، ألا: وإنني وأنت أجيروا هذه الأمة، فمن ظلمنا أجزنا فلعنة الله عليه، ثم قال: آمين. فقلت آمين.

قال الأصمغ: ثم أغمى عليه ثم أفاق فقال لي: أقاعد أنت يا أصمغ؟ قلت: نعم يا مولاي قال: أزيدك حديثاً آخر؟ قلت نعم زادك الله من مزيادات الخير، قال: يا أصمغ: لقيني رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض طرقات المدينة وأنا مغموم، قد تبين الغم في وجهي، فقال لي: يا أبا الحسن أراك مغموماً؟ ألا أحدثك بحديث لا تغتم بعده أبداً؟ قلت: نعم.

قال: إذا كان يوم القيامة نصب الله منبراً يعلو منبر النبيين والشهداء ثم يأمرني الله أن أصعد فوقه ثم يأمرك الله أن تصعد دوني بمرقاة ثم يأمر الله ملكين فيجلسان دونك بمرقاة، فإذا استقللنا على المنبر لا يبق أحد من الأولين والآخرين إلا حضر، فينادي الملك الذي دونك بمرقاة: معاشر الناس ألا: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا أدفع مفاتيح الجنة إلى محمد، وإن محمداً أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب، فاشهدوا لي عليه.

ثم يقوم ذلك الذي تحت ذلك الملك بمرقاة منادياً يسمع أهل الموقف: معاشر الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا مالك (خازن) النيران، ألا: إن الله بمنه وكرمه وفضله وجلاله قد أمرني أن أدفع مفاتيح النار إلى محمد وإن محمداً قد أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب فاشهدوا لي عليه.

فأخذ مفاتيح الجنان والنيران، يا علي فتأخذ بحجزتي، [١٥٧] وأهل بيتك يأخذون بحجزتك، وشيعتك يأخذون بحجزه أهل بيتك. قال الإمام: فصفقت بكلتا يدي وقلت: وإلى الجنة يا رسول الله؟ قال: إي ورب الكعبة..

على يفارق الحياة

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

عظم الله أجوركم بمصيبه سيدنا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ففي هذه الليلة قضى نحبه وفارق الحياة، وقد انطوت صفحات تلك الحياة المشرقة، واستراح الإمام من أيدي الناس وأفواههم وانتهت أيام مسؤوليته.

فقد جمعوا له أطباء الكوفة ومن جملتهم: أثير بن عمرو بن هاني السكوني فلما نظر إلى جرح رأس الإمام طلب رئة شاء حارة فاستخرج منها عرقاً ثم نفخه ثم استخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ كأنه قطن مندوف فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك وأوص وصيتك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك.

قال محمد بن الحنفية: لما كانت ليلة إحدى وعشرين جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم ثم قال لهم: الله خليفتي عليكم، وهو حسبي ونعم الوكيل، وأوصاهم بلزوم الإيمان..

وتزايد ولوج السم في جسده حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعاً، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه.

ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يشرب، فنظرنا إلى شفثيه يختلجان بذكر الله، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم واحداً بعد واحد وجعل يودعهم وهم يبكون فقال الحسن: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: يا بني إنني رأيت جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منامي قبل هذه الكائنة بليلة فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأمة فقال لي: أدع عليهم فقلت: اللهم أبدلهم بي شراً مني وأبدلني بهم خيراً منهم.

فقال لي رسول الله: قد استجاب الله دعاك، سينقلك إلينا بعد ثلاث.

وقد مضت الثلاث، يا أبا محمد أوصيك ويا أبا عبد الله خيراً، فأنتما مني وأنا منكما، ثم ألفتت إلى أولاده الذين من غير فاطمة (عليها السلام) وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن والحسين، ثم قال: أحسن الله لكم الغزاء، ألا وإنني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد (صلى الله عليه وآله) كما وعدني، فإذا أنا مت يا أبا محمد فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه، ثم ضعني على سريري، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير، واحملوا مؤخره، واتبعوا مقدمه، فأى موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر، فحيث قام سريري فهو موضع قبري، ثم تقدم يا أبا محمد وصل على بني يا حسن وكبر على سبعاً، واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه: القائم المهدي من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق.

فإذا أنت صليت على يا حسن ففتح السرير عن موضعه ثم اكشف التراب عنه، فترى قبراً محفوراً، ولحداً مثقوباً وساجهً منقوبهً، فأضجعتني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري فتفقدني فإنك لا تجدني وإني لاحق بجدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعلم يا بني: ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حط فيه.

ثم أشرح اللحد باللبن (جمع لبنه) وأهل التراب عليّ ثم غيّب قبري.

وللإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وصية أخرى هي من جلائل وصاياه أوصى بها أولاده في مثل هذه الليلة، روى الصدوق في الفقيه عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت وصية علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين أوصى إلى ابنه الحسن (عليه السلام) وأشهد على وصيته الحسين (عليه السلام) ومحمد وجميع ولده ورؤساء أهل بيته وشيعته ثم دفع إليه الكتاب والسلاح ثم قال: يا بني أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودفع إلى كتبه وسلاحه وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين (عليه السلام) ثم أقبل على ابنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تدفعه إلى ابنك علي بن الحسين ثم أقبل إلى ابنه علي بن الحسين (عليه السلام) فقال له: وأمرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تدفع وصيتك إلى ابنك محمد بن علي فأقرأه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنى السلام، ثم أقبل على ابنه الحسن فقال: يا بني أنت ولي الأمر بعدى وولي الدم فإن عفوت فلك، وإن قتلت فضربة مكان ضربة ولا تأثم، ثم قال أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوى عنكما، وقولا بالحق واعملا للأجر (للاخرة) وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

أوصيكما وجميع ولدي وأهل بيتي (وأهلي) ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا- وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم (بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم) فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإن البغضة حالقة الدين وفساد ذات البين (وإن المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين) ولا- قوة إلا- بالله، انظروا ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، والله الله في الأيتام لا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار، والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم، والله الله في جيرانكم فإن الله ورسوله أوصيا بهم (فإنه وصية نبيكم) ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا، الله الله في الصلاة! فإنها خير العمل وإنها عمود دينكم، الله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب

ربكم، الله الله في صيام شهر رمضان فإن صيامه جنه من النار، الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وألستكم فإنما يجاهد في سبيل الله رجلاين: إمام هدى ومطيع له مقتد بهداه والله الله في ذرية نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى بهم، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم، والمؤوى للمحدث، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله الله في النساء وما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن قال: أوصيكم بالضعيفين: نساءكم وما ملكت أيمانكم، ثم قال: الصلاة، الصلاة، الصلاة، ولا تخافن في الله لومة لائم، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عزوجل، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم أشراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

وعليكم بالتواصل والتبادل والتبار وإياكم والتقاطع والتدابير والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم، وأستودعكم الله خير مستودع، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

يا بنى عبدالمطلب: لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً، تقولون: قتل أمير المؤمنين. ألا: لا تقتلن بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

هكذا ينهى الإمام (عليه السلام) أولاده عن إقامة المجازر والمذابح لأجل الطلب بدمه كما كان الأمر في قضايا عثمان، يقول: لا تقتلوا إلا قاتلي.

ينهاهم عن التحقيق عن أصل الفتنة ورجال المؤامرة وأسباب الفساد ويأمرهم بالاكْتفاء بالقصاص من القاتل، ثم ينهى عن قطع أعضائه.

ثم عرق جبين الإمام فجعل يمسح العرق بيده فقالت أخته زينب: يا أبا أراك تمسح جبينك؟ قال: يا بنية سمعت جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب، وسكن أئنه.

فقامت زينب وألقت بنفسها على صدر أبيها وقالت: يا أبا حدثتني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمع منك، فقال: يا بنية، الحديث كما حدثتكم، أم أيمن، وكأني بك وبنساء أهلك لسبايا بهذا البلد، خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبراً..

ثم التفت الإمام إلى ولديه الحسن والحسين وقال: يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدى الفتن من ههنا وههنا فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه.

ثم أغمى عليه وأفاق وقال: هذا رسول الله، وعمى حمزة وأخى جعفر وأصحاب رسول الله، وكلهم يقولون: عجل قدمك علينا فإننا إليك مشتاقون، ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال: أستودعكم الله جميعاً، سددكم الله جميعاً، خليفتي عليكم الله، وكفى بالله خليفة، ثم قال: وعليكم السلام يا رسل ربي، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون). [١٥٨].

وما زال يذكر الله، ويستشهد الشهادتين، ثم استقبل القبلة، وغمض عينيه ومدد رجله ويديه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم قضى نحبه!! فعند ذلك صرخت زينب بنت علي وأم كلثوم وجميع نساءه وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود، وارتفعت الصيحة في القصر، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين قد فارق الحياة، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجا، وصاحوا صيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب والضجيج بالكوفة وقبائلها وجميع أقصاها، فكان ذلك اليوم كاليوم الذي مات فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتغير أفق السماء، وسمع الناس أصواتاً وتسيحاً في الهواء، واشتغلوا بالنياحة على الإمام.

ثم قام أولاده لتجهيزه ليلاً، ولما جردوه عن ثيابه، وجدوا على جسده الشريف آثار ألف جراحة من قرنه إلى قدميه وهي الجراحات

التي أصابته في سبيل الله في الحروب، وكان الحسن يغسله والحسين يصب عليه الماء، وكان (عليه السلام) لا يحتاج إلى من يقبله، بل كان يتقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، لأن الملائكة كانت تقبله وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك.

ثم نادى الحسن بأخته زينب وأم كلثوم وقال: يا أختاه هلمي بحنوط جدى رسول الله، فبادرت زينب مسرعة حتى أتته به، فلما فتحت فاحت الدار وجميع الكوفة، ولما حظوه لفوه بخمسة أثواب ثم وضعوه على السرير وتقدم الحسن والحسين إلى السرير من مؤخره وإذا مقدمه قد ارتفع، ولا يرى حامله، وكان حامله جبرائيل وميكائيل، فما مر بشيء على وجه الأرض إلا انحنى له.

وضجت الكوفة بالبكاء والنحيب، وخرجت النساء خلف الجنازة لاطمات فمنعهن الحسن وردهن إلى أماكنهم، والحسين يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أنا لله وأنا إليه راجعون، يا أبتاه والإنقطاع ظهراه، من أجلك تعلمت البكاء، إلى الله المشتكى.

أمر الإمام الحسن الناس بالإنصراف، ولم يبق إلا أولاد أمير المؤمنين وعدد قليل من أخص أصحابه المعتمد عليهم، فابتعدوا عن الكوفة في جوف الليل قاصدين النجف، وإذا بمقدم السرير قد وضع، فوضع الحسن والحسين مؤخر السرير، وقام الحسن وصلى مع جماعة على أبيه فكبر سبعاً كما أمر أبوه، ثم زحزح السرير، وكشف التراب وإذا بقبر مقبور ولحد مشقوق وساحة منقورة مكتوب عليها: هذا ادخره نوح النبي للعبد الصالح الطاهر بن المطهر.

ولما أرادوا إنزاله إلى القبر سمعوا هاتفاً يقول: أنزلوه إلى التربة الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب، فدهش الناس من سماع الهاتف، وانتهى الدفن قبل الفجر، وأخفوا قبره كما أوصى به، لأنه (عليه السلام) كان يعلم من عداوة الخوارج والأعداء له، فقد روى في منتخب التواريخ أن الحجاج بن يوسف نبش في النجف آلاف القبور يفتش عن جثمان علي (عليه السلام) ولكنه لم يعثر عليه، ولم يزل القبر مخفياً عن الناس لا يعرف به إلا أولاد الإمام وأخصاء الشيعة إلى أيام هارون الرشيد.

قال عبدالله بن حازم: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغرى، فرأينا طييات، فأرسلنا إليها الصقور والكلاب، فحاولتها ساعة، ثم لجأت الطباء إلى الأكمة فسقطت عليها، فسقطت الصقور والكلاب، فتعجب الرشيد من ذلك ثم أن الطباء هبطت من الأكمة فسقطت الصقور والكلاب فرجعت الطباء إلى الأكمة، فتراجعت عنها الكلاب والصقور ففعلت ذلك ثلاثة، فقال هارون: أركضوا فمن لقيتموه آتونى به؟ فأتيناه بشيخ من بنى أسد، فقال هارون ما هذه الأكمة؟ قال: إن جعلت لى الأمان أخبرتك! قال: لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أؤذيك.

قال الشيخ حدثني أبي عن أبيه أنهم كانوا يقولون: هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب (عليه السلام) جعله الله حراماً لا يأوى إليه أحد إلا أمن.

فتزل هارون ودعى بماء فتوضأ وصلى عند الأكمة وتمرغ عليها وجعل يبكي، وأمر ببناء القبّة على القبر، ومن ذلك اليوم لم يزل البناء فى تطور وهو الآن صرح بديع متألئى، وبناء مشيد من قبة ذهبية ومارتين ذهبيتين، ومشهد عظيم وضريح فخم فى داخله صندوق لا يثمن، والبقعة مزينة بهدايا الملوك والسلاطين على مر القرون، وقد بنى المشهد على أحسن هندسة وأبدع فن معمارى وأجمل نقوش يتوصل إليها الفكر البشرى.

والمعلقات الموجودة والذخائر المكونة والهدايا الثمينة لا يمكن تقديرها وتثمينها، ويقصد القبر الشريف ملايين من الناس من شرق الأرض وغربها، وكذلك الوفود والسواح من المسلمين.

تابين على

ولما فرغوا من دفن الإمام (عليه السلام) قام صعصعة بن صوحان يؤبن الإمام بهذه الكلمات، فوقف على القبر ووضع إحدى يديه على فؤاده والأخرى قد أخذ بها التراب وضرب به رأسه ثم قال: بأبى لأنت وأمى يا أمير المؤمنين هنيئاً لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدك، وقوى صبرك، وعظم جهادك وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدمت على خالقك فتلقاك بشارته، وحفتك

ملائكته، واستقررت في جوار المصطفى فأكرمك الله بجواره، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى وشربت بكأسه الأوفى، فأسأل الله أن يمن علينا باقتنائنا أترك، والعمل بسيرتك، والمولاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدرت ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده، وقمت بدين الله حق القيام حتى أقمت السنن، وأبرت الفتن، واستقام الإسلام وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام، بك أعتدل ظهر المؤمنين واتضحت أعلام السبل، وأقيمت السنن، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك، سبقت إلى إجابة النبي (صلى الله عليه وآله) مقدماً مؤثراً، وسارعت إلى نصرته، ووقيته بنفسك ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر، قصم الله بك كل جبار عنيد، وذل بك كل ذي بأس شديد، وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين كنت أقرب الناس من رسول الله قربي وأولهم سلماً وأكثرهم علماً وفهماً.

فهنيئاً لك يا أبا الحسن، لقد شرف الله مقامك، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نسباً، وأولهم إسلاماً وأوفاهم يقيناً، وأشدهم قلباً، وأبذلهم لنفسه مجاهداً، وأعظمهم في الخير نصيباً، فلا حرماً الله أجرك، ولا ذلنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفاتيح للخير ومغاليق للشر، وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير، ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة.

ذكر ابن أبي الحديد أن صعصعة بن صوحان العبدى رثا أمير المؤمنين علياً بهذه الأبيات:

ألا، من لى بأنسك يا أخيا
ومن لى أن أبثك ما لديا؟
طوتك خطوب دهر قد تولى
لذاك خطوبه نشرأ وطيا
فلو نشرت قواك لى المنايا
شكوت إليك ما صنعت إليا
بكيتك يا على بدر عيني
فلم يغن البكاء عليك شيا
كفى حزناً بدفنك ثم إنى
نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عطاء
وأنت اليوم أوعظ منك حيا
فيا أسفى عليك وطول شوقى
ألا لو أن ذلك رد شيا

ثم بكى بكاءً شديداً وأبكى كل من كان معه، وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر والعباس ويحيى وعون وعبدالله، فعزوهم فى أبيهم وانصرف الناس ورجع أولاد أمير المؤمنين إلى الكوفة ولم يشعر بهم أحد:

قم ناشد الإسلام عن مصابه
أصيب بالنبي أم كتابه
بلى قضى نفس النبي المصطفى
وأدرج الليلة فى أثوابه

فاصفر وجه الدين لاصفراره

وخضب الإيمان لختضابه

قتلتهم الصلاة في محرابها

يا قاتليه وهو في محرابه

ثم عمدوا إلى عبدالرحمن بن ملجم فقتلوه، وهجم الناس على قطام وقطعوها بالسيوف ونهبوا دارها وأحرقوا جثتها وجثته ابن ملجم. في ناسخ التواريخ لما توفي أمير المؤمنين (عليه السلام) وقتل ابن ملجم، خرج ابن عباس إلى الناس فقال: إن أمير المؤمنين توفي، وقد ترك لكم خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد على أحد، فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا. فخرج الإمام الحسن وعليه ثوب أسود، واعتلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجهه برايته، فيكفيه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه. ولقد توفي في الليلة التي نزل فيها القرآن، وعرج فيها بعيسى بن مريم، والتي قبض فيها يوشع بن نون وصى موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطيته أراد أن يتباع بها خادماً لأهله ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس..

ختم واعتذار

أيها الإخوان لقد قضينا معكم هذه الليالي الثمينه بالتحدث عن شخصيه الإمام أمير المؤمنين، وقد كان حديثنا يدور حول ترجمه حياته المتلائنه وذكرا ما تيسر، وأود أن أحيطكم علماً وأحلف لك يمينا لا حنث فيه بأنى لم أذكر عشراً من معشار فضائل الإمام ومناقبه، فلقد فاتنا التكلم عن قضاء أمير المؤمنين ومعجزاته وكثير من خططه الحربيه وسياسته الحكيمه وترجمه زوجاته وأولاده وبناته وكلماته القصار وآثاره الطيبه الخالده، ومن الله نسأل أن يحقق الآمال وتندارك ما قد فات. وسلام الله على أمير المؤمنين يوم ولد في الكعبه ويوم مات شهيداً في سبيل الله ويوم يعث حياً للشفاعة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم.

باورقى

[١] سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

[٢] البحار ج ٩.

[٣] نفس المصدر.

[٤] سورة المؤمنون، الآيتان: ١ و ٢.

[٥] سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠ و ١١.

[٦] البحار ج ٩.

[٧] سورة القدر، الآية: ١.

[٨] نهج البلاغه، خطبة رقم ١٨٧.

[٩] البحار: ج ٩.

[١٠] سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

[١١] البحار ج ٩.

- [١٢] سورة الواقعة، الآية: ١٠.
- [١٣] سورة ص، الآية: ٨٦.
- [١٤] سورة الأنعام، الآية: ١٦٣.
- [١٥] سورة البقرة، الآية: ١٣١.
- [١٦] سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
- [١٧] سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
- [١٨] سورة الأنعام، الآية: ١٤.
- [١٩] سورة غافر، الآية: ٦٦.
- [٢٠] وقد ضمن حسان بن ثابت هذا البيت في مديح النبي (صلى الله عليه وآله).
- [٢١] سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.
- [٢٢] سورة هود، الآية: ١١٢.
- [٢٣] سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.
- [٢٤] سورة البقرة، الآية: ٢٧.
- [٢٥] سورة النساء، الآية: ١٠٠.
- [٢٦] سورة العنكبوت، الآية: ٢٦.
- [٢٧] سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
- [٢٨] سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
- [٢٩] سورة النور، الآية: ٣٢.
- [٣٠] سورة التكويد، الآيتان: ٨ و ٩.
- [٣١] سورة النحل، الآيتان: ٥٨ و ٥٩.
- [٣٢] سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
- [٣٣] الخرق: سيئ التصرف والجاهل. والنزق: الخفيف في كل أمر، العجول في الجهل والحمق.
- [٣٤] اقتطفنا أحاديث هذا البحث من المجلد العاشر من كتاب بحار الأنوار لشيخنا المجلسي (ره).
- [٣٥] سورة التوبة، الآية: ١١١.
- [٣٦] البحار ج ٦.
- [٣٧] البحار ج ٩.
- [٣٨] سورة التوبة، الآيتان: ٢٥ و ٢٦.
- [٣٩] سورة البيئه الآية: ٧.
- [٤٠] سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
- [٤١] سورة الأحزاب، الآيات: ٣٢-٣٤.
- [٤٢] سورة آل عمران، الآية: ٥٩.
- [٤٣] سورة آل عمران، الآية: ٦١.
- [٤٤] سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

- [٤٥] سورة آل عمران، الآية: ٦١.
- [٤٦] سورة آل عمران، الآية: ٦١.
- [٤٧] سورة آل عمران، الآية: ٦١.
- [٤٨] سورة المائدة، الآية: ٥٥.
- [٤٩] سورة المائدة، الآية: ٥٦.
- [٥٠] سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ و ٥٦.
- [٥١] سورة طه، الآيات: ٢٥ و ٣٢.
- [٥٢] سورة القصص، الآية: ٣٥.
- [٥٣] سورة الإنسان، الآية: ٧.
- [٥٤] سورة الإنسان، الآية: ١.
- [٥٥] سورة الإنسان، الآية: ٢٢.
- [٥٦] سورة الإنسان، الآيتان: ٥ و ٦.
- [٥٧] سورة الإنسان، الآية: ٧.
- [٥٨] سورة الإنسان، الآية: ٨.
- [٥٩] سورة الإنسان، الآية: ٩.
- [٦٠] سورة الإنسان، الآية: ١١.
- [٦١] سورة الإنسان، الآية: ١٢.
- [٦٢] سورة الإنسان، الآية: ١٣.
- [٦٣] سورة الحشر، الآية: ٩.
- [٦٤] سورة التوبة، الآية: ١٩.
- [٦٥] سورة المجادلة، الآية: ١٢.
- [٦٦] سورة المجادلة، الآية: ١٣.
- [٦٧] سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.
- [٦٨] سورة الزمر، الآية: ٩.
- [٦٩] سورة طه، الآية: ١١٤.
- [٧٠] سورة الكهف، الآية: ٦٥.
- [٧١] سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.
- [٧٢] سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.
- [٧٣] سورة الأنبياء، الآية: ٧٤.
- [٧٤] سورة النمل، الآية: ١٥.
- [٧٥] سورة القصص، الآية: ١٤.
- [٧٦] سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.
- [٧٧] سورة المائدة، الآية: ١١٠.

- [٧٨] سورة البقرة، الآية: ٣١.
- [٧٩] سورة مريم، الآية: ٤٣.
- [٨٠] سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.
- [٨١] سورة يوسف، الآية: ٣٧.
- [٨٢] سورة النساء، الآية: ١١٣.
- [٨٣] سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
- [٨٤] سورة يوسف، الآية: ٦٨.
- [٨٥] سورة النساء، الآية: ١٠٥.
- [٨٦] سورة الأعلى، الآية: ١.
- [٨٧] سورة الأعلى، الآيتان: ١٨ و ١٩.
- [٨٨] سورة الحاقة، الآية: ١٢.
- [٨٩] سورة الإسراء، الآية: ٨٤.
- [٩٠] سورة الإسراء، الآية: ٨٤.
- [٩١] سورة الكهف، الآية: ٢٩.
- [٩٢] سورة يونس، الآية: ٣٥.
- [٩٣] سورة المؤمنون، الآية: ٩٦.
- [٩٤] سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
- [٩٥] سورة الزمر، الآية: ٦٥.
- [٩٦] سورة الروم، الآية: ٦٠.
- [٩٧] سورة الإسراء، الآية: ٧١.
- [٩٨] سورة الحشر، الآية: ٩.
- [٩٩] سورة الحشر، الآية: ٩.
- [١٠٠] سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.
- [١٠١] سورة الإنسان، الآيتان: ٨ و ٩.
- [١٠٢] سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.
- [١٠٣] سورة النساء، الآية: ٥٤.
- [١٠٤] سورة النساء، الآية: ٥٤.
- [١٠٥] سورة الأعلى، الآية: ١.
- [١٠٦] سورة طه، الآيات: ٣٢-٢٥.
- [١٠٧] سورة طه، الآية: ٣٦.
- [١٠٨] سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
- [١٠٩] سورة الحجرات، الآية: ١٠.
- [١١٠] سورة الحجرات، الآية: ١٠.

[١١١] الحوباء: روح القلب أو النفس.

[١١٢] سورة التوبة، الآية: ٣.

[١١٣] سورة التوبة، الآيات: ٣١.

[١١٤] سورة التوبة، الآية: ٥.

[١١٥] سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

[١١٦] سورة الحج، الآية: ٢٧.

[١١٧] سورة التوبة، الآية: ٣.

[١١٨] سورة الإسراء، الآية: ٨١.

[١١٩] سورة الحجر، الآية: ٧٥.

[١٢٠] سورة يونس، الآية: ٨٧.

[١٢١] سورة المائدة، الآية: ٦٧.

[١٢٢] سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

[١٢٣] سورة المائدة، الآية: ٦٧.

[١٢٤] سورة المائدة، الآية: ٣.

[١٢٥] سورة المعارج، الآيات: ٣١.

[١٢٦] سورة المائدة، الآية: ٦٧.

[١٢٧] سورة التكويد، الآيات: ١٩ و ٢٢.

[١٢٨] سورة ق، الآية: ٣٧.

[١٢٩] سورة الحاققة، الآيات: ٤٣-٤٠.

[١٣٠] سورة المائدة، الآية: ٣.

[١٣١] سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

[١٣٢] سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

[١٣٣] سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

[١٣٤] سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

[١٣٥] سورة البينة، الآية: ٧.

[١٣٦] سورة البينة، الآية: ٦.

[١٣٧] سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

[١٣٨] سورة التوبة، الآية: ١٢.

[١٣٩] سورة الحجرات، الآية: ٩.

[١٤٠] سورة طه، الآية: ٩٧.

[١٤١] سورة النحل، الآية: ٩١.

[١٤٢] سورة النحل، الآية: ٩١.

[١٤٣] سورة النساء، الآية: ٣٥.

- [١٤٤] سورة آل عمران، الآية: ٦١.
- [١٤٥] سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣ و ١٠٤.
- [١٤٦] سورة النحل، الآية: ١١٢.
- [١٤٧] سورة القيامة، الآية: ١٤.
- [١٤٨] سورة القيامة، الآية: ١٤.
- [١٤٩] وفي نسخة أخرى: كلمها.
- [١٥٠] وفي نسخة أخرى: خضم.
- [١٥١] سورة القصص، الآية: ٨٣.
- [١٥٢] سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
- [١٥٣] سورة البقرة، الآية: ٣٥.
- [١٥٤] سورة القصص، الآية: ٣٣.
- [١٥٥] سورة النمل، الآية: ١٠.
- [١٥٦] سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
- [١٥٧] الحجزه بضم الحاء: الإزار أو معقد الإزار.
- [١٥٨] سورة النحل، الآية: ١٢٨.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلِمَاتِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحدًا من جهايزة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجامعات، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبَاب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايت المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يُمكن نشرها وبثها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهةٍ أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقعٍ أُخرَ

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفتق و فاني/ " بنايه " القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا تُوفى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكلّ توفيقاً متراًئداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

